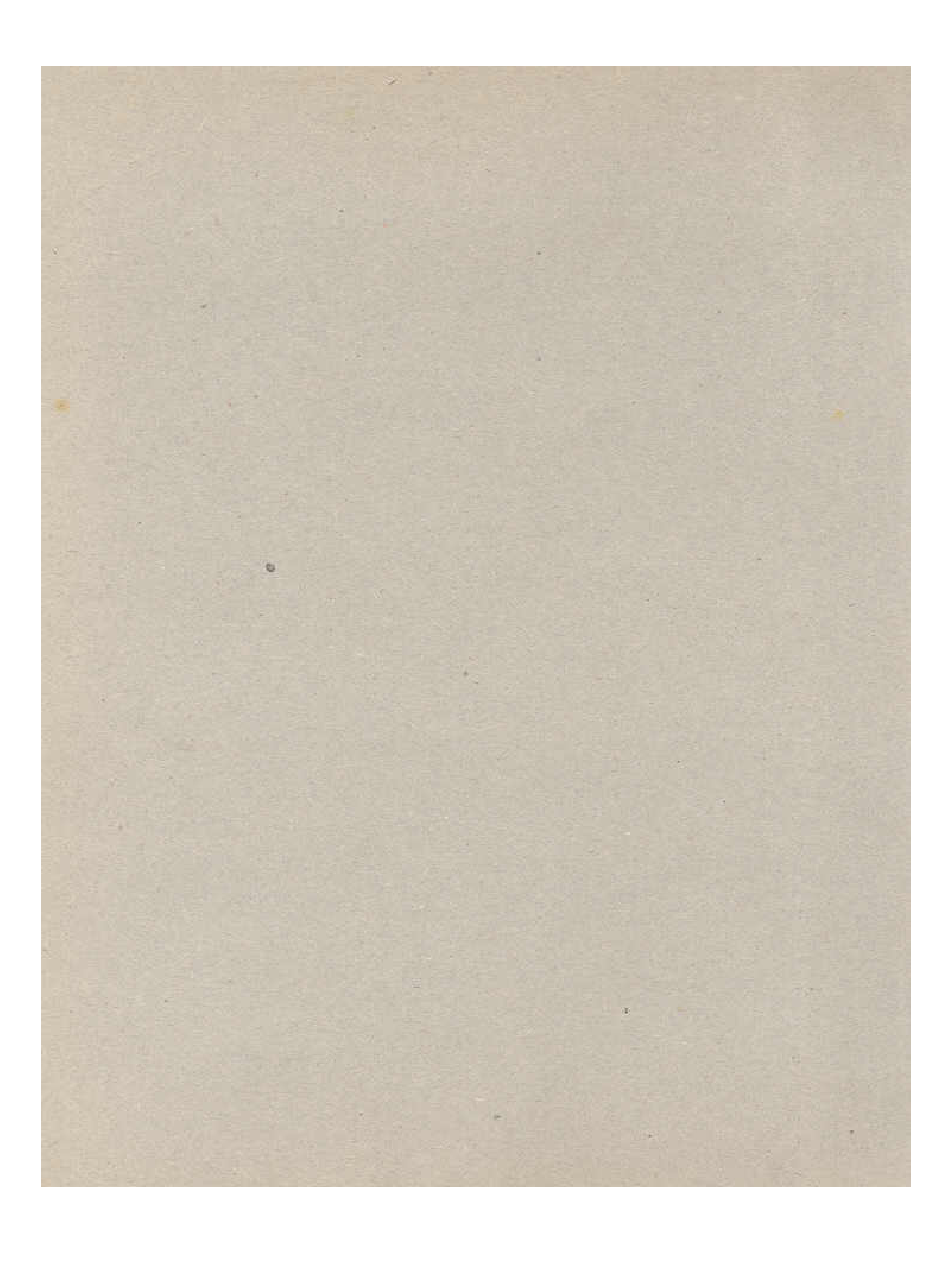


الذكرى الخامسة والخمسون لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

الترشيد والتحديث

العدد 238 • شوال ١٤٠٤ / يوليوز 1984 • الثمن: ٤ دراهم



تهانينا السعيدة
بمناسبة ذكرى الميلاد السعيد

يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأسرة تحرير مجلة (دعوة الحق) جزء منها، أن تتقدم إلى حضرة أمير المؤمنين

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

بأزكى الأماني وأطيب التهاني بمناسبة الذكرى الخامسة والخمسين لميلاد جلالته الميمون، مباركة لسيدنا المنصور بالله هذا العيد السعيد، سائلة المولى تعالى أن يعيده على جلالته وعلى الشعب المغربي باليمن والبركات، وبالنصر والفتوحات، وبالإزدهار والخيرات.

كما تهنئ صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه الأمير السعيد مولاي رشيد والأميرات الجليلات وكافة أفراد الأسرة الملكية الكريمة.

وتضرع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بهذه المناسبة السعيدة إلى الله العلي القدير أن يحفظ مولانا الإمام، وأن يرعى خطواته الموفقة على طريق التجديد الإسلامي والصحوة الإسلامية الرشيدة.



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها،
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

الاشتراكات: في المملكة المغربية: 55 درهماً
في البلاد العربية: 67 درهماً
في العالم: 77 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

فهرس العدد 238



الترشيد و التحديث

●● تحل الذكرى الخامسة والخمسون لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني والمغرب يقطع مرحلة من اهم مراحل تاريخه الحديث تتميز فيما تتميز به بحشد القوى الوطنية وراء العاهل الكريم لتطوير المجتمع وبناء قاعدة متينة للاقلاع الاقتصادي واقامة أسس الحياة النيابية على هدي من تعاليمنا الاسلامية وتقاليد الشورى والجماعة في مجتمعنا والنهوض بكافة مرافق الدولة تحديثا وتجديدا ، واحياء وتطويرا، والرفع من مستوى الانتاج الوطني في شتى حقول العمل والنشاط والحركة ، ومواصلة الجهد بداب وتواصل لتركيز دعائم النهضة على ارضية صلبة ووفق خطط بالغة الدقة مستوفية الدراسة ترمي في المقام الاول الى تحقيق التقدم وايجاد الرخاء في كنف العدالة الاجتماعية وفي اطار المشاركة الجماعية والتمازج والتعاون على ما فيه الخير والصلاح للوطن وللمواطنين .

● وتندرج هذه الجهود والمساعي والانجازات المحققة في اطار المشاركة الجماعية والتمازج والتعاون على ما فيه الخير والصلاح على الصعيدين الوطني والدولي لاقرار السلم والامن ، ولحماية مكتسباتنا الوطنية ، ولصيانة وحدتنا الترابية ، وللدفاع عن القيم والمقومات والمقدسات وللحفاظ على مكانة المغرب اشعاعا وتأثيرا ونفوذا وقوة ومناعة وصيتا وسمعة . وهي المعركة التي يتحمل العبء الاكبر فيها سيدنا المنصور بالله باعتبار جلالته قائد هذه الامة ورائد مسيرتها وحامي حمى الملة والدين فيها ورمز سيادتها وعزتها وكرامتها والمدافع الامين عن وحدتها مذهبيا وعقائديا ودينيا وترابيا ووطنيا وسياسيا واجتماعيا .

●● ويمضي المغرب في هذا الطريق اللاحب الذي لا عوج فيه ولا أمت ، يواجه الصعاب ويكابد الاهوال ويحبط المؤامرات ، ويثبت في ساحة الجهاد والكفاح الوطني ، ذلك الثبات الراسخ الذي ينبثق من ايمانه بربه وبقدره وبثقته في نصر الله وفي وعده الحق .

● ولعل أبرز معلمة في مسيرة جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله هذا التوافق المحكم ، وهذا التلازم المطرد بين التشبث بالعقيدة الاسلامية والتمسك بالكتاب والسنة والالتزام بالجماعة ووحدة الصف ، وبين الاخذ باحدث اساليب الحكم والادارة والتسيير ، والتخطيط والاشراف والتدبير ، سواء في ذلك الجانب التنظيري الذي يقوم على استلهام روح العصر والافادة من خبرات الشعوب والامم ، أو الجانب التطبيقي الذي يستند على العلم والتكنولوجيا والانفتاح على الآفاق الخارجية للاستئناس بتجارب الدول ، والاقتباس من كل ما من شانه ان يقوي تجربتنا ويثري نهضتنا ويرفع مقامنا العلمي والاقتصادي ، ويعلي من شاننا بين الدول الشقيقة والصديقة كدولة ذات حضارة ومجد ورسالة ودور بالغ الايجابية شديد التميز في الاشعاع والتنوير .

●● والحق الذي لا مراء فيه ان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وهو يخطط ويبني ، وينظر ويطبق ، ويستلهم من الماضي ويستوحي من الحاضر ويستشرف المستقبل ، ينهج النهج الاسلامي السليم ، ويلتزم الحق والصدق ، ويسلك بشعبه سبل الرشد واليسر ، في خطوات بالغة الانضباط ، وفي ثقة بالنفس لا تضاهى ، وفي تحد شديد لعوامل الياس والاحباط ، وفي اصرار قوي على بلوغ الغايات السامية وتحقيق الاهداف الغالية .

● وانها مسيرة جلالة الملك الحسن الثاني المباركة على طريق الاسلام الحق ، والعلم الصادق ، والشورى الرشيدة ، والحكمة التي تهدي سواء السبيل .

●● وفي الذكرى الخامسة والخمسين لميلاد جلالة الملك لا يسعنا الا ان نستعرض امامنا شريط المنجزات والاعمال والمواقف العظيمة التي حققها جلالته حفظه الله لهذا البلد توحيدا وتطويرا وترشيدا وتحديثا على هدي من ديننا الحنيف وشريعتنا الغراء .

دعوة الحق

دعم جديد لرسالة المجالس العلمية الاقليمية

جلالة الملك الحسن الثاني يعين رجال السلطة المنسقين بين المجالس العلمية والعمالات والأقاليم



استقبل جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مؤخرا رجال السلطة المنسقين بين المجالس العلمية والعمالات والاقاليم . وبهذه المناسبة خاطبهم جلالة الملك حفظه الله بكلمة توجيهية سامية قال فيها :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

معشر القواد اننا قررنا أن نعينكم بجانب كل اقليم بل بجانب كل عامل في كل اقليم وبالاسبقية في الاقاليم التي توجد فيها المجالس العلمية ، ذلك لتكونوا بجانب العامل ولتكونوا صلة بينه وبين المجلس العلمي للاقليم ولتعينوه بما اتاكم الله من سلطة على القيام بحدود الله ، لا تلك الحدود الضيقة الغامضة الرجعية ، بل لفهم وتفهم كلام الله وسنة رسوله .

«.. فمن الآن لا أريد أن أسمع أن خطبة في أي مسجد من مساجد المملكة خرجت عن إطارها أو أن مشعودين صلّوا جماعةً دون جماعة.»

وقد اخترناكم بالخصوص نظرا لما لكم من علم بالعربية ونظرا لتكوينكم في القرويين : في كلية الشريعة او في كلية اصول الدين ، وهذا التكوين هو الذي سيجعلكم توفقون وذلك دائما تحت اشراف العامل وبنصيحة وتوجيه من رئيس المجلس الاقليمي، ان توفقون دائما بين الحريات الشخصية والحريات العامة ، وبين عدم اظهار البدع وعدم استفزاز مشاعر الناس والتمسك بالكتاب والسنة والجماعة .

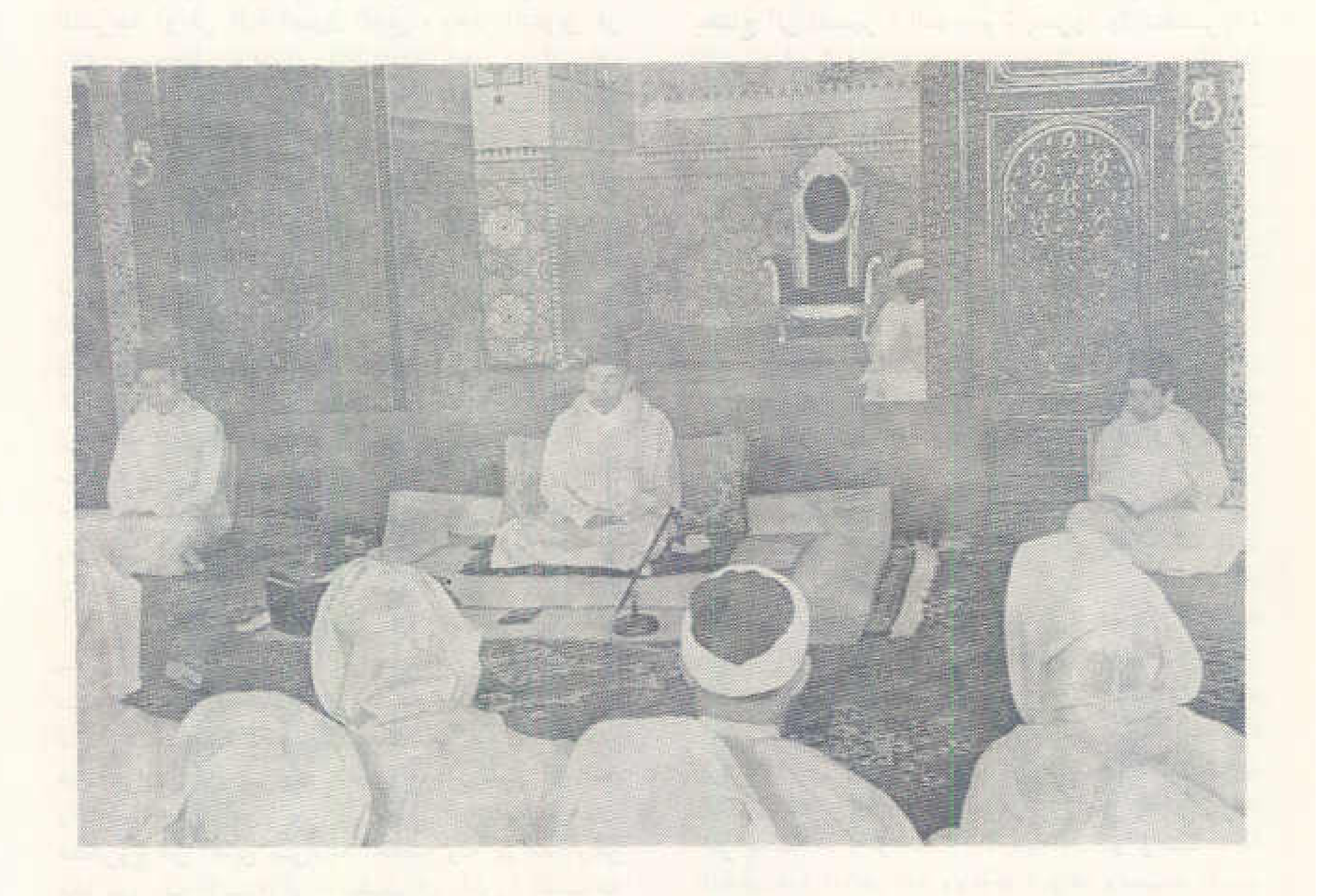
فاذا انتم احكمتم سلوككم وطريقتكم في العمل فستكونون بجانب العامل عن الاقليم ورئيس المجلس العلمي للاقليم بمثابة ذلك العالم الذي يستنكر المنكر ولكن بقلب ؛ اما السلطةالتنفيذية فهي للعامل عن الاقليم فهو الذي طبقا للقانون وفي اطار القانون يمكنه بل يجب عليه ان ينهى عن المنكر بيد ؛ وهذا ما نسميه فصل السلط ، وفي التمييز بين هذا وذاك هنا ياتي دوركم ، دور الاستشارة ، ودور اعطاء الراي وفي بعض الاحيان حتى دور التنفيذ اذا اعطاكم عامل الاقليم الامر بهذا .

فمن الآن لا اريد ان اسمع ان خطبة في اي مسجد من مساجد المملكة خرجت عن اطارها او ان مشعوذين صلوا جماعة دون جماعة ولا شبه هذا كله، اما انا شخصيا لا اخاف ولا اتخوف من هذا ؛ فالدين هو اعلى من كل شيء ، والخروج عن الدين هو ابعد واكثر ولا يخرج من الدين كل من اراد ان يخرج منه ؛ فالخروج من الدين شيء له احكامه وله قواعده ولكن هذا من باب الاستفزاز ، فعليكم ان تاطروا المساجد بخطابها ومدرورها ومن يعمل فيها حتى يكونوا من الناس الذين يأمرون بالمعروف لا مباشرة ولكن منهم من يقول لكم فلان او جماعة فلان فعلت كذا وكذا وانتم اذذاك بما اتاكم الله من معرفة لكم التقدير ، واذا فاتكم التقدير درس اليوم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، ترجعون الى المجلس العلمي ، واذا قال المجلس العلمي ان هناك بدعة من البدع ترجعون الى العامل ، والعامل اذذاك بسلطته التنفيذية ثم السلطة القضائية من بعد اذا اقتضى الحال يعمل الواجب ، وان لم يكن هناك أي امر من شانه ان يشوش البال فلا مشكل ، ويظهر ان كلامي واضح ولا يحتاج الى تفسير ، المهم : بشروا ولا تنفروا ، النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب الا اذا انتهكت حرمات الله ؛ ليس في كل حاجة ترجعون الى العصى او الاضطهاد ، لا نغلق اندية ولا نغلق مسابح ولا نرجع الى الوراء ابدا ؛ انا اتكلم فيما يخص العبادات ، المعاملات والسبرات لا تهمكم ، لا تهمكم السيرة في الازقة ، والعربدة في الطريق وغير الحشمة في الطريق ليست في النطاق ؛ فالشرطة موجودة والقوانين موجودة .

فنطاقكم هو العبادة ، العبادات بمعنى ما جاء في كتاب الله وما جاء تفسيرا في سنته ووحدة المذهب وهذه اؤكد عليها جدا جدا ، المذهب المالكي لان منذ المولى ادريس الاول قدس الله روحه واثابه الله على قدر ما فعل بهذا البلد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في الرجل الصالح ولان يهدي الله بك رجلا واحد خير لك مما طلعت عليه الشمس ؛ فالمولى ادريس الاول طيب الله ثراه لم يهد الله به رجلا واحدا بل هدى الله به شعب المغرب والشعوب الاخرى التي جاءها الاسلام عن طريق المغرب بحيث المهم في هذا كله والمولى ادريس طيب الله ثراه مولاي ادريس الاول قرر منذ اليوم الاول وحدةالمذهب ومنذ ذلك ليوم والمغرب متماسك الاطراف والوحدة الترابية ، والوحدة الدينية ، والوحدة المذهبية ، اعانكم الله ووفقكم ؛ واذا وقعت لكم مشكلة او سوء فهم في حال من الاحوال او وقع عندكم اضطراب او تساؤل هل هذا من ميداننا ام لا فلترجع الى وزير الداخلية او وزير الاوقاف ، الآن لا نحتاج لا لشد الرحال لا بالبغال ولا بالجمال ، لهاتف موجود والتلكس موجود ؛ واذا كانت لديكم مشكلة فستجد الحل في الدقيقتين او في الدقائق الموالية .

الله سبحانه يوفقكم وكلكم سميتم في شهر رمضان هذا طالع خير . والسلام عليكم .

الدّروس الحسنية الرّمضانية



بمناسبة شهر رمضان المعظم أشرف أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني على سلسلة من المحاضرات والدروس العلمية والدينية برحاب القصر الملكي بالرباط . وذلك جريا على عادة جلالته في مثل هذا الشهر الكريم .

وقد أفتتح السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري هذه الدروس بدرس قيم تناول بالشرح والتحليل الآية القرآنية الكريمة : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة » الاية .

وقد ادار السيد الوزير درسه حول موضوع (سماحة الاسلام) من خلال هذه الآية الكريمة .

وقد استهل الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري درسه الديني بالحديث عن سبب نزول الآية مع شرح الالفاظ الواردة فيها استنادا الى بعض الاحاديث النبوية واقوال العلماء .

واوضح السيد الوزير ان المفسرين اختلفوا في شرح هذه الآية بسبب الاستثناء الوارد فيها « الا اللمم » وقسمه الى نوعين استثناء منقطع وهو غير مغفور واستثناء متصل وهو مغفور .

وقال ان الاختلاف في تفسير الآية يتجسد في ثلاثة اتجاهات ، اولها متفائل بالرجاء في الله وبحسن الظن فيه ، والثاني متشدد يشفق من الاتكال على المغفرة مما يؤدي الى انحلال عروة الدين وتهاون الناس في طاعة الله .

اما الاتجاه الثالث فهو اتجاه وسط يفرق بين الحالات حيث ياتي التبشير بالمغفرة في حالة الرجاء وياتي الزجر في حالة الخوف من الاندفاع في ارتكاب المعاصي .

ولاحظ الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري ان الاتجاه الاول هو الاصل بينما الثاني والثالث مكملان له . وقال ان هناك دلائل كثيرة على كون الاتجاه الاول هو الاصل منها تاكيد القرءان على ضعف الانسان واسلوب القرءان في التادب في الخطاب وحسن ظن العبد بالله من حيث صفاته واسمائه الحسنى .

وابرز الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري ان اسلوب القرءان الكريم يؤدي الى فهم الدعوة كما يجب ان تكون اعتبارا لكون المعروف يقدم دائما على المنكر ولان المعروف في حد ذاته نهي عن المنكر . وقال « ان الامر بالمعروف فيه افتراض لان الاصل في الانسان هو المعروف » مبرزا ان هذا هو الاسلوب الايجابي لانه يعتمد البناء لا الهدم .

واورد السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية دليلا آخر على تسامح الاسلام وهو تغليب الترغيب على الترهيب في القرءان واعطى احصاء شاملا عن مختلف الالفاظ الواردة في كتاب الله تعالى حول ما يفيد الخير والشر مبرزا ان الالفاظ التي تفيد معنى الخير غالبة فيه على عكسها .

وفي هذا الصدد أيضا اشار الى ان النسخ في القرءان الكريم يسير دائما من الحسن الى الاحسن ومن الخفيف الى الاخف ومن اللطيف الى الالطف .

وذكر انه اعتبارا لكل الادلة الواردة فانه يتاكد من ذلك الوجه المشرق للاسلام كدين العفو والصفح والتسامح .

والقى الدكتور محمد الحبيب بلخوجة مفتي الديار التونسية درسا دينيا امام جلالة الملك الحسن الثاني تناول فيه موضوع (سبل التغيير) .

والقى الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الازهر الشريف درسا دينيا مماثلا شرح فيه الآية الكريمة (فاسالوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) الآية .

كما القى الاستاذ ابراهيم جوب من علماء السينغال ومستشار رابطة العالم الاسلامي في افريقيا الدرس الرابع حول موضوع : « حقائق عن الدعوة الاسلامية »

وقد وشح جلالة الملك صدر المحاضر بوسام الكفاءة الفكرية .

والقى د. احمد الخمليشي درسا دينيا حول موضوع : «منهج الفكر القانوني في الفقه الاسلامي» .

حضر هذه الدروس الى جانب جلالة الملك صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيد ، كما حضرها اعضاء الحكومة ومستشارو جلالة الملك وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية والسفراء المسلمون المعتمدون بالرباط ورؤساء المجالس العلمية الاقليمية وسامي الشخصيات المدنية والعسكرية .

وقد نقلت الدروس الحسنية مباشرة من القصر الملكي بواسطة الاذاعة والتلفزيون حيث تمكن المواطنون من تتبعها والاستفادة منها .

الذكرى الرابعة والعشرون لوفاة فقيد العروبة والإسلام وبطل الحرية والإستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه

احتفل المغرب بالذكرى الرابعة والعشرين لوفاة جلالة المغفور له محمد الخامس (رمضان 1380 ـ رمضان 1404) . واقيم بهذه المناسبة حفل ديني كبير بضريح محمد الخامس حضره الى جانب جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيد وأعضاء الحكومة وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية و السفراء المسلمون المعتمدون بالرباط والعلماء وسامي الشخصيات المدنية والعسكرية .

كما حضر هذا الحفل الديني فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الازهر الشريف .

وبعد الانتهاء من تلاوة الامداح النبوية في جو ديني مشبع بالايمان والتقوى تقدم الاستاذ الحاج احمد بن شقرون عميد كلية الشريعة ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس فالقى بين يدي جلالة الملك حفظه الله كلمة التمس فيها من جلالته التفضل بايلاء عنايته السامية لخزانة القرويين حفاظا على كنوزها العلمية وحماية لنفائسها النادرة .

واثر ذلك القى جلالة الملك نصره الله كلمة توجيهية سامية قال فيها :



الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

حضرات العلماء اعضاء المجلس العلمي الاقليمي لفاس والاقليم .

انتا متاثرون جدا بالصرخة التي صرختم بها لانقاذ خزانة القرويين ولا أحد يعرف قيمة هذه الخزانة مثل عبد ربه الضعيف هذا حيث رباني والدي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته في احترام العلم والعلماء على الحفاظ على الكتب والمصنفات . فعلا ان الخزانة الفاسية القروينية تحتوي نفائس في جميع الفنون ومن جميع العصور ومن جميع اجناس الكتاب والمصنفين .

وهكذا لم تعد خزانة القرويين خزانة فاس وحدها بل يمكن ان نقول انها اصبحت خزانة التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية المفتوح منها له لكل

رائد اراد ان يرتوي من مكنونها وان يرفع تاج الاسلام والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم وذلك بابراز ما قاموا به وما نقشوه في صدور من خلفهم من العلماء الى يومنا هذا من علوم شتى وفنون مختلفة .

اننا نعلم أن نداءكم هذا هو نداء خطير جدا ليس فيما يخص وزنه وثقله المادي بل فيما يعنيه من جسامة الامانة ومن الوجوب على الاسترسال على الحفاظ والرعاية ، وبعد التفكير الطويل والبحث الدقيق وحتى يمكن لعبد ربه الضعيف هذا ان يكون وفيا لكم ولجميع رواد العلم في العالم الاسلامي كان من الواجب أن اتروى كثيرا قبل أن اعطيكم الجواب .

والجواب هو كما تعلمون لا يمكن الا ان يكون نعم ، الا ان نعم هذه لم تخرج عفوا ولم تخرج ارتجالا بل كانت نتيجة حوار بيني وبين ضميري وبيني وبين من ساختاره واصطفيه بعون الله سبحانه وقدرته القيام بهذه الرعاية والسهر على استمرار هذه العناية وللجدارة بالصيانة .

الا انني أطلب منكم مهلة من الزمن لاجد في قصرنا العامر في فاس الذي هو في آن واحد دار جميع المغاربة فاسيين كانوا أم غير فاسيين لاجد لها واهيء لها جناحا يجهز التجهيز اللازم .. التجهيز العصري الذي يضمن لهذه الخزانة اولا السعة ويضمن لها جميع شروط الحفاظ عليها والاستمرار .

ولا بد لنا من ايجاد مختبر خاص ولا بد لنا من خلق جناح خاص بالترميم ولا بد لنا من ان نحيط هذه الكنوز بجميع وسائل الوقاية اما من الحشرات واما من بني آدم ، ويجب أن يكون هذا الجناح من القصر الملكي قابلا بأن يكون مفتوحا صباح مساء أمام الزوار وأمام رواد العلم وامام من اراد أن ينهل من ذلك المنهل وأن ينير طريقه وسبيله بتلك النفائس التي خلفها لنا آباؤنا واجدادنا .

وكثيرا ما نفتخر نحن العرب بهذا البيت :

تلك آثارنا تدل علينا
فانظر وابعدنا الى الآثار

ونعني بهذه الآثار تلك المبنية أو الهياكل المادية او الحجارات المنقوشة .

وانني اعتقد أن آثار خزانة القرويين هي أثمن الآثار بان يستشهد بها نحن المغاربة على أصالتنا اولا وعروبتنا ثانيا وتعلقنا بالاسلام ثالثا وبهويتنا الخاصة التي نمتاز بكونها هوية مغربية وليست هوية مخضرمة ولا مختلطة .. هوية صرفه اراد الله سبحانه وتعالى أن تكون مصاغة في اطار من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفقنا الله جميعا الى الخير ويسر لنا سبيل النجاح ، ومرة أخرى أشكركم على الثقة الغالية التي وضعتموها في عبد الله الضعيف أمير المؤمنين والذي من واجباته حماية الملة والدين .

وبعملنا هذا سنحاول مرة أخرى أن تكون بارين بقسمنا مدركين ومحترمين لالتزاماتنا الدينية والدستورية ، أعاننا الله جميعا على ذلك واطال بقاء هذه الخزانة وما يماثلها واطال أسرة من سيزورها وينتفع منها مغاربة كانوا او غير مغاربة حتى نعيد لهذا الدين عزته ولهذه الحضارة اوجها وحتى نعيد لحرمتنا كمسلمين اولا وكعرب ثانيا نعيد للغة الضاد ما يجب لها من احترام وما يجب ان نحيطه بها من تحليل بخطورتها اذا هي كانت مجهولة من لدن المسلمين .

الجهل باللغة العربية هو الذي ادى بالرهبانية تلك الرهبانية التي يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم : لا رهبانية في الاسلام ، واسباب ظهور الفساد والخروج عن الجماعة وشق عصا الطاعة عن السنة هو الجهل باللغة العربية .

فحفظ القرءان لا يعني فهم القرءان وهكذا منذ العصور والاحقاب تكونت بفضل « وان كان الفضل في غير محله » بسبب جهل المسلمين للغة العربية تكونت طبقة خاصة من الذين يعرفون الكتاب ويعرفون سنة رسول الله ، فما دامت الشعلة الاسلامية طاهرة طيبة حية نقية لم تكن تلك الطبقة من الطبقة الضارة والضالة ولكن خمود نار الايمان وانتشار المادة وتعرف العرب على شعوب كانت لها حضاراتها وآلهتها واديانها وبعد ما تفككت الاواصر بين الحاكمين والمحكومين اصبحت بعض الجهات من العالم الاسلامي غير العربية تئن وتحن الى معتقداتها او الى بعض معتقداتها فصارت تصنع الاحاديث وترويها على من أراد ، وتفسر القرءان كما أرادت .

> «... الجهل باللغة العربية هو الذي أدى بالرهبانية، تلك الرهبانية التي يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم: لا رهبانية في الاسلام. وأسباب ظهور الفساد والخروج عن الجماعة وشق عصا الطاعة عن السنة هو الجهل باللغة العربية.»
>
> جلالة الملك الحسن الثاني

فاصبحت بعد ذلك الامة الاسلاميــــة امـــة لا اقول ضالة ولكن مضللة واصبحت فيها فرق وشيع افرغتها من طهارتها الاولى وعكرت نعيــم كوثرهــا الاصيل وجعلت زيد وعمرو يتلاعبون بالحديث والآيات ويحرمون ويحللون حتى راينا اليوم المسلمين حينما يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله « علما منهم بأن محمدا (صلعم) خاتم الانبيــاء » يختلفــون في جوهــر الشهـــادة .

وذلك ان عند بعض المسلمين سيدنـــا محمد صلى الله عليه وسلم ليس خاتم الانبيــاء ولا آخــر المرسلين ، وهكذا وصل بنا التعكيــر الى التنكيــر والجهل الى الاشراك .

ولهذا كنا في المؤتمر الاخير للدول الاسلامية بالدار البيضاء قد ناشدنا جميع الدول الاسلامية بان نعطي لدراسة العربية ما يجب لها مــن حصص في المدارس والكليات حتى نمحو هذه الطبقة الرهبانية التي نفاها النبي صلى الله عليه وسلم وان كان اميــا صلى الله عليه وسلم فاحاديثه هي منهــل النحــو والبلاغة حيث انه قال : « لا رهبانيــة في الاسلام » نفيا باتا وجملة واحدة لا تتلوها اية جملــة اخــرى لا لتفسيرها حتى تنقص منها او تعطي المجال للآخرين لتفسيرها حكم حكما باتا لا استئناف فيه ولا نقض ولا ابــرام .

« لا لا رهبانيــة في الاســلام » .

اعاننا الله سبحانه وتعالى ان نكون اولا واعين تمام الوعي بهذه الثغرة الخطيرة التي وقعت في العالم الاسلامي والتي هي الآن لا تمتلىء طينـــا ولا تربــة تنجب الحياة وتنجب العلم والثقافة والحضارة بــل اصبحت ثغرة وثغرات تملأ يوميا بدماء المسلمين في حرب اخويــة مجرمــة .

فالله سبحانه وتعالى ندعو ان يهدي كلا مــن ايران والعراق .. فلا يمكننا كمسلمين ان نفضل هذا على ذاك ، يمكننا كمسلمين ان نقول لهذا معك الحق ولهذا لست على صواب « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ... » ونقف هنا .

فعلينا ان نستمر في بذل كل الجهود الحميدة لرأب الصدع ولوصل ما امر الله به ان يوصل ، وعلينا ان نتضرع لله سبحانه وتعالى وان نسأله ان يجمع بين قلوب المسلمين ويوحد صفوفهم ويجعلهــم في الارض ومن الآن خلفاءه ويجعلهم تلك الامة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ان الله سبحانه وتعالى لم يخيبنا ولن يخيبنا ، وانا لنرجوه في هذا الشهر المبارك ان يظهر علينا من خيراته وفضائله وجماله وكرمه ما هو به جدير ، انه سميع مجيب . والسلام عليكم ورحمة الله تعالــى وبركاتــــه .

في ركاب المغرب الجديد :

معالم من الاختيار الثابت لتحقيق الوحدة في المغرب الحسني

للأستاذ زين العابدين الكتاني

سيبقى المغرب الى ما شاء الله يتميز بانه وطن الاختيار .. ويتميز الاختيار الثابت لتحقيق الوحدة في المغرب الحسني بوضوح معالم الاختيار ، واصالة المنهج الذي ينطلق منه هذا الاختيار الذي اصبح الآن يتوفر على معطيات ، وآفاق ، وعناصر تستهدف وضوح المقاصد الوطنية ، والتزام التمسك بمبادىء وحدة منظمة الوحدة الافريقية ، من أجل تحرير افريقيا ، ويعطي لاستقلالها معناه النهائي الذي توخاه بوعي واقتناع المحررون .. خصوم الاستعمار والاستغلال والانفصال ... وهو ما نحاول الكشف عن بعض معالمه في هذه الدراسة بمناسبة الذكرى 55 لميلاد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

لقد كان النص الوارد في ديباجة الدستور المغربي الذي ينص صراحة على : « ان المملكة المغربية تجعل من بين اهدافها تحقيق الوحدة الافريقية .. » صداه البعيد سواء داخل افريقية او خارجها كما أثار كثيرا من نقط الاستفهام عند عدد آخر من المعلقين الذين أدركوا في عمق اهداف المشرع المغربي الواضحة .

واذا كان المغرب الافريقي قد قام بأدوار قيادية مختلفة في المجالات التي تتصل بافريقية ، فان الانطلاقة التي فجرها المغرب وهو يدعو سنة 1961 الى مؤتمر الدار البيضاء الافريقي بالخصوص لم يستهدف منها الا تخطيط المستقبل ايمانا من المغرب ـ كما قال جلالة الحسن الثاني ـ في مؤتمر الجزائر الافريقي في سبتمبر 1968 : « باننا أمة واحدة ، واسرة واحدة ، ليس في امكان اي واحد منا ان يفر من هذه القارة » .

* * *

(1) دستور سنة : 1970 .

وهكذا كانت الخلافات التي وقعت لحد الآن في مختلف نقط القارة الافريقية عقب استقلال دولها بين عدد من الجارات نتيجة للتقسيمات التي احدثها المستعمرون ، ورفضا للتخطيطات التي هياها هؤلاء بالامس لحدود عدد من الدول تحت تاثير عوامل تمت بعضها بصلة للكنيسة ، وبعضها تستهدف الحفاظ على المخطط الاستراتيجي لاستغلال افريقية ضمن اسواق الدول الاستعمارية وغيرها من الحركات التي تستهدف (ابقاء المارد الافريقي) يغط في نومه ، غافلا عن وضعه ودوره المنتظر ، وغير آبه بالتطور السريع الذي يشهده العالم اليوم في كل لحظة نحو الخلاص والتحرر ...

لقد كان لهذه الخلافات اثر من جميع الدول سواء بصفة مباشرة او بصفة غير مباشرة . ان المغرب سرعان ما وقف في وجه هذا المشكل باسلوب قيادي هو نفس الاسلوب الذي خاض به معركة التحرر ، ومعركة بعث افريقية .. للانطلاق .

ولذلك فليس بدعا ، وليس من الصدف ان تؤثر كل حركات المغرب في الحياة العامة الافريقية لان اصالة المغرب في الاتجاه ، والتزامه لتخطيط ديبلوماسي قار هو الذي جعل المواقف التي يقفها وهو يخوض معركة الحرية والاستقلال تعمل عملها في الحياة الافريقية من جهة ، وتفتح الطريق امام دولها للاقتداء بها في مختلف الجهات .

واذاكان الاختيار الديبلوماسي المغربي يقوم في سياسته الخارجية في افريقية بالخصوص على اسس تهدف في عمقها الى :

ا – تحقيق التفاهم .

ب – والتعاون فيما بينه وبين دول القارة ، فان هذا التخطيط يستهدف من وراء ذلك كله الخير لافريقية كلها ، ثم لان المغرب بوضعه الجغرافي جزء من افريقية ، وصلة وصل بينها وبين العالم الخارجي، تربطه بها – زيادة على الناحية الجغرافية – علاقات دينية واتنولوجية ، وتاريخية ، وتقاليد ومصالح واهداف مشتركة ، ولهذا اقام سياسته الافريقية بل واختار ذلك على اساس الرغبة الصادقة في :

1 – تحريرها من كل استعمار مكشوف او مقنع .

2 – حق تقرير مصيرها .

3 – ابعادها عن الصراع الدولي بين المعسكرين الشرقي والغربي .

4 – احترام انظمة كل دولة وسياستها الداخلية ، وصيانة استقلالها ووحدة ترابها .

5 – التعاون المثمر الصادق معها في الميادين المختلفة .

وتتجلى ابعاد هذه الاختيارات وهذه المبادىء في الخطوط العامة لسياسة المغرب في افريقية بالخصوص وفي كل خطواته التي خطاها في هذا المجال .

ومن هذه الاعتبارات بل والاختيارات نجد ان الضرورة التي دعت الى تأسيس منظمة الوحدة الافريقية هي ضرورة الوحدة التي تؤمن بها شعوب افريقية كلها ، وهي الضرورة التي تمهد لها الطريق للاجتماع حول مائدة مستديرة واحدة كلما دعت لذلك، فالاجتماعات التي تعقدها هذه المنظمة لها عاملان اساسيان هما :

اولا : رعاية البعث الافريقي .

ثانيا : القضاء على المخلفات الاستعمارية ، والخلافات الناتجة عنها .

* * *

والذين تتبعوا كل اعمال مؤتمرات القمة الافريقية ، وكل لقاءات الافارقة منذ وضعت الخطوط الاولى لاجتماعها ، لا شك انهم لاحظوا الخيوط الجديدة التي نسجتها اعمال الاقطاب في هذه المؤتمرات منذ اخذت تعقد الاجتماعات المتواصلة المتتابعة ..

واذا ما انتقلنا للبحث عن هذه الجوانب بين الخيوط الجديدة في اعمال هؤلاء الاقطاب ، فاننا نجد ان هذه المؤتمرات قد وضعت في حسابها ثلاثة اسس:

الاساس الاول : جانب العاملين من اجل الوحدة وقيامها على اسس حقيقية واقعية ، أسس ترمي : **« الى تحرير بقية الاجزاء الافريقية ويعطي لاستقلال افريقية معنى نهائيا .. »** .

الاساس الثاني : جانب المتوسطين الذين يدابون على المحافظة على «العلائق» الطيبة ، والبحث عن حل للمشاكل المعلقة اولا وقبل كل شيء .

الاساس الثالث : جانب الذين يهدفون الى ابقاء الوضع الافريقي على ما هو عليه بل بقائه :

1 ـ على وضعه المرتجل كما خلفه المستعمرون .

ب ـ يقفون في وجه المقترحات الواقعية التي يمكن تحقيقها بالنسبة للوضع الافريقي في دولة الداخلية ، او مع الدول التي يرتبط معها بروابط اكدت الظروف ضرورة مراجعتها وتبديله على أسس اخرى ، ومتطلبات جديدة يتطلبها الوجود الافريقي .. وحاجيات القارة السائرة نحو تركيز مساعيها التحريرية في سيرها الطبيعي .. لخلق الكيان الافريقي ، والشخصية الافريقية بعيدة عن كل انحياز او تبعية ليمكنه ان يقوم بالدور الذي يصل بنا الى الحل الطبيعي الذي لا بد ان نصل اليه قريبا .. وأن نضع حدا لما تعيشه القارة من تناقض وارتباك ، بحيث يضيع عليها المحافظة على اصول نضالها ، ويضيع عليها كذلك كثيرا من الفرص والمناسبات التي تخدم واقعها ..

ج ـ الذين لم يفهموا بعد ضرورة اتخاذ موقف موحد ازاء عدد من القضايا ، وهو جانب اذا لم يكن يظهر للبعض بالمظهر الذي يبدو فيه لبعض دول القارة وللدول العربية بالخصوص ، فهو لا يعدو ان يكون جزءا من جانب اتجاه العملاء الذين يدابون على ابقاء المستعمر معنا وبين صفوفنا .. وهذا الجانب قد فصلناه عن جانب العملاء، لان هناك عددا من الدول اختارت اسلوبا معاكسا في زحمه النهضة التحريرية كما شاء المستعمر ، وتدعو الظروف لاقناعها بالاتجاه الانساني في هذا المجال لتتخلص من هذا الموقف المعاكس .

* * *

وهكذا نجد ان المغرب ايمانا منه بضرورة اهداف المنظمة الجديدة وتركيز وجودها في العمل الافريقي ساهم منذ ميلاد هذه المنظمة في كل الاجتماعات والمؤتمرات المتعلقة بافريقية مشاركة تميزت بأسلوبه الخاص وبمنهجه المستقيم ، وأبانت الايام وكل اللقاءات عن صدق بعد نظره .

ونتيجة لاعمال كل هذه المؤتمرات وانطلاقا من اهداف مؤتمر الدار البيضاء الافريقي في الحياة الافريقية بالخصوص وفي مدى التاثر الذي تركته مقرراته واهدافه على مختلف المستويات سواء في المجال الافريقي او في تحديد سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وبالرغم عما طرأ على الدول الافريقية من تطورات واتجاهات ، فاننا نجد الدكتور فيليبرفلة يقول في كتابه (2) الهام حول هذا المؤتمر ما يلي : « **وقد نجح مؤتمر الدار البيضاء في تجميع جهود الافريقيين لمواصلة الكفاح ضد الاستعمار ... وكانت قراراته بالاجماع** » خصوصا وان افريقية كلها قد امنت وتاكدت ـ كما قال جلالة الحسن الثاني (سنة 1962) في خطابه الموجه الى مؤتمر لاغوس : « ان الخطة التي رسمناها لانفسنا ، وميثاق الدار البيضاء الذي سنظل اوفياء مخلصين له ، يفرضان علينا ان لا ندخر وسعا ، ولا نتاخر عن بذل أية تضحية لتحقيق المبادىء التي قام عليها الميثاق ، ونصرة الحرية والرقي والعدالة الاجتماعية ، سواء داخل حدودنا او في مجموع القارة الافريقية » .

* * *

وهكذا ولما كان مؤتمر القاهرة للقمة الافريقي نقطة تركيز للتخطيط الافريقي ، فان مواقف المغرب في هذا المؤتمر كان لها اثرها في الاتجاه الافريقي على العموم ، ومن هذه المواقف الموقف الذي اتخذه المغرب داخل قاعة الاجتماع .

نعم ان هذا الاتجاه الذي سيطر على المغرب ومجموعة اخرى ليس هو الاتجاه الذي سيطر على باقي الدول ، وان كان البعض كان يهدف خوض معركة القيادة فان دوافع حسن النية ، وبغية التعرف الى باقي الوفود كانت أسمى مظهر عند هذا الجانب ، اما هذا الاتجاه والتخطيط الذي اصبح اختيارا فقد اوضح :

(2) (الجغرافية السياسية لافريقية) المطبوع سنة : 1966 .

أولا : اصالة هذا الاتجاه في المشكل الافريقي المغربي وقدرته على القيادة ..

ثانيا : اكد ان المؤتمرات لم تنعقد لالقاء الخطب الرنانة الطويلة وانما تنعقد لدراسة المشاكل والاوضاع القائمة حتى لا يعود المجتمعون بهذه المنظمة الى الوراء ولان الهدف من تاسيسها كان يهدف الى هدفين اساسيين هما :

الهدف الاول : مساعدة افريقية على بعثها الجديد في الاتجاه الذي يضمن لها المحافظة على شخصيتها ووجودها وتخليصها .

الهدف الثاني : تخليصها مما يلتصق بها من انفصاليين ، وعملاء ، واشباههم من المستعمرين القدماء والجدد .

* * *

ومن اجل هذا الاطار الواضح ، ومن معطياته ، فان مواقف المغرب تتجلى في اننا – وكما عودتنا الحياة والتجربة – لا نقف موقفا لا يتفق والواقع الانساني . هذا بالاضافة الى ان شعور المغرب وموقفه كان هو موقف كل مواطن افريقي .

ثم ان المغرب اختار ان ينظر الى « منظمة الوحدة الافريقية » كمحطة آمال للشعوب الافريقية ، ولذا فهو يرى انها المرجع الوحيد لحل مشاكلها ، خصوصا وان ميثاقها يستهدف الى صيانة السلام والامن الافريقيين لتاكيد التضامن بين اممها ضد كل تحرك معاكس وللوصول بالمكتسبات التحررية الى حقيقة مستهدفة فنجد :

1 – ان اعلان ميلاد منظمة الوحدة الافريقية كان نقطة تحول كبرى في التاريخ الافريقي .

2 – جاء ميثاق اديس ابابا انطلاقة مدروسة للكفاح التحرري لطريق الاستقلال الكامل لكل شعوب القارة .

كما ان قيام التعاون البناء بين جميع دول المنظمة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية في نطاق المنظمة ليثبت لنا ان المنظمة قد سارت في طريق تحقيق اهدافها ، ولكن ورغم هذا التفاؤل فاننا نرى انه بالرغم من التقدم الهائل الذي احرزته حركة التحرير الوطني التي خاضتها الشعوب الافريقية ضد الاستعمار بكل اشكاله القديمة والجديدة في النصف الثاني من هذا القرن ، ورغم الانتصارات الهائلة التي حققها النضال الافريقي في هذه المدة فان افريقية في الحقيقة لا زالت لم تتخلص تماما من ذلك الداء الخبيث الذي استقر في جسدها زهاء قرنين من الزمان ، محاولا ان يبقى مستحوذا على خيراتها ، ويقطع اوصالها خصوصا وان الاستعمار لا زال قائما في صور ثلاث :

1 – لا زالت هناك جيوب ومراكز مستعمرة بكل ما في الكلمة من معنى .

2 – لا زال حكم الاقلية العنصرية قائما .

3 – حركات الاستعمار الجديد ، وهذا ما يجعلنا نتاكد ونؤمن بـ : **« ان الاقاليم التي لا تزال خاضعة للاستعمار في القارة خطر يهدد استقلال شعوبنا ومستقبلنا ، لان الاستعمار ينتهج استراتيجية ترتكز على الاحتفاظ بقواعد عسكرية في مناطق مختلفة من العالم يستخدمها كنقط يثب منها للاعتداء على حريات الشعوب ، ويمارس منها ضغوطه السياسية والعسكرية مهددا سيادة الدول الصغرى ، ويفرض عليها السياسات التي تتفق مع اهدافه ومراميه »** .

وهذا التدخل يخفي وراءه ايضا عاملين آخرين هما :

1 – حماية الكنيسة الصليبية .

2 – ومحاولة تفتيت وحدة كثير من الدول في مراكزها القوية ، وهذه العوامل لا تثار بهذه الصورة لاعتبارات ديبلوماسية ، ولو انها تكون في بعض الاحيان هي السبب المباشر في الانقضاض الاستعماري الغاشم سواء مباشرة او عن طريق معسكره المتحالف ..

* * *

وانطلاقا من آفاق الديبلوماسية المغربية المحددة كما أسلفت في هذا المدخل ، وتأكيدا لاهدافها الثابتة للاختيار المغربي في هذا المضمار سأرتكز على الكتاب الجديد (3) الذي صدر في حجم متوسط في : 163 صفحة والذي يتناول ما يلي :

— استفتاء التأكيد ، واسماء المرافقين للجناب الشريف في رحلته الى نيروبي ، والاستعداد للسفر والوصول .

— الحديث عن كينيا ونيروبي .

— اجتماع صاحب الجلالة مع لجنة المتابعة الخاصة ، والمقرر الذي صدر عنها بشأن الاستفتاء في الصحراء المغربية .

— قيام صاحب الجلالة بزيارة الى بيت الله الحرام لاداء صلاة الشكر والعودة الى الوطن .

— صدى الرحلة في الداخل والخارج .

— وثائق ومستندات تتعلق بالموضوع .

وقبل تناول موضوع الكتاب الذي يعتبر من الاهمية بمكان سواء بالنسبة لتاريخ المغرب ، أو بالنسبة لمعركة الوحدة ، حيث نجد المؤلف قام بجهود هامة لا يدرك أهميتها الا من يهتم بموضوع الدراسات التاريخية وخاصة في بلادنا ، سواء بالنسبة للتاريخ الحديث ، او السياسة الدولية ، لا بد من التوقف — كما ارى — مع التمهيد الذي اختاره المؤلف مع احدى خطب قائد المعركة الذي فاه به في يوليوز 1981 بقوله :

« .. ليس بامكاني ان اقول لمغربي اخرج من الصحراء ، وتلك جملة يستحيل ان تخرج من فمي ، واذا حدث وخرجت فستكون المرة الاولى والاخيرة التي يعصي فيها امري ... ولا اتصور مغربيا كيفما كان يعتلي عمارة عمومية لينزل منها الراية المغربية ».

اما بخصوص موضوع الكتاب ، او ما يدور حوله فاننا نجد المؤلف قد ركز الموضوع وعمقه في مدخله وهو الذي عنونه بقوله : (تأكيد الاستفتاء) حيث جاء فيه باللفظ :

« قبل ان يرجع جلالة الملك الحسن الثاني من نيروبي الى الرباط مساء يوم الاحد 28 يونيو سنة 1981 كان مؤتمر القمة الافريقي المنعقد في دورته الثامنة عشرة بالعاصمة الكينية بين يومي 24 و 27 يونيو وافق على الاقتراح الجريء الذي عرضه جلالته امام جمعه العام باجراء استفتاء مراقب بالاقاليم الصحراوية المغربية التي كانت الى يوم 28 ببراير سنة 1976 ترزح تحت نير الاحتلال الاسباني ، واصدر توصية كان من بين بنودها تكليف (لجنة متابعة) مؤلفة من سبع دول بالاجتماع قبل نهاية شهر غشت لوضع الترتيبات المتعلقة باجراء الاستفتاء .

وعند ما قام جلالته بهذه المبادرة التي ظلت طيلة اسابيع سرا خفيا تتكهن بحقيقته المحافل الديبلوماسية والاوساط الصحفية في العالم بشتى التكهنات كان يصدر عن أربعة دواعي :

الاول : العمل بالنصائح التي تقدم بها اليه عدد من رؤساء الدول الاسلامية والافريقية والاوربية ، وفيهم أصدقاء أعزاء على جلالته ، معروفون بصداقتهم الخالصة للمغرب ، ومسموعو الكلمة ، معتبرو الراي على الصعيد الدولي .

الثاني : ارضاء رغبات بعض الدول الافريقية المتمسكة بعدد من المبادىء والقواعد التي خرجت على أساسها الى الوجود الحر ، كمبدا (تقرير المصير) و (احترام الحدود الموروثة عن الاستعمار) (4) مع ان ما ينطبق على اكثريتها من هذه المبادىء والقواعد

(3) (مع جلالة الملك الحسن الثاني في نيروبي وجدة ومكة) المطبوع سنة 1401 هـ — 1981 م ، لمؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور .

(4) للمغرب راي واضح في هذا الموضوع لم يتغير .

لا يصح ان يطبق على المغرب الذي كانت له خـلال حقب التاريخ الطويلة حدود ثابتة يعرفها من مزقــوا اديمة المستعمرين الاوربيين ، يسكن داخلها شعـب اجتمعت كلمته على ان يبقى متماسكا موحدا ملتفـا حول سلطته العليا الشرعية التي تحكمت بارادتـه ، وتصرف اموره بمشيئته ، وعودتــه الى اقاليمـه الصحراوية هي عودة شرعية حصلت باتفاق دولـي وقعه مع الدولة المستعمرة السابقة وزكته (الجماعة) التمثيلية بمحضر آخر حاكم اسباني (كما هو ثابـت في المحضر الرسمي) .

الثالث : نفي السموم التي نفثتها افاعي الدعاية الجزائرية طيلة سنوات في عقول بعــض الــرؤساء الافارقة ، تلك الدعاية التي صورت المغرب في صورة الدولة المتجبرة الساعية في قهر شعب يريد الحياة الحرة والاستيلاء على ثرواته الطائلة ، اذ بالاستفتاء ستتاكد افريقيا ان الاطروحة الجزائرية باطلة مــن اساسها ، والامر لا يعدو عودة المغرب الى عدد من اقاليمه السليبة برضى اهلها كما عاد خلال ربع قرن الاخير الى اقاليم اخرى كانت سليبة شمالا وجنوبا .

الرابع : ايجاد مخرج مشرف للجزائر التـي ايقظت هذه الفتنة بدوافع توسعية ، وسارت فيهـا اشواطا يصعب التراجع فيها ، فقد اراد جلالة الملك ان يتحداها باستفتاء طالما رفعت عقيرتها مطالبة به، يقينا منه ان رعاياه المغاربة سكان الاقاليم الصحراوية سيعبرون خلاله عن تشبثهم بقوميتهــم المغربيــة واستمساكهم بسلطتهم الشرعية التي اكدوها خلال انتخابات جماعية واقليمية ووطنية وحرفية ، مثلما اكدوها بنضالهم المستميت ، ومقاومتهم المسلحـة للمستعمر ، واكدها آباؤهم واجدادهـم لسلاطيــن الدولة المغربية بعقود البيعة المنصوص عليهــا في كتــب الفقــه الاسلامــي .

* * *

هكذا ، وبين هذا الاستعداد لطيــب الــذي ابتهج به العالم اجمع ، وبشر الشعوب الافريقية بحل عادل مقبول لمشكلة من اعوص المشاكل التي هددت الامن والسلام في منطقة من اهم مناطق قارتهــم ، وبين اجتماع (لجنة المتابعة) لج حكـام الجزائــر في عتو ونفور ، وأولوا توصية مؤتمر القمة الافريقي تأويلا خاطئا وطالبوا المغرب ــ بالحاح وعناد ــ باشياء لم يطلبها منه المؤتمر الذي ضـم جمعــه حوالــي خمسين دولة ، مما دل على سوء نياتهم وتماديهم في سياستهم الانتقامية والتوسعية وخوفهم من الفضيحة عند ظهور نتائج الاستفتاء التي لن تكون الا مؤكــدة لمغربية الصحراء وسكانها .

* * *

اما المغرب فقد واصل صموده الذي لا تؤثـر فيه الحملات الانتحارية التي يدفع حكام الجزائــر مرتزقتهم الى القيام بها ضد مراكزه العسكريــة في الصحراء ، ولا المناورات الماكرة التي يقومون بهــا ويقوم بها بايحاء منهم بعض بيادقهم من رؤساء افريقيا القابضين على ازمة الحكم في بلدانهم بغيــر ارادة شعوبهم لالهائها عن المشاكــل العويصــة التــي تستفحل خطورتها في الداخل بمشاكــل خارجيــة مصطنعة ليسوا منها في قبيل ولا دبير .

كما واصل المغرب احراز مكاسب في الميدان الديبلوماسي ... اما طاقته العسكريــة ومقــدرة جنوده على صد العدوان ، والحاق اقدح الخسارات بالمعتدين فامر سارت بذكره الركبان ، ولا يحــوم حوله شك وارتياب ، حتى ان حكام الجزائر انفسهم لم يعودوا يحركون مرتزقتهم الا عندما يقرب موعــد اجتماع مؤتمر او الاحتفال بذكرى ، لمجرد تذكير من نسي ان هناك شيئا يسمى البوليساريو وحكومــة وهمية لدولة خيالية كما فعلوا يوم 23 غشت (1981) عندما هاجموا قرية المسيد مهاجمة انقلبوا فيها على اعقابهم مذمومين مدحورين .

* * *

ومما امتازت به ــ يقول الاستاذ بنمنصــور ــ الفترة الواقعة بين نهاية اجتمــاع مؤتمــر القمــة الافريقي الثامن عشر وبداية اجتماع لجنة المتابعــة المنبثقة عنه انشاء جلالة الملــك الحسن الثانــي لمجلس استشاري يتألف من شيوخ قبائل الصحراء ، وممثلي زواياها الصوفية وربطها الدينية ، وحركاتها الاجتماعية والثقافية ، شاركت فيه المراة المغربيــة الصحراوية بصورة بارزة وملحوظة لتقديم النصح الى جلالته كلما استشارهم في أمر يتعلــق بالاقاليــم الصحراوية او بدا لهم ان يقترحوا عليه سياسة او تدبيرا يكون في صالح الوحدة الوطنية او يتلاءم مـع

واقعهم الاجتماعي والقبلي الذي تدهور بفعل السياسة الاستعمارية خلال سنوات الحكم الاسباني ، ولتوطيد اركان اللامركزية التي ما فتىء جلالة الملك يبشر بها ، ويدعو اليها ، والتي لا يتحقق بدونها نماء بالسرعة المطلوبة ، هذا مع ما لسكان الاقاليم الصحراوية من ممثلين ونواب في المجالس المحلية والاقليمية والوطنية يسعون تحت سقوفها لانعاش جهاتهم وانمائها ويشاركون في تخطيط السياسة العامة ، ومراقبة الحكومة والحكام ، مثلهم في ذلك مثل سائر مواطنيهم في الاقاليم الاخرى .

* * *

وقد لوحظ ايضا ان حكام الجزائر قد عبأوا بيادقهم ومرتزقتهم وطاقاتهم خلال الشهرين الواقعين بين نهاية اجتماع مؤتمر القمة الافريقي الثامن عشر وموعد اجتماع لجنة المتابعة المنبثقة عنه والخاصة بالاستفتاء الذي اقترح جلالة الملك الحسن الثاني اجراءه في الصحراء ، فكثرت خطبهم ومقولاتهم الديماغوجية ، مثلما كثرت تصريحاتهم الملتوية المنحرفة التي من بينها تصريحات مغرضة متحيزة تكرر صدورها من وزير خارجية مالي احدى دول لجنة المتابعة ، وقد كان من واجبه ان يتجنب التحيز ويبتعد عن الهوى ما دامت دولته مكلفة مع ست دول اخرى من طرف مؤتمر القمة الافريقي بالبحث عن السبل السليمة والاجراءات القويمة لاجراء استفتاء حر وعادل يكشف عن رغبات السكان الحقيقية ، وكلما قرب الموعد ازداد تحرك الجزائر حتى خرج عن حد الخطب والتصريحات وتجاوزه الى ايفاد الوزراء وارسال البعثات الى الدول الافريقية السابحة في فلكها لتقديم واجب الاتعاب ، وتوزيع الادوار على الجوقة ، وكان القصد معاكسة المغرب بالذات ، وليس ايجاد حل عادل تستريح الدول الافريقية بعده من سماع سامفونية سمجة وتنصرف الى تقوية صفوفها ودرء الاخطار التي تتربص بها ومحاربة التخلف الذي تشكو منه في شتى الميادين ان لم تقل في كل الميادين ، وما كان المغرب القوي بحقه الواثق بعدالة قضيته ليهين او ليستكين امام مكائد ديكتاتوريي الجزائر وحكامها المستبدين ، فبقي وسيبقى صامدا كالطود الذي تكسر قرونها على جلاميده الوعول ، وقرر ان يشارك بشخص ملكه العظيم ذي الحجة البالغة ، والمنطق السليم في اجتماع لجنة المتابعة ليقدم ورقة عمل تكفل في وقت واحد تحقيق رغبات الاصدقاء وما للمغرب من اقتناع بحقوقه المشروعة ، من خلال استفتاء يؤكد مغربية الاقاليم الصحراوية المستعادة .

ومنذ رجوع جلالة الملك من مؤتمر القمة الافريقي المنعقد بنيروبي بعد الانتصار الباهر الذي احرزه المغرب بفضل تدخلاته والاعجاب الذي استقطبه من العالم بمهارة سياسته لم يفتا جلالته يعلن لخواصه عن عزمه الوطيد على المشاركة في الشوط الثاني اي في اجتماع لجنة المتابعة ، ثم اعلن ذلك للامة في خطاب وجهه اليها بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لثورة الملك والشعب .

* * *

الحدود .. المشكل بالامس واليوم !!

واذا كان المشكل في اساسه هو مشكل الحدود بصفة عامة ... فقد رأيت من المؤكد ان القي بعض الاضواء العامة على أساسه .. فالحدود كانت هي منطلق المتسربين بالامس ، وهي اليوم مشكل المشاكل .. ما دام العابثون ينطلقون من نفس المنطلق .. وهذا مشكل مشاكل عالم اليوم خصوصا بالنسبة للذين لم يدركوا بعد ماذا يعني هذا المشكل .. مشكل الحدود .

* * *

ومشكل الحدود المغربية بصفة عامة سواء منها الشرقية او الجنوبية هي جزء من مشاكل الحدود الافريقية التي تعتبر اسوا انواع الحدود الموجودة حتى الآن سواء بالنسبة اليها كمشكل من مخلفات الاستعمار ، او بالنسبة اليها كمشكل سيطرت عليه بعض العوامل الطارئة بعد حصول البلدان المعنية على استقلالها مما زاد في سوء هذا المشكل وزاد ايضا في تعقيد الوصول الى حل .. ارضاء لعقدة التاريخ او المولد للدول التي خرجت على أساسها الى الوجود الحر كمبدا تقرير المصير واحترام الحدود الموروثة عن الاستعمار .

واذ كان المغرب يستهدف في الوصول الى حل لهذه المشاكل عن طريق التعقل والرزانة والحوار

السلمي .. فاننا نود ان يبادلنا اشقاؤنا في افريقيا بالخصوص نفس التفكير لنكون على مستوى المسؤولية التي نتحملها في عالم اليوم ، عالم ما بعد التخلص من الاستعمار القديم والوقوف في وجه الاستعمار الجديد . ايمانا منا بان المشاكل التي لا زالت تعانيها القارة الافريقية هي مشاكل مختلفة ، واختلافها وتشابكها يجعل منها مشاكل اوليه في الدرجة الاولى ، مما يجعلنا نلاحظ مركزية هذه المشاكل في كل ما يعترض طريقها اليوم بدون غموض، وهذه المشاكل يمكن ان نلخصها فيما يلي :

أولا : مشاكل البلدان التي لا زالت تحت سيطرة الاستعمار المتعصب ، وتتمثل في دول وجيوب ومدن .

ثانيا : مشاكل الجنوب الافريقي التي سيطر اليوم على السياسة الافريقية من شتى نواحيها بمظاهر العنصرية المقيتة .

ثالثا : مشاكل الحدود بين البلدان الافريقية .

رابعا : عوامل الاستعمار الجديد التي تفرق بين الدول وخاصة الافريقية منها تحت مجموعة من العوامل والغطاءات المزعومة .

* * *

واذا كنا نعلم جيدا اثر هذه المشاكل على باقي المشاكل الاخرى التي تعانيها القاره الافريقية بصفتها قارة نامية في اغلب الجهات ، امكننا ان نلمس بشكلة التكالب الاستعماري والنهضة التحريرية التي لم القوى البشرية والواقع المر الذي تتخبط فيه نتيجة تتوقف بعد ..

ان قارتنا تواجه مشاكل اساسية نرى ان هذه المشاكل تؤثر في قيام القارة بالدور الذي ينتظر منها .. بل يعوقها ما دامت قائمة .. ومعترضة ..

واذا كنا كذلك اثر هذه الاحداث التي تخلقها المشاكل الثلاثة بالخصوص التي تعرضنا اليها اولا ، نستطيع اليوم ان نعلل المواقف الافريقية حيال السياسة الدولية ، ولكن الاحداث المتلاحقة خير ضامن للواقع الافريقي ، وخير مبشر بالمستقبل العظيم الذي ينتظر القارة السمراء التي تعمل للوقوف على قدميها ، ولا تعتمد على المستعمر ، ولا على ابقاء الباب مفتوحا في وجهه على كل حال ، ولو انه يحاول اليوم ان ينسل من بين الخطوط الامامية فلن يستطيع القيام بشيء ، ولن يستطيع الوصول لشيء، لاننا امةواحدة رغم النتائج القائمة اليوم فيما بيننا ، وفي قارتنا نتيجة احتكاكنا بالمستعمر ، ونتيجة لكبوتنا بالامس ، مؤمنين وعاملين دائبين انه لن يستطيع ان يصل لشيء ، ولن يحقق اي شيء ولو خلق انماط من (اسرائيل) جديدة ليزيد في خلق المشاكل امامنا ، ولتقف النهضة ، النهضة التحريرية التي تتمثل اليوم في حركة النمو والوحدة ، وسنظل مؤمنين عاملين بان اي (اسرائيل) كيفما كان شكلها واصلها هو عدوان مدبر ، وهو طريق الوصول لنفس المستعمر الذي تاكد من استمرار النهضة ويحاول .. ونحن نتاكد ونؤمن :

أولا : ان الاستعمار متحالف وراء التوسع الاسرائيلي ونشاطه على اختلافه .

ثانيا : ان (اسرائيل) لا تعبر عن (انسانية) ولكنها تعبر عن استعمار .

ثالثا : ان (اسرائيل) ستكون في المستقبل ، الوسيط بين افريقية والاطماع الاستعمارية والاستغلالية .

فاذن كل اتجاه افريقي لا يهدف الى التحرر ، ولا يهدف الى عدم التبعية في انتظار البعث الافريقي الموحد لن يصل بنا الى ما نسير نحوه .. وان كل متعاون لن يعيش بيننا ، ولن يظل قائما من بين دروب افريقية العظيمة وليس منا ، ولن يصل الى النتائج التي يهدف ، ولو كسب بعض الوقت وطفا على السطح ، وتلك حقيقة الوضع الافريقي ، وحقيقة التسلسل المتواصل في افريقية الذي يرتكز اول ما يرتكز على مشكل الحدود .

* * *

واذا كانت مشكلة الحدود بالنسبة للعالم مشكلة المشاكل ، وتحتل مركز الصدارة ، واذا كنا نتاكد ان هذه المشكلة بكل صورها ، وبمختلف اشكالها

وليدة الاستعمار ، وطريقة لبقاء المنفذ له في مختلف الامم ، وسائر الشعوب لتركيز الاستغلال والتبعية بكل اشكالهما وصورهما فان القضاء على هذه المشكلة العويصة مما يهدد اليوم التوازن الدولي باستمرار ، لان نفس الاستعمار يستمر في بث الشقاق من جهة ، وبعث مظاهر الخلاف من جهة ثانية ، والسماح للاستعمار الجديد تحت ستار التقدمية بالتستر ولو ان العملاء لا زالوا اليوم يختفون وراء بعض الشعارات .

وفي قارتنا الافريقية المتحررة النامية ، هذه المشكلة هي مشكلة المشاكل كذلك ، واذا كان الافارقة قد خلصوا استقلالهم السياسي كمرحلة اولى ليتخلصوا من الاستعمار الغربي بالذات فان ما قد خلصه الافارقة ليس هو ما استولى عليه هذا المستعمر بالامس ، ولان باستقلال اي قطر افريقي جديد تزداد القارة الافريقية تحررا وذلك لسبب واحد ، وهو ان التركة الاستعمارية طويلة .. بل وتتجدد مشاكلها باستمرار .

وهذه التركة غالبا ما تأخذ طابع الدولة المستعمرة (بكسر الميم) مما يزيد في الطين بلة بالنسبة للجارتين .

وهذه ناحية لها وحدها مشاكلها وتبعاتها الخاصة التي تقف في وجه الوحدة والاتحاد ما دامت هناك عناصر تؤمن بهذه التركة .. المثقلة بالصورة التي هي عليها .. لان ايمان الشعوب واغلب قادة القارة يؤمنون .. والى حد بضرورة الوحدة ، مما يخفي عنا آثار هذه المصاعب التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل ، غير الوضع الذي سقناه ، ويجب أن نصفي تركة هذا الوضع اولا وبسرعة .

* * *

والمشاكل التي تقف اليوم في وجه القارة النامية الناتجة عن نفس التركة الاستعمارية هي في الحقيقة على نوعين :

1) المشاكل الملموسة التي تلمسها في الاحداث التي نعيشها في مختلف نقط القارة ، وهي مشاكل تأخذ طابع الدولة المستعمرة حيث هناك :

اولا : مشاكل الحدود وما يتبعها وما يتصل بها من قريب أو بعيد ، ثم ما ينتج عنها وهذه المشاكل لها انواعها المختلفة فمنها :

أ ـ مشاكل الحدود المتداخلة .

ب ـ مشاكل الاجزاء المغتصبة .

ج ـ مشاكل الاجزاء المتنازع حولها ، كمشكلة الحدود .

2) المشاكل الموروثة كمشكلة الحدود المغربية الجزائرية والتي اخذت شكلها الخطير مع مولد الاستعمار في الجزائر .

ثانيا : مشاكل الاجزاء المغتصبة .

وعلى هذا الاساس فصل مشكل الاجزاء المغتصبة عن مشكلة الحدود ولو انها جزء من الحدود .

ثالثا : الاستعمار الاقتصادي الذي تنظمه الدول الاستغلالية والمتنافسة ايضا اليوم حتى لا تخرج افريقية المنبع الذي لا ينضب عن محيطها ، ولا تتحول عن أسواقها وفلكها .

وهذه النقطة بالذات نتأكد نحن الشعوب المتحررة النامية انها اساس للبقاء الاستعماري وركيزته لوجوده ما لم نضع لها حدا ، ونوقف مشاكلها وتبعاتها ، وهذا اهم مشكل افريقي على العموم ..

اما الصور الحقيقية لمشاكل الحدود بالمغرب فهي تتمثل في الصورتين التاليتين وهي كما يلي :

الصورة الاولى : مشكلة موروثة .

الصورة الثانية : مشكلة الاجزاء المغتصبة وهذه الصورة تضم صورا متنوعة .

وللمغرب في الصورتين معا ملفه الخاص الذي لا يستطيع احد رد حجة من حججه .. ولذلك يتجه اتجاه التعمق والهدوء في مطالبه لانه مؤمن ـ كما

قال محمد الخامس رضي الله عنه ـ :
« .. بحقه في استرجاع هذه المناطق بشواهد التاريخ والجغرافية ورغبات السكان .. » .

ولكن اذا كانت الرغبات الاستعمارية المتحالفة بين القديم والحديث والتحالف الصليبي قد خطت هذه الخطوط ، ووضعت هذه الحدود ، فان الذين كانوا ضحية هذا التحالف المكشوف بالامس قد ادركوا حقيقة التحالف والاهداف العميقة التي انبنى عليها مخططهم الفاشل ، لاننا اصبحنا نرى اليوم في وضوح وعمق ايضا ما هي مشكلة الحدود في وضعها الاستعماري والمتحالف سواء بالنسبة للاستعماريين او بالنسبة للصليبيين ، ولذلك وضعنا مشكلة هذه الحدود موضع الصدارة في اطارها العلمي التاريخي ولو ان الذين يتخوفون من عقدة التاريخ يؤمنون بالحدود الموروثة ويسبحون اليوم في محيطها الاستعماري وذلك ما سيرفع عنه الستار قريبا ، عندما تبرز اهداف الغزو الجديد ، وتنكشف حجب الشعارات التي يختفي من ورائها ، وهذه حقيقة رسالة الاجيال المقبلة بعون الله .

* * *

ونحن موقنون اليقين الكامل ان الاختيار المغربي الثابت لتحقيق الوحدة هو من الاختيارات الحسنية التي تؤكد بصورة قاطعة عزم المغرب على التخلص نهائيا من رواسب عهود الاستعمار الذي اراد أن يجعل من القارة الافريقية ميدانا للصراع ولو بعد رحيله .

واختيار المغرب الحسني أبطل ذلك وافسده وبين تهافته .

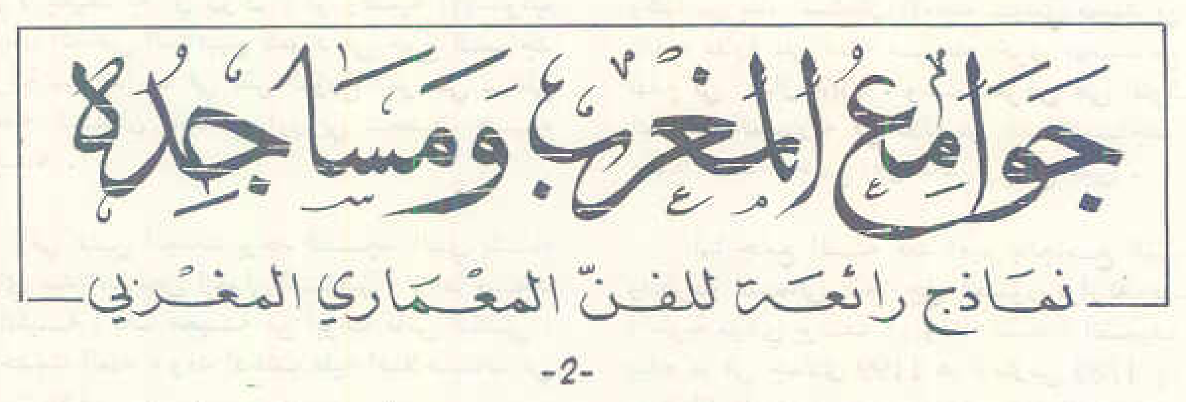
من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

شعبي العزيز،

أرادت الأقدار الالهية، والصدفة الربانية، أن أخاطبك في هذه الليلة، أفضل ليلة في الاسلام، تلك الليلة التي سادت على كل الليالي، والتي عبر عنها الرب سبحانه، بأنها ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، ليلة نزل فيها الفرقان، مفرقا بين الحلال والحرام وبين الحق والباطل، ليلة أنزل فيها القران، وذلك النزول كان معبرا عن عدة معاني : أولها محاربة الجهل والأمية. ومن حارب الجهل والأمية «إقرأ باسم ربك الذي خلق» تمكن إذ ذاك من أن يعرف ويلمس بقلبه ووجدانه، الحقيقة الالهية، وقواعد الديانة الاسلامية، ومن لمس وأحس وامن بمباديء الدين الاسلامي، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تمكن إذ ذاك من أن يكون رجلا صالحا لنفسه ومن ثم صالحا للمجموعة التي يعيش فيها، ولمواطنيه أينما كانوا وأينما وجدوا، فإذا هو أصبح قادرا على أن يكون نافعا، عضوا عاملا ناجعا، توصل الى تلك المرتبة، التي يقول فيها سبحانه وتعالى «وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم» فوصل الى رتبة الاستخلاف « وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم» والدين هو في حاجة يوميا، لا كل مائة سنة، لمن يجدد أموره، لا معتقداته، ولكن أمور تصرفه وتصرفاته.

«وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» يجعلهم أقوياء، يجعلهم كرماء، يجعلهم مكرمين، لأنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المومن القوي خير من المومن الضعيف».

(عن خطاب جلالته بمناسبة عيد الشباب الذي صادف ليلة القدر المباركة بالقصر المكلي بالرباط، 8 يوليوز 1983)



-2-

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

مهما يكن فان الفن المغربي الذي استنفد قواه اصبح يرزح تحت عناصر قوية في النقش والزخرفة والتنميق فقدت بساطتها من جهة ولكنها ازدادت فخفخة ورواء من جهة اخرى (32) .

اما العلويون فهم شرفاء حسنيون انحدروا الى المغرب من الجزيرة العربية ، واول من دخل منهم الى تافيلالت مولاي (حسن بن قاسم) اواخر المائة السابعة ، وقد قام مولاي (محمد بن الشريف) في سجلماسة (عام 1045 هـ) فبايعه الناس نظرا لزهادته وتقواه ، وواصل كفاحه ضد بعض الاقاليم المستقلة ، وعندما استتب الامر للعلويين في عهد (مولاي الرشيد) بدأ هذا الامير يهتم بتجديد معالم الفن المريني والسعدي بتعزيز الاجهزة العسكرية ومتابعة بناء المعاهد والمدارس والمساجد .

وفي مكناس التي اختارها مولاي اسماعيل عاصمة ، أقام قصورا فخمة داخل القصبة نفسها ، منها مدينة الرياض التي لم يبق منها سوى (باب الخميس) .

وقد وصف (الناصري) قصور مكناسة ومساجدها ومدارسها بانها « فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول » كما ذكر (الزياني) انه ما شاهد في آثار الدول اعظم من آثار هذا الامير (33) ، ولا يخفى ما في ذلك من ايغال بالرغم عما تنم عنه بعض الآثار الباقية من روعة الاصل (34) .

ومن المساجد التي يرجع تاريخها الى العهد العلوي مسجد (لالة عودة) الواقع داخل القصر الملكي بمكناس ، وقد فتحت بالقرب من المحراب باب تتصل بممر مستطيل يؤدي الى القصر الملكي ، ومن هذه (الخوخة) كان السلطان يدخل بعد أداء فروضه الى (الستينية) التي تقطنها الآن أسرة مولاي عبد الرحمن ابن زيدان مؤرخ الدولة العلوية ونقيبها سابقا ، وتقوم بجوار هذا المسجد مدرسة ومراحيض جددت الاوقاف معالمها بعد الاستقلال .

وتدين العاصمة الاسماعيلية للمولى (محمد بن عبد الله) باعظم جوامعها وهو (جامع الروى) الذي اكد (مارسي) ان مظاهر روعته وجماله تتجلى في تناسب صحونه وبساحته وبتصميمه الذي عولجت

(32) تاريخ المغرب (كوساك دو شافر وبيير) ، الفصل الخاص بالسعديين .
(33) الاستقصا (ج 4 ، ص : 48 — 49) .
(34) في عام 1145 هـ أمر السلطان مولاي عبد الله بهدم (مدينة الرياض) (الزياني — الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب) (ترجمة هوداس ص : 71).

فيه العناصر التقليدية بروح اجنبية عن الفن الاسلامي وبانعدام اي ممشى وبتناسق اجزاء الصحن الخارجي الذي لا يحيط به اي رواق ، ثم وضعية الابواب وتوزيعها الخاص المنافيين للعهود في خوخ المساجد المغربية مما يدل — في نظر المؤرخ الفرنسي — على استعانة السلطان بمهندس اوروبي لتخطيط هذه البناية .

وفي فاس الجديد يوجد المسجد الذي بناه (مولاي عبد الله نجل المولى اسماعيل) . اما مسجد باب الكيسة (باب عجيبة من ابواب فاس البالي) فهو حديث العهد ، وقد ادخلت عليه اصلاحات في العهد الاخير . .

وتشتمل جميع هذه المساجد العلوية على صحون — قليلة العدد — تخترق المسجد على نسق ما هو في فاس منذ ازيد من احد عشر قرنا باستثناء الفترة المرينية .

اما في الرباط فان جامع السنة الواقع خارج (مشور تواركة) هو من بناء سيدي (محمد بن عبد الله) الذي اوصل (الناصري) الى نحو السبعين عدد منجزاته المعمارية ما بين منشأ ومجدد في كثير من مدن المغرب علاوة على المعاقل والابراج والحمامات والاسواق والاضرحة والمدن مثل : انفا وفضالة والمنصورية والصويرة (35) .

وقد تجدد (جامع السنة) اواخر القرن الماضي ثم في السنين الاخيرة ، وكان يحتوي على ساحة تحتل المقام الاول — مع ساحة صحن الجامع الاكبر بسلا — بين مساجد المغرب ، وتقوم في جانبها الموازي للقبلة ست عشرة غرفة ، كان يسكنها الطلبة الافريقيون ، ويشبه هذا المسجد في معالمه المعمارية الخاصة مسجد (لالة عودة) بمكناس ، وقد تجدد بناؤه فاصبح اروع المساجد وابهاها في المغرب .

وكانت مدينة الرباط تضم بين جنباتها ازيد من خمسين مسجدا وزاوية في اوائل هذا القرن ، وقد اسس معظمها في العهد العلوي ، اهمها جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع سوس وجامع اهل مراكش ، وكلها من بناء السلطان الامجد سيدي محمد بن عبد الله ، علاوة على ستة مساجد اخرى تهدمت مع ما تهدم في اكدال (36) ، وسنستعرض على التوالي المظاهر المعمارية في ثلاثة من هذه المساجد ، هي جامع السنة وجامع اهل فاس وجامع مليين .

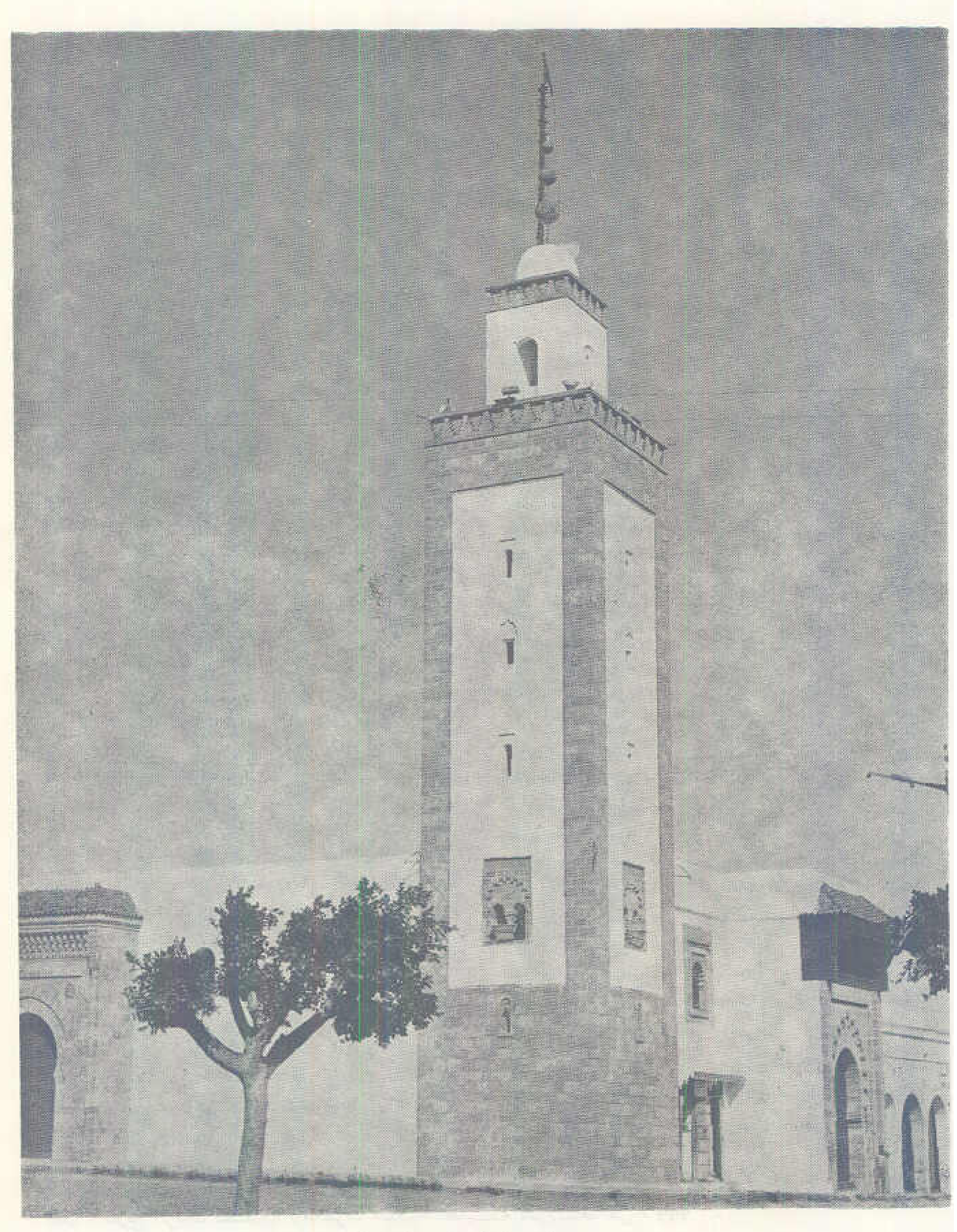
اما جامع السنة فقد اقيم بالجامع الغربي والطرف الشمالي الخارجي لمشور تواركة قرب (ثانوية مولاي يوسف) ، وقد اكد (الضعيف) ان بناءه تم في جمادى 1199 هـ (مارس 1785 م) على يد الملك الهمام سيدي محمد بن الله الذي انفق عليه اموالا طائلة ، ويظهر انه ظل منذ تاسيسه نحوا من عشرين سنة خاليا لبعده عن المدينة وقلة السكان حوله مما حدا السلطان (مولاي سليمان) الى نقل اخشاب سطوحه لتسقيف جامع علي ابن يوسف الذي انمحت آثاره الآن بمراكش (37) ، وكان بجانب لمدرسة التي تحمل نفس الاسم ، وقد قام السلطان سيدي (محمد بن عبد الرحمن) بتجديد بناء جامع السنة الذي اصبحت الصلوات الخمس تقام فيه بانتظام مع خطب الجمعة ، وذلك بعد ما بادر الى زيادة تعمير حي تواركة بعبيد البخاري واهل سوس ، ثم اقامة دار المخزن والمشور السعيد . ولم تزد الترميمات الجديدة على دعم صحون الصلاة بروافد خارجية دون تعديل التخطيط الاصلي للجامع مع اضافة جناح وباب جديدين خلف المقصورة ، وربما دار للوضوء قرب الصومعة ومخدع مستطيل وراء المحراب يرجع تاريخه الى عهد السلطان (مولاي عبد العزيز) (1325 هـ — 1907 م) . واول ما يبده الزائر لجامع السنة مساحته لشاسعة وتناسق اجزائه وبساطته ، واذا اعتبرنا تخطيطه الاصلي فان المساحة تكون عبارة عن مربع كامل (70ر74 م في 50ر74 م) اي 5565 متر مربع ، وهذا الجامع من اكبر مساجد المغرب ، ولا يفوته في الضخامة عدا جامع حسان (523 5 متر مربع) وجامع القرويين (300 6 متر مربع) بينما تزيد مساحته على مساحات جامع القصبة بمراكش (512 5 متر مربع) وجامع

---

(35) الاستقصا ج 4 ، ص : 121 .

(36) كما ورد في الاستقصا وفي البستان لابي القاسم الزياني (ص : 173 من مخطوط مكتبة ابن زيدان) وفي تاريخ الرباط (الضعيف) (خ).

(37) كايي — تاريخ الرباط (ص : 458) .



مسجـــد أهـــل فـــاس بالربـــاط

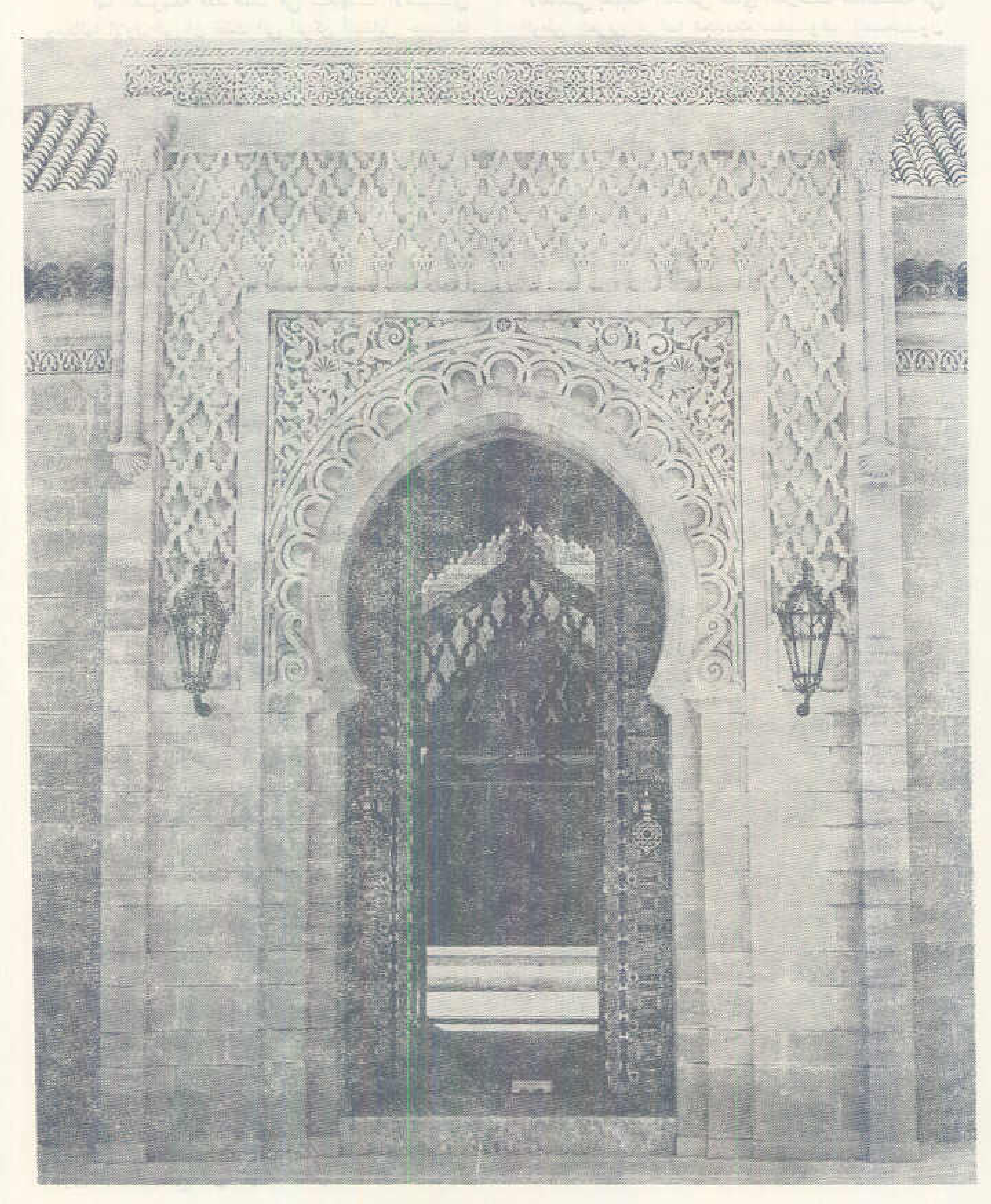
الروى بمكناس (حوالي 930 4 متر مربع) وجامع الاندلس بفاس (نحو 760 4 متر مربع) والجامع الكبير بتازا (000 3 متر مربع) والجامع الكبير بالرباط (نحو 000 2 متر مربع) ، واذا كان شكله المربع عاديا بالنسبة للمساجد الصغرى فانه نادر في معالمه المعمارية ، اذا نظرنا الى الجوامع والمساجد الكبرى .

وكان للجامع ثلاثة صحون معترضة مفصولة بعضها عن بعض بخمس عشرة حنية في الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوب الغربي كما هو الشان في جميع مساجد العهد العلوي وخاصة في (جامع الروى) و (لالة عودة) (مكناس) وجامع مولاي سليمان (الرباط) وجامع الرصيف (فاس) وهو اتجاه مقتبس من الهندسة المعمارية التي عرفت منذ القرون الاولى في كل من جامع القرويين وجامع الاندلس بفاس ، ولعل الاتجاه الملحوظ في عهد العلويين بعكس الخلاف القائم بين الفقهاء حول مفهوم الحديث الشريف : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » ، والذي قرره العلماء المتاخرون انه خاص بموقع المدينة المنورة خلافا لما ارتآه الظاهرية في عهد الموحدين ، وان المفهوم الصحيح لهذا الاتجاه بالنسبة للمغرب هو « ما بين الشمال والجنوب قبلة » .

اما ساحة الجامع فان شكلها حرد (اى بعضها اطول من بعض وغير متساوية في الطول) وهي أوسع من الصحن ، وتحتوي في طول الجدار الشمالي المغربي على سلسلة غرف (كان الطلبة يسكنون بها) ورواق مربع (استخدم كزاوية تجانية داخل الجامع) تقابله الصومعة في الطرف الآخر الملاصق لدار الوضوء ، وكان المصلون يتفدون الى الجامع من خمسة ابواب (ثلاث منها في واجهة المسجد) علاوة على الباب السادس المضاف وراء المحراب .

وقد بنيت معظم جدران الجامع من الملاط المقوى القليل الكلس والمخلوط بشظايا القرميد والآجر ، اما هياكل الابواب فانها من الحجر المنحوت المغطى بطبقة كثيفة من الجير ، بينما بنيت الاساطين الداخلية المربعة بالآجر وكذلك الحنايا والاقواس وبتجلى المحراب في شكل هرم ذي خمسة رفارف او ذيول وتغطي سقوف جملونية من البرشلة ذات منحدرات أربعة صحون المسجد الواسعة التي يبلغ طولها واحدا وسبعين مترا ، وعرضا سبعة امتار ، وتعتمد اربطة الجملون (وهي خشبات تصل كل واحدة منها طرفي الجملون ، وتباعد بينهما) في اطرافها على مساند ناتئة مغروزة في الجدران ، وتزدوج هذه الاربطة فوق الاقواس الا ان المجموع يخلو من طابع الرشاقة الذي عمل السلطان محمد الرابع على اضفائه على الجامع عندما اضاف الى الصحن اروقة جديدة وابهاء باساطينها الضخمة الاربع عشرة التي تصلها حنايا مكسورة ومتفتحة من الحجر المنحوت تقابلها في الصحون الداخلية اقواس مكسورة حدوية (أى على شكل نعل الفرس) واسعة ذات مركزين يبلغ علوها أزيد من خمسة امتار وانفتاحها ثلاثة امتار ونصف متر اي تسعة اضعاف البعد الذي يفصل المركزين ، وتقضي التقاليد المعمارية في المغرب بان تكون هذه الاقواس ماطورة ضمن مربع مستطيل ومشرع (اى يرتفع عقد قبته فوق القوس التام او النصف الدائري) وارتفاع هذه الحنايا هو الذي يضفي نوعا من الرشاقة على البناية التي تتسم بسبب امتداد الصحون (7ر71 مترا) بشيء غير قليل من الضخامة والجلال يزيدها بساطة وروعة خلو قبة المحراب المثمنة الشكل من العقود الركنية ومن المقربصات ، اللهم الا تلك القولبة الخلابة التي تمتاز بها العضادات التقليدية الجامعة بين الزينة المقعرة والخيوط المشبكة ، ولا ينفذ النور الى الصحون الا من خلال الحنايا المتفتحة على الساحة الخارجية المنتظمة الهندام التي كانت مساحتها تبلغ 72 مترا عرضا في 7ر42 م عمقا قبل التوسيعات الملحقة آخر القرن الماضي والتي جعلت منها باحة مربعة (72 م في 77ر73 م) وتتوسط ساحة الجامع فسقية من الرخام الابيض تحملها دعامة مرمرية ضمن مربع من الزليج تفور جانبها مياه (غبولة) وتقوم بين الصومعة والرواق المربع (الزاوية التجانية) على طو الجدار الشمالي الغربي اربع بنايات تحيط بابواب الواجهة وتبلغ كل واحدة منها 75ر4 م عمقا ، و 12 الى 14 عرضا ، وتحتوي كل بناية على اربع غرف كانت مأوى للطلبة الذين انزلهم السلطان محمد بن عبد الله (38) بالجامع وأمدهم على ممر الايام بالمئونة اللازمة تمميرا للجامع وتشجيعا لحملة العلم .

(38) تاريخ الرباط للضعيف (مخطوط المكتبة العامة بالرباط ص : 444) .



مسجـــد حســـان بالربـــاط

اما الصومعة فقد ظلت في شكلهـا الاصيـل ومكانها الاول الى ان نقلت الى الركن المقابل حيـث كان رواق التجانيين ، وذلك لتكون في سمت شارع محمد الخامس ، وكان علو المنارة يبلغ 25ر24 م ، اي ستة اضعاف القاعدة المربعة التـي لا تتجـاوز اضلاعها ستة امتار ، اما الصاري الواقع تحت الجامور فان قسمه المربع يبلغ كل ضلع منه 75ر3 م ، وعلوه 41ر6 م ، وقد فتحت نافذة في كل ضلع ، ويحتوي (الجامور) على ثلاث كور من الخزف الاخضر المبرنش .

وكانت الزخرفة بسيطة ، فالسواري مجردة من التيجان ، كما ان الاقواس عارية من كـل نقش ، ولا يوجد الخشب المنحوت الا في الباب المشرع مـن جدار القبلة وهي باب ذات حنية مكسورة ومشرعة مفصصة الزينة على غرار القويسات المطـرزة في اطراف الثوب ، وهذه المفصصات مرسومة في شكل ثلاثة اشرطة دقيقة متداخلة ، وتحتـوي الالـواح الماطورة على صور نباتية ملتفة محلاة بالافنان والورق ضمن طيقان زخرفية مقوسة نافذة تتوسطها زهـرة رائعة المنظر في الوانها الزاهية من ابيض واخضـر واحمر في خلفية زرقاء .

تبرز المجموع في حلة قشيبة بتكائف سعفهـا وبراعمها وانوارها وكؤوسها وتخاريمهـا ، وهـذه الالوان الرائقة والرسوم المتشابكة مظهر من التراث الاندلسي المغربي الذي تزاوج على مر العصور مـع معطيات الفن الشرقي وخاصة السوري والمصـري بفسيفسائـه الزهريـة وانتظام اجزائه ووضـاءة جنباته ، ويمتاز المحراب الى جانب ذلـك بالنحوت على الجبس وتراكب الاقواس والكتابات الكوفيـة والحنايا المقفلة ، وقبة قد رسمت عليها نجمة ذات تفاريع تتوسطها قبيبة منجمة وهي زخرفة حديثة من معطيات فن القرن العشرين ، تزيدها روعة ما تمتاز به من قولبة هندسية رقيقة وانتظـام في التخطيط وجـلال فـي الهيكـل .

وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ بامر من جلالة الحسن الثاني ايده الله ـ بتجديد هيكل جامع السنة ، فنقلت عام (1969 م) منارته من الطرف الشمالي الى الطرف الجنوبي للمسجد ، وكان ذلك عنوانا ناصعا على امتداد روعة الفن المغربـي الاندلسي بطابعه الخاص الذي اندرست معالمـه في الوطن العربي ، كما تجددت سقـوف الصحـون والبلاطات وازدانت مختلف الاروقة بنقوش خلابـة وبرزت براعة الصانع المغربي في النحت على النحاس الاصفر اللماع الذي لبست به ابواب الواجهة بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الفن بالمغرب ، فكانـت هذه المظاهر وكثير من اشباهها في اجـزاء هـذا التجديد صورا حية لعمق المكـاسب الاندلسيـة والشرقية الاسلامية في حضارتنا الحديثة التي تضم الى رواء الجمال العصري جلال الفن التقليدي ، وقد اصبحت الصومعة الجديدة شامخة في هيكلها الضخم يراها الناظر وقد اطلت في سمت هندسي محكم على اكبر شارع في العاصمة هو شارع محمد الخـامس رمز النهضة المغربية الحديثة وعنوان الفكر الحضاري والاسلامي الجديد في المغرب العربي .

وقد افرغ جلالة الحسن الثاني عصارة الفـن المغربي (في تاليف شامل لمعطياته التاريخية منذ ازيد من الف عام) في التحفة الرائعة التي تضم (39) الى جانب ضريح جلالة المرحوم محمد الخامس قرب جامع حسان مسجدا صبت فيه كل قوالـب الصناعة المعمارية الوطنية في طفرتها نحو الطرافـة والتجديد ضمن الاصالة والتقليد .

وتعتبر هذه المجموعة الفذة متحفا يخلب الباب الزوار الذين يتواردون زرافات من كل فج للتملـي ببدائع الفن المغربي الذي يشكل هذا الجانب منـه تراث العرب والمسلمين في الاندلـس ، ذلك التراث الذي يسهر ـ في ظل ملكه العالـم ـ على صـون وتطوير عطاءات الفكر الفني المبدع .

الجـامـع الاعظـم

يقع « الجامع الكبير » قرب باب شالة ، وتحده في الجنوب الشرقي مقبرة تمتد الى السور الاندلسي وقد كتب على احـدى ابوابـه تاريـخ 1299 هـ (1882 م) وهو تاريخ تجديد البناء في عهد الحسن الاول ، كما ان لوحة التحبيس المرينية وهي صفيحة مربعة من الرخام مغروزة في احـدى الاساطيـن المحيطة بمكان العنزة هي نفسها التي كانـت على ضريح السلطان ابي الحسن بشالـة ، ونقلـت الى

(39) تـاريـخ الربـاط ، ص : 481 .

المسجد في عهد مولاي اليزيد العلوي ، الا انها لا تشير الى الجامع الكبير ، كما توجد كتابات حول المحراب تشيد بالتعديلات التي ادخلها على المسجد جلالة الملك المقدس المرحوم محمد الخامس ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بناء هذا المسجد ، فأكد مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي انه من مؤسسات الاندلسيين الذين وردوا على المغرب في عهد السعديين اي في القرن عشر مستندا الى ما استنتجه من كتاب «وصف افريقيا» للحسن الوزان من عدم وجود اي أثر لبناء الجامع بالرباط في عصره اي في القرن العاشر الا ان مؤرخ الرباط محمد بوجندار (40) يرجع ان المسجد من مآثر المرينيين، ويعلل ذلك بوجود المارستان العزيزي قبالته ، ويكون احدى الابواب قد رممت في عهد السلطان المريني ابي الربيع ، وهي وجهة نظر سديدة وان كانت التعديلات اللاحقة قد غيرت معالم الاصل ، ويبلغ عرض المسجد على طول جدار القبلة 47ر5 م ، ويزيد عمقه بمتر واحد على عرضه بادراج مقصورة الامام ، الا ان شكله الهندسي غير مربع نظرا لعدم تساوي اضلاعه ، اما مساحته البالغة نحو 800 1 م٢ فانها تجعل منه اعظم مسجد بالرباط بعد « جامع السنة » ، وهو يحتوي على سبعة صحون موازية للقبلة وعشرة عمودية ، اما الساحة فشكلها مربع منحرف ، عرضه اكبر من طوله ، تحيط به ثلاثة ابهاء اقيمت في احدها مقصورة للنساء ، وبالجانب الشمالي الغربي المنارة ، وللمسجد ستة ابواب ، وعلى طول جدار القبلة عدة مرافق تتصل بفرع للمكتبة العامة بالرباط – يفصل اليوم المسجد عن المقبرة – وهذه المرافق هي مستودع المنبر ومقصورة الامام وجامع الجنائز ، اما الاقواس فانها ذات اشكال وأحجام مختلفة ، الا ان الحنايا التي يستند اليها الرواق امام المحراب تلفت الانظار بميزتها الخاصة ، اذ هي عبارة عن حنايا مفصصة قد نحتت فيها قويسات تصل الى ثلاثة عشر متشابهة عدا قويس الانطلاق وقويس الانفتاح ، اما الاقواس الاخرى فمعظمها حنايا مكسورة وحذرية (على شكل حذوة الفرس أي نعله) او مشرعة (اي ان سهمها اكبر من نصف الانفتاح) ، كما ان معظم السطوح ذات انحدار مزدوج في شكل برشلات او جلمونيات دون ترميد ولا تنميق ، اما المحراب فان قوس انفتاحه حذوي الشكل كنعل الفرس الحديدي . متقارب المركزين ، غير بارز الكسر ، يستند الى عضادتين عاليتين ، وقد ازدوج بقوس آخر خارج عن المركز في جوف قد نحتت نقوش رائعة في جبسه اللامع وعلته قبة مثمنة ينفذ اليها النور من ثغرة مثمناتها مع المجموع .

أما الصومعة فانها مربعة الشكل تبلغ اضلاعها 10ر5 م ، وقد زيد في ارتفاعها عام 1939 فبلغت من العلو 3ر33 م ، بينما لم تكن تصل من قبل الى اكثر من 27 م ، وتحتوي الصومعة على ست غرف مربعة لواحدة فوق الاخرى تغطيها اقبية متصالبة الروافد تؤدي احداها الى مخدع الموقت الواقع فوق المصرية (أي العلية وهي من مصطلحات المغرب الاقصى (42) وينفذ الضوء الى دورات الدرج من ثغرات واسعة مقوسة وملتوية في انحاء مستقيم ، ويتسم المجموع بطابع البساطة الذي يزيده روعة . أما ملحقات الجامع الكبير فانها لا تمتاز بأهمية خاصة ، فالى جانب ممر ضيق يؤدي الى جامع الجنائز على طول جدار القبلة توجد مقصورة الامام وهي تضم غرفتين تتصل احداهما بمستودع المنبر .

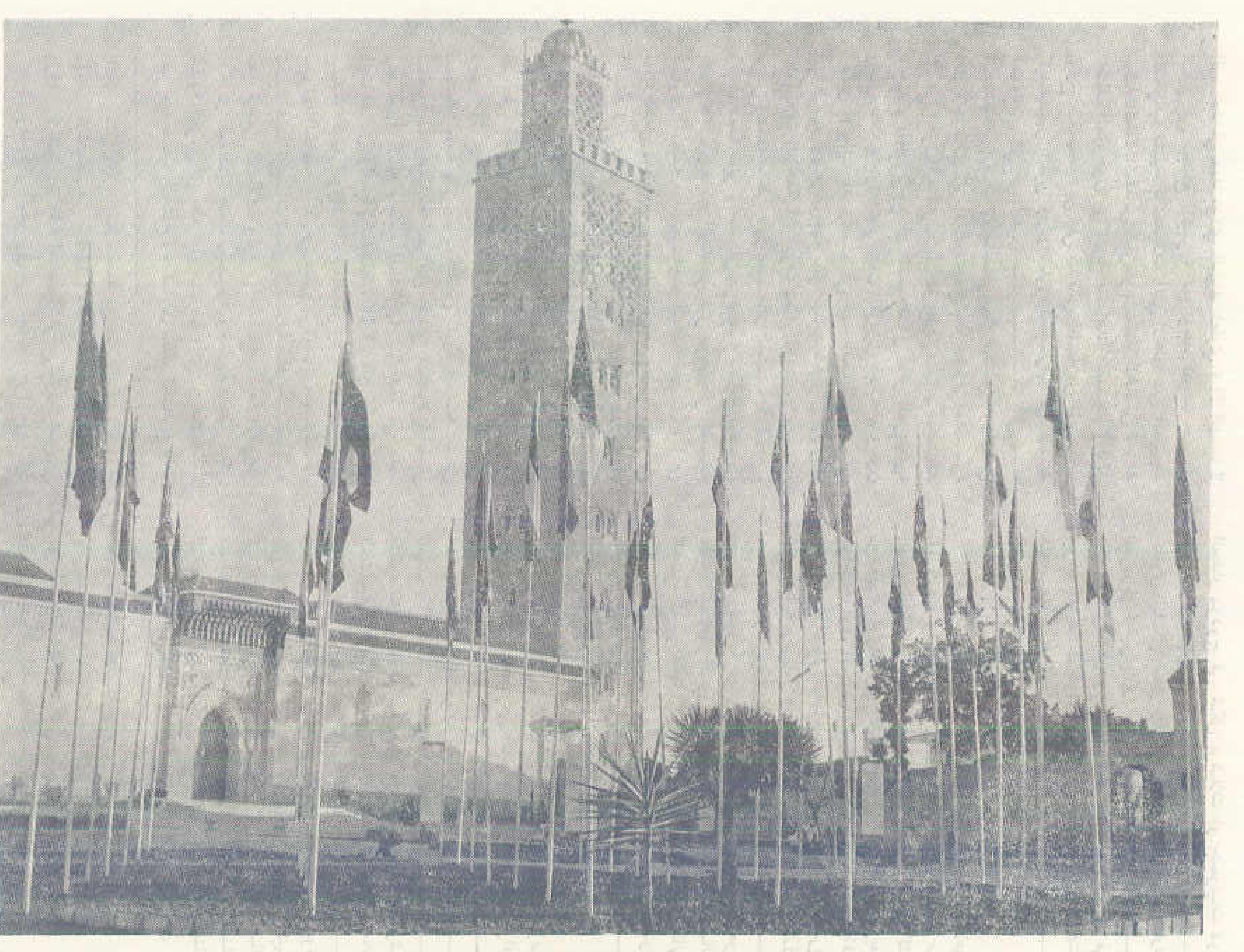
واذا استثنينا النحت على الحجر في قصوص بالابواب فان النقش على الجبس يتوافر في المحراب وفي الوجه الداخلي للباب الكبرى وفق الحنايا المفصصة امام المحراب مع رسوم زهرية متكاثفة تحيط بها خطوات هندسية وانضاد متراكبة من الواردات بين الاقواس دون اصباغ مع ضآلة النقوش الخشبية ، وتبرز في مواضع اخرى سعفيات « موردة » او كتابات بالخط النسخي ، اما المنبر فهو من صنع علوي عادي برسومه الخشبية المنحوتة على لوحات « مأطورة » تلك صورة عن الجامع الكبير كما هو الآن ، والبابان الشارعتان الى زنقة باب شالة قد اضيفتا كمنفذ خاص الى رواق النساء ، وكذلك الباب المؤدية الى زاوية سيدي التلمساني والفسقيتان الفوارتان في البهو الجديد شمالي غربي الصحن .

---

(40) مثل مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي ومؤرخ الرباط محمد بوجندار .

(41) الاغتباط ص : 114 (مخطوط المكتبة العامة بالرباط) (عدد : 1287) .

(42) لا شك ان هذه التسمية ترجع لكون مصر هي التي عرفت في العالم الاسلامي بكثرة طبقات دورها، وقد ذكر المقريزي في خططه (ج 1 ص : 334 و 341) ان مساكن الفسطاط كانت من سبع طبقات



مسجد السنة بالرباط

ومن الزوائد الطريفة في المسجد نقوش المحراب ورواق الجنائز وترخيمات بعض الحنايا مما حفظ للجامع هيكله العام دون كبير تعديل ، ويظهر ان الجامع لم يكن فيه أكثر من خمسة صحون طولية مركزيه بدل عشرة بجانب الصحون السبعة الموجودة الآن ، وكانت المساكن تحيط به من جهتين ، وهذا التخطيط متناسق الاجزاء بالنسبة للتصميم الحالي الذي يخلو نوعا من التوازن والانتظام ، اضف الى ذلك ما كانت تمتاز بـه الحنايا المفصصة والمكسورة والجذرية من تنوع ، ويذكرنا الهندام المعماري في الجامع الكبير بالمساجد المرينية في تلمسان وخاصة في مدينة « العباد » حيث مدفن أبي مدين الغوث ، فعدد الصحون الطولية واحد ، فيهما مع ثمانية صحون موازية للقبلة هناك بدل سبعة بالرباط ، ومن مظاهر العتاقة في الجامع الكبير ضخامة الاقواس المفصصة امام المحراب وهي من خواص المساجد المرابطية والموحدية بكيفية عامة مع وجودها احيانا في عهد المرينيين كما هو الحال في جامع فاس الجديد . ولم يعد المهندس المعماري يستعمل هذا النوع من الترخيمات في العصر العلوي وحتى بالنسبة لنقوش الحنايا يمكن التنظير بين المشبكات الهندسية في الجامع الكبير ومثيلاتها في منبر المدرسة العنانية بفاس وباب العنانية ايضا بمكناس ، ومع ذلك فان جامع الرباط لا يوحي في مجموعه بنفس الارتسامة التي يشعر بها الزائر لمدارس فاس ومساجد تلمسان المرينية التي تمتاز بعدة ظواهر جزئية كبعض الاشكال الصنوبرية (على شكل ثمرة الصنوبر) أو الزهيرات (اى زخارف نورية الشكل) تلك معالم تشهد بأن الجامع الكبير يرجع تاريخه الى العهد المريني ، وذلك بالاضافة الى بعض النصوص التاريخية التي تعزز هذه النظرية ، لا سيما وان مؤرخي العلويين مثل الضعيف والزياني والناصري لم يدمجوا هذا المسجد في لائحة المساجد العلوية وربما كانت المجموعة المركبة من المسجد والسقاية والمارستان العزيزي هي نفس ذلك الثالوث الملحوظ في جميع المساجد ، مع اعتبار ان هذا المارستان كان مدرسة كما يدل عليه شكله ، وهنا يجب ان نتساءل — كما فعل الاستاذ كايبي (ص : 199) — عن تاريخ التعديلات والاضافات الطارئة على الجامع الكبير ، ويمكن ان نقارن بين هـذه وبين المظاهر المعمارية في جامع مولاي سليمان بالرباط ، وقد اسسه السلطان العلوي سليمان بن محمد بن عبد الله فالمنارتان متساويتان في الاضلاع ، والترتيبات الداخلية والنسق الفني واحد في السطوح والحزات الجدرانية التي تنصب منها مياه المطر بدل الميازيب وذلك علاوة على تشابه بعض الابواب ، ويدعم هذا الشبه الواضح ما اشار اليه محمد الضعيف من ان السلطان مولاي سليمان وجه من طنجة احد اعوانه لمخاطبة المعلم الحسن السوداني فيما يجب انجازه من اعمال في جامع الرباط ، وهكذا يمكن التأكيد بأن الزيادات العلوية في هذا الجامع يرجع الفضل فيها الى الملك الصالح المولى سليمان الذي قام بهذه البادرة المثلى فوسع المسجد وجدد سطوحه .

جامع اهل فاس

وجامع اهل فاس هو جامع المشور الذي أكد الضعيف انه من مآثر السلطان الامجد المولى محمد بن عبد الله . الا ان بعده عن المدينة جعله كجامع السنة قليل الرواد ، خالي الوفاض ، الى ان جاء السلطان الاكرم محمد الثالث (محمد بن عبد الرحمن) فجدد بناءه وموه سقوفه بالذهب والبرقشة ، ثم توالت التعديلات عليه وخاصة في عهد جلالة المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه الذي افرغ فيه اروع مجالي الفن المعماري الجديد نقشا ونحتا وتبليطا وتريصة وتزليجا ، ولا يزال جامع الخطبة الملكية السامية يقصده الشعب من كل فج للتملي بطلعة ملك المغرب الهمام الحسن الثاني نصره الله .

ويشكل هذا الجامع مربعا مستطيلا (26,80 م في 29,10 م) أي مساحة تبلغ سبعمائة وثمانين مترا مربعا ، مع ثلاثة صحون موازنة للمحراب مفصولة بتسعة بلاطات وابهاء تحيط بساحة الجامع ومنارة خارجة تماما عنه ، وينفذ المصلون من ثلاثة ابواب المدينة العتيقة بالقرب من الاحياء الجديدة ، وتقوم باعداد موفورة نظرا لموقع الجامع وسط مركز على طول جدار القبلة ملحقات مختلفة (مقصورة ومستودع المنبر وجامع الجنائز وغرف تتوسطها ساحة مركزية) وفي جانب آخر رواق النساء وكتاب قرآني ودار للوضوء ، ولا تختلف مواد البناء عن مثيلاتها في المساجد العلوية الاخرى كالآجر في الحنايا والاقواس ، والحجر المنحوت في الابواب ، والطابية في جدران الملحقات ، وبرشلات تغطي جميع أجزاء المسجد ، ويمتاز هذا المسجد بفن استثنائي هو من خواص حاضرة الرباط ، توجد نماذج منه في الجامع الكبير مثل تباعد التخشيبات

المولدة في السقف واستناد اربطة الجملون (المزدوجة في الصحن والبسيطة في الابهاء) لحوامل اى مساند ناتئة (هي ما يمكن ان نسميه بطاولة الجدار) ووجود قراميد فوق نواتيء الذروة والجانب من البناء ، أما المحراب فهو جد بسيط بقوسه لمكسور والمشرع الذي يرتكز في الجهتين على تاجين وساريتين من الحجر مع تلبيس الكل بطلاء من الجبس وانحدار خمسة ذيول او رفارف ق قبيبة المحراب المقولبة ، ويصل علو الصومعة بدون الجامور الى ستة وعشرين مترا ، كما يبلغ طول أضلاع قاعدتها المربعة 10ر5 م اى خمس الارتفاع على أساس المبدأ الموحدي في التناسب ، وتشبه هده الصومعة منارة الجامع الكبير من حيث طول الاضلاع وتراقب الغرف داخلها ، في حين تذكرنا عصابتها العليا (أى قاعدتها الحجرية الافقية الناتئة بين لطبقتين) بالمنارات المرينية رغم خلوها من الزليجى و لفسيفساء ، ومهما يكن فان تخطيط جامع مولاي سليمان يتسم بالبساطة والنصاعة التي تطبع مساجد السلطان محمد بن عبد الله مهما يتسم بنوع من الاصالة تتجلى فى ضخامة واتساع البلاط الاوسط بالنسبة للبلاطات الاخرى وهي ظاهرة نادرة في المساجد العلوية .

جامع الجزارين

بني هذا الجامع في حي القناصل فوق مسجد آخر يسمى مسجد لالة فاطمة طريدة على يد السلطان مولاي سليمان ايضا (43) ولعل التجديد شمل المجموع كما هو الحال في جامع مولاي سليمان ، نظرا لوحدة الاجزاء وتناسقها ، وقد أضيفت زيادات اخرى عام 1340 هـ (1922 م) هي بلاط واحد وملحقات ، ويتكون هذا المسجد من قاعة للصلاة حردة الشكل ذات خمسة بلاطات يبلغ طولها 4ر16 م وعرضها 5ر11 م تتخللها ثلاث حنايا كبرى وسوار وينفذ اليها بابان اثنان مع وجود منصة قديمة مربعة ترتفع عن الارض بثلاثة أمتار ، ولا تفتح الا أيام الجمع ، وهكذا يمتاز هذا الجامع عن جوامع العلويين بضيقه (رغم كونه من مساجد الجمعة) وبانعدام أى صحن خارجي مع تناسق أجزائه ورشاقة حناياه ووضاءة معالمه مما يذكر في نفس المصلي الشعور بالانشراح .

جامع الناصرية

يوجد هذا المسجد في حي بوقرون ، وتحمل احد ابوابه تاريخ 1327 هـ (1909 م) ولعله تاريخ تجديد قسم من الجامع الذي كان في البداية زاوية ناصرية ثم بوشر توسيعه قبل القرن الثاني عشر اذا اعتبرنا عصر العلماء الذين كانوا يدرسون به وهو مسجد وسط يحتوي على قاعة كبرى للصلاة بدون صحن مع ستة بلاطات معترضة وسبع طولية ومنارة وملحقات (المقصورة ومستودع المنبر) خلف جدار القبلة ويبلغ طوله 25ر25 م وعرضه 42ر22 م ، وينحدر سطح الارض عن مستوى الازقة المحيطة به وهو مثوى لاحدث الموتى قد فتحت في كل جهاته اربعة ابواب احدها شارع الى رواق النساء محلى بساكف (وهي الخشبة العليا المقابلة للعتبة السفلى) والثلاثة ذات أقواس مكسورة ومشرعة لا تخلو من روعة رغم بساطتها وتجردها من الزخرف ، غير ان المسجد تنقصه عموما الوحدة والتناسق مما يدل على ان شيئا جديدا قد اضيف الى بناية أصلية دون رعاية للانسجام ، ولعل التجديدات قد توالت على المسجد في عصور مختلفة آخرها ما وضع أوائل القرن العشرين حيث ضوعفت المساحة ، وتوجد كتابات فوق ساريتين تشهد بوجود محراب قديم .

جامع مولاي المكي

يقع في حي سيدي فاتح الذي هو امتداد الشارع علال بن عبد الله ، وقد جدد ايضا بناؤه في نفس التاريخ (1327 هـ ـ 1907 م) حيث اصبح جامع خطبة بعد ان كان مركز الزاوية التهامية وهو يحمل اسم احد الاشراف الوزانيين الذين انتقلوا الى الرباط ودفن به عام 1149 هـ (1737 م) ، والجامع يشكل مربعا مستطيلا طوله 36 مترا ، وعمقه 10ر25م الا ان التخطيط غير متماسك ، ويحتوي المسجد على محرابين اثنين احدهما في محور القبة بدون تحريم ، والثاني على بعد نحو ثلاثة أمتار بحنية مقربصة وزفارف « مزلجة » وشريط منحوت على الجبس يحمل رسوما زهرية وكتابة ، وتزدان الابواب بمقربصات وزليجات وخشبيات قد نقشت عليها صور ازهار وورود زرقاء وحمراء او رسوم هندسية مختلفة الالوان يغلب فيها الاخضر والاصفر مما يلطف

---

(43) حسبما أورده الياني في البستان (ص : 192) .



مسجد مولاي سليمان بالرباط

من رتابة المجموع ، اما الصومعة فانها حديثة ترجع الى اوائل هذا القرن وهي مربعة في القاعدة مثمنـة الشكل على مستوى السطح ، وتشبه هذه المنارة في هندامها الخاص منارات اخرى في طنجة ونطـوان ووزان .

جامـع سيـدي الغنـدور

تستند احد جوانبه الى باب الحد والى ملتقى السورين الموحدي والاندلسي ، ويرجع تاريخ بنـاء هذا المسجد الى عام 1344 هـ (1926 م) حيث لم يكن من قبل سوى مثوى ضريح عبد الرحمن الغندور محاطا بعدة غرف يلجأ اليها الفقـراء ، وقـد وسع المسجد عام 1968 ، وبذلت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية جهدا كبيرا في الزخرفـة والقـربصة والتنميـق .

وهناك مساجد وزوايا مختلفة اخرى لا نطيـل بوصف مظاهرها المعمارية اهمها :

1) **جامـع عطيـة** الذي بنـاه عـام 1093 هـ حسب كتابة فوق الباب الوحيد اى عهد مولاي اسماعيل ، وهو مسجد صغير مربع الشكـل (12،51 م طولا و 9،35 م عرضا) .

2) **جامـع النخلـة** في حي بوقرون ، يضم قاعة للصلاة ، منحرفة الشكل من ثلاثـة بلاطـات مفصولة باقواس مع صحن صغير وملحقات من بينها مقصورة القاضي وكتـاب قرآنـي ودار للوضوء ، وللمسجد بابان اثنان ، وقد تحـدث الضعيف عن هذه المقصورة فلاحظ ان العلامة محمد بن جلون كان يصدر الاحكام بها عـام 1280 هـ (1815 م) ، ويمتاز المسجـد على خلاف المساجد الصغرى الاخرى بنوع مـن الزخرفة رغم ما في تيجان السواري مثلا مـن جفاف عدا اقـواس المحـراب والسـواري المنحرفة على رخام مغاير لرخام مناجم عكراش بالرباط ولعله اوربي المصدر ، ومن منقولات القراصنة كما يقول كايبي .

وتعزى تسمية هذا المسجد بجامع النخلة الى كونه من بناء لالة نخلة ابنة بنعيشة الـذي يقال بانه هو مؤسس فندق بنعيشة في سوق القناصل بالرباط او اميرال سلا الذي كان من قواد السلطان مولاي اسماعيل ، والعنصر الذي يمكننا ان نقره في هذا الزعم هو ان المسجـد قد يكون مثل جامع عطية من مؤسسات العهـد الاسماعيلـي .

3) **جامـع القبـة** يقع خلف مستشفى سيدي فاتح وقد بناه السلطان مولاي سليمان حوالي الف ومائتين ونيف وعشرين كما يتبين ذلك من كتابة على اسكفة باب الجامع (انمحى منهـا الرقم الاخير) ، ومن خواص هذا المسجد ان شكله شكل قبة ذات مظاهر اصيلة نادرة فـي المساجد المغربية ، منها قاعة صغيرة مربعـة يبلغ طول كل ضلع مـن اضلاعهـا 6،85 م ؛ وعرض جداره مترين اثنين وخمسة وثلاثيـن سنتمترا ، ويوجد في كل جدار بهو عرضـه 4،55 م وعمقه 1،85 م يتدرج ضمن حنيـة كبرى مكسورة ومشرعة ، ويتفتح المحراب في البهو الجنوبي الشرقي ، وهو من المساجـد الصحيحة الاتجاه نحو القبلة دون اي انحراف، ويوجد مخدع مثلث الاضلاع في بهو آخر ربما كان منفذا اميريا الى احدى ملحقات مجموعـة بنايات السلطان المولى الرشيد .

4) **جامـع سيدي فاتـح** : بني عـام 1270 هـ اي في عهد السلطان مولاي عبـد الرحمن على يد مقاول تطواني هو المعلم الحاج عبد السلام وهو مسجد صغير عرضه 12،90 م وعمقـه 8،60 م .

ولا نطيل بوصف المساجد الاخرى الكثيرة كمسجد مولاي عبد الله وجامع الزناقي وجامع وقاصة وجامع سيدي قاسم وجامـع لالـة تبرنوست وجامع بالامينو وجامع بلا صومعـة (او جامع بلقاضي في البحيرة) وجامع الباشا وجامع بناني ، علاوة على الزوايا ، وفي طليعتها الزاوية التجانية وزاوية سيدي العربـي بن السايح وزاوية مولاي عبـد القادر الجيلالـي وزاوية سيدي بنعيسى والزاوية الحراقية ..

حول مقال
أخطاء مصحف مصر

●● تعقيبا على الحلقتين اللتين نشرناهما من بحث الدكتور التهامي الراجي الهاشمي تحت عنوان : (أخطاء مصحف مصر) في العددين : 232 و 233 توصلنا من لجنة مراجعة المصاحف بالازهر الشريف بالرد التالي الذي جاءنا عبر قسم رعاية مصالح جمهورية مصر العربية بالمغرب .

ويسعدنا ان ننشر نص الرد مع رسالة التقديم ●●

السيد رئيس تحرير مجلة (دعوة الحق) .

تحية طيبة وبعد :

اود أن اشير الى المقالتين المنشورتين بالعددين : 232 و 233 من المجلة تحت عنوان : « اخطاء مصحف مصر » واللتين اعدهما السيد الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، وقد قامت لجنة مراجعة المصاحف بالازهر الشريف ببحث مضمونهما .

وقد قامت اللجنة المذكورة باعداد ردها على مضمون هاتين المقالتين ، وتأمل ان تتمكن مجلتكم من نشره في أقرب فرصة .

واننا ننتهز هذه المناسبة لنعرب لكم ولاسرة تحرير المجلة عن أصدق تمنياتنا بالتوفيق في مهمتكم الجليلة .

وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير امتنا الاسلامية . مع وافر تحياتي .

دكتور مصطفى عبد العزيز
المشرف على الشؤون الثقافية

* * *

وبعد : فبالاشارة الى العدد رقم (232) من مجلة (دعوة الحق) الشهرية التي تعنى بالدراسات الاسلامية ، والتي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون

الاسلامية : الرباط ـ المغرب . وقد صدر هذا العدد في شهر صفر سنة 1404 هـ ، وتحت عنوان : ((أخطاء مصحف مصر)) .

طالعتنا المجلة بمقال للدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، يستعرض فيه مواضع من القرآن الكريم ، كان ينبغي الوقف عليها ، لم يشر الى الوقف عليها ، ومواضع أخرى ما كان ينبغي الوقف عليها أشير بالوقف عليها ... واعتبر صاحب المقال ان هذا الذي ذكره يصلح لان يكون له عنوان بالبنط العريض هكذا : ((أخطاء مصحف مصر)) .

ونحب ان نقول : ان مصر ليس لها مصحف واحد ، ان بها عشرات المطابع التي يوجد فيها الكثير يقوم بطباعة المصحف سواء كان برواية ((حفص)) عن ((عاصم الكوفي)) ، او برواية (ورش) ، وان كان السائد فيها رواية ((حفص)) .

وان كان صاحب المقال قد حدد ان المصحف المذكور الذي ورد فيه الاخطاء ، هو لصاحب دار المصحف ((عبد الرحمن محمد)) . فورود العنوان بهذه الحالة يوحي ان جنس المصاحف الصادرة من مصر بها اخطاء . اليس كذلك ؟؟

ثم يذكر الدكتور التهامي : انه يعود الى المصحف للقراءة فيه ، رغم انه من حفاظ القرآن والحمد لله . وهذا امر طبيعي لكل حافظ لكتاب الله تعالى ، أن يكون محتفظا بالمصحف ليبقى القرآن محفوظا على صفحات قلبه بعد ان يطلع على صفحات المصحف ، ليس في هذا غرابة !! .

يبقى ان نعرف ما معنى ((الخطا)) في القرآن الذي يجمع على ((أخطاء)) ، موضوع المقال للسيد الدكتور التهامي . نرجع في ذلك الى علماء القراءة والتجويد .

ولعل الدكتور التهامي ، يعلم أن العلماء ـ رحمهم الله ـ اختلفوا في ((الوقف)) على رؤوس الآي ، وهو ما ذكره صاحب (القول المفيد) في صفحة 164 ، حيث ذكر اختلافهم في ذلك على ثلاثة مذاهب :

الاول : الوقف عليها والابتداء بما بعدها ، لحديث ((أم سلمة)) : ولم ينظر الى عدم تمام الكلام ، كالوقف على قوله تعالى : (لعلكم تتفكرون) راس الآية في سورة ((البقرة))، والابتداء بقوله تعالى : (في الدنيا والآخرة). او على قوله تعالى : (ارايت الذي ينهى) راس الآية بسورة (العلق) ، والابتداء بقوله تعالى : (عبدا اذا صلى) ، ولا الى ايهام ((الوقف)) أو الابتداء معنى فاسدا لا يليق على الوقف ، على قوله : (فويل للمصلين) بسورة (الماعون) ، والابتداء بقوله تعالى : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

الثاني : جواز الوقف على رؤوس الآيات ، ولم يجز الابتداء لما تقدم .

الثالث : السكت على راس كل آية من دون تنفس . ثم يقول : فهذه ثلاثة مذاهب تتعلق ((بالوقف)) الحسن ، فاختر لنفسك منها ما يحلو .

بقي ان نعود الى نفس المقال الذي كتبه الدكتور التهامي في العدد المذكور من المجلة لنرى انه قد وقعت اخطاء في مقاله على الوجه الآتي :

صفحة	سطر	عمود	الكلمة	الخطا	الصواب
49	14	1	متشابها	متشابهة	متشابها
50	11	2	انثى	أنثى	انثى
51	4	1	فلها	فلما	فلها
51	18	1	واصلحا	واصلى	واصلحا

وهي كما ترى يا دكتور اخطـــاء في القـــرءان الكريم اقل ما توصف به انها (اخطاء جسيمة) حيث اشتملت على تبديل حرف بحرف في (متشابهـــا) أنثـــى ، فلهـــا ، أصلحـــا .

... ثم ذكر صاحب كتاب « القول المفيد » : أن اللحن « الخفي » ينقسم الى قسمين : أحدهما ، لا يعرفه الا علماء القراءة ، كترك الاخفاء ، والقلب ، والاظهار والادغام والغنة ، وكترقيق المفخم وعكسه ، ومد المقصور وقصر الممدود ، وكالوقف بالحركات ، وتشديد المخفف وتخفيف المشدد . وهذا النـــوع يترتب عليه خوف العقاب والتهديد الشديدين مـــن الحق تبارك وتعالـــى .

والثاني : لا يعرفه الا مهرة القراءة ، كتكريـــر الراءات ، وتطنين النونات ، وتغليـــظ اللامـــات ، وترعيـــد الصـــوت بالممـــدود والغنـــات . وهذا من المستحب يحسن النطـــق به حال الاداء (أهـ شرح الملا على) .

... وقال « البركوي » في شرحه « على الدر اليقين » : تحرم هذه التغيرات جميعها ، لانهـــا وان كانت لا تخل بالمعنى ، ولكنها تخل باللفـــظ لفساد رونقه ، وذهاب حسنه وطلاوته .

... ثم ذكر صاحب « القول المفيد » تتمـــة قسم فيها « علم التجويد » الى : واجب شرعـــي ، وصنـــاعـــي .

ـــ فالواجب الشرعي هو : ما يثـــاب على فعله ، ويعاقب على تركه .

ـــ والواجب الصناعي هو : ما يحسن فعله ، ويقبـــح تركـــه .

فالشرعي : ما يحفظ الحروف من تغيير المعنى، وافساد المعنى .

والصناعي : فيما ذكره العلمـــاء في كتـــب التجويد : « كالادغام والاخفاء والاقلاب ، والترقيـــق والتفخيم » ، فلا يأثم تاركه على اختيار المتاخرين . واما المتقدمون ، فاختاروا وجوب الجميع شرعـــا ، وهذا هو الموافق لما افتى به العلامة « ناصر الدين الطبـــلاوي » .

... ومما سبق من اقوال علماء التجويد يتبين تعريف كلمة « الخطا » في القرءان الكريم ، لنرى ان المقال الذي يكتبه الدكتور التهامـــي في موضـــوع الوقوف الواردة في المصحف ، ووصفها بالخطـــا يتنافى وما حدده علماء التجويد من كلمة الخطـــا في القرءان بنوعيه ، مع العلم ان الوقف أمر مختلف فيه بين العلماء ، وهذا الاختلاف ناشيء من تخريجـــات وأقوال المفسرين ، اذ ان بعضهم يرى ان الوقف في موضع ما يكون حسنا ، وبعضهم يعتبره أحسن ، بـــل تفاوتوا في الامر نفسه حيث أن بعضهم يعتبـــر ان « الوصل » هنا اولى من « الوقف » ، وفي موضع ما ان « الوقف » هنا اولى من « الوصل » ، وبعضهـــم يرى ان « الوقف » هنا مستوى الطرفين « وصـــلا ووقفا » ، وبعضهم يرى ان « الوقف » هنا لازم في الوقت الذي يعتبره بعضهم جائزا .

... هذه امور اجتهاديـــة اشار اليها « ابـــن الجزري » اذ يقول : وليس في القرءان من وقـــف يجب ، ولا حرام غير ما له سبب . بمعنى : انـــه لا الزام فيما لا يلزم . الى ان قال صاحب « القـــول المفيد » في صفحة 26 ، بعد ان نقل عن « ابن غازي» تقسيمه للواجب في التجويد الى « شرعي وصناعي»، الى ان قال : والثاني ما كان من جهة الوقف ، فانه لا يجب على القارىء الوقف على محل معين بحيث لو تركه يأثم ، ولا يحرم الوقف في كلمة بعينهـــا الا اذا كانت موهمة وقصدها ، فان اعتقد معناهـــا كفـــر والعياذ بالله ، كان وقف على قولـــه : « ان الله لا يستحى ، وما من اله ، واني كفرت » وشبه ذلك .

ومعنى قولهم : لا يوقف على كذا ، معناه : انـــه لا يحسن الوقف صناعة على كذا ، وليس معنـــاه ان الوقف يكون حراما او مكروها ، بل خـــلاف الاولى ، الا ان تعمد الوقف على نحو قوله : « لقد كفر الذين قالوا » ونحو قوله : لقد سمع الله قول الذين قالوا » وابتدا بعد ذلك ، فيحرم عليه ، فان اعتقد معناه كفر، كما هو ظاهر . وهذا معنى قول « ابن الجزري » في الشطر الثاني من البيت :

وليس في القرءان من وقف يجـــب
ولا حرام غيـــر ما لـــه سبـــب

... وكل ما ذكره الدكتـــور التهامـــي عـــن المصحف المذكور من امثلة للوقوف التي استعرضها،

ليس فيها شيء يوهم خلاف المعنى المقصود حتى نصفه بأنه « خطا » يؤدي الى الحرمة او الكفر ، بل كلها اختيارية يخير القارىء بين الوقف عليها أو تركها .

قال في ذلك صاحب كتاب « نهاية القول المفيد في علم التجويد ص : 23 » :

... ثم ان اللحن يأتي في لغة العرب على معان، والمراد به هاهنا الخطا والميل عن الصواب ، وهو نوعان (جلي ، وخفي) ولكل واحد منهما حد يخصه ، وحقيقة يمتاز بها عن صاحبه .

فاما الخطا الجلي : فهو خطا يطرا على الالفاظ ، فيخل بالعرف أعني عرف القراءة سواء أخل بالمعنى أم لم يخل ، وانما سمى « جليا » لانه يخل اخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم . وهو يكون في « المبنى ، او الحركة ، او السكون » . والمراد من « المبنى » حروف الكلمة ، والمراد من الخطا فيه تبديل حرف بآخر ، كتبديل (الطاء دالا) بترك اطباقها واستعلائها او تاء بتركها وباعطائها همسا .

والمراد من « الحركة » ما يعم حركته الاول والوسط والآخر،ومن الخطا فيه تبديل حركة بأخرى، او بالسكون سواء تغير المعنى بالخطا فيها كضم التاء او كسرها قوله : « انعمت عليهم » وكفتح التاء وكسرها في قوله : « ما قلت لهم » او لم يتغير كرفع الهاء او نصبها في قوله « الحمد لله » .

والمراد من « السكون » ما يعم سكون الوسط والآخر ، ومن الخطا فيه تبديله بالحركة سواء تغير المعنى بالخطا فيه ، ففتح الميم في قوله « ولا حرمنا من شيء » او لم يتغير ، كضم الدال في قوله « لم يلد ولم يولد » .

... وهذا النوع لا شك انه حرام بالاجماع سواء او هم خلل المعنى اذا اقتضى تغيير الاعراب أم لم يوهم .

واما اللحن الخفي : فهو خطا يطرا على اللفظ ، فيخل بالعرف ولا يخل بالمعنى ، وانما سمى خفيا ، لانه يختص بمعرفته علماء القراءة واهل الاداء ، وهو يكون في صفات الحروف كذا اطلقه لكن ينبغي أن يقيد الخطا بما لا يؤدي الى تبديل حرف بآخر ، كترك الادغام ، واما اذا ادى اليه كترك اطباق (الطاء) واستعلائه فهو من اللحن « الجلي » .

هذا وبالله التوفيق »

لجنة مراجعة المصاحف

بالازهر الشريف

تحريرا في : 1984/3/25م

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

" وحتى عندما دخل الاسلام المغرب غازيا لم يستسلم واستتب الأمر للاسلام، لأن الاسلام لم يأت لهذا البلد ليأخذ منهم الزرع ولا القمح ولا الفواكه ولا البواكر ولا العبيد ولا الماديات، لم يطلب منهم شيئا بل أنه جاء إليهم بما كانوا أحوج إليه، وجاء إليهم بهدية هي الحرية، ومنذ ذلك اليوم والمغرب يرتع في الاسلام ويرتع في الهناء وهو مطل على جيرانه ومن يجاوره بعيدا كان أم قريبا، يطل من قمم شامخا في تواضع معتزا في إطار معاملة يومية دائبة لا تريد العجرفة ولا تريد الاستئثار ولكن يحاول كذلك في انّ واحد هذا المغرب أن يقول للجميع حذار من هذا، لا تظنوا كرمي سفها ولا تسامحي تخليا، ولكن لي شيم ولي تقاليد احترمها، فاحترموها معي. "

نظرات في تاريخ المذهب المالكي : (9)

إسهامات المغاربة في علم أصول الفقه

للدكتور عمر الجيدي

عندما يؤرخ الاصوليون لعلم اصول الفقه يجمعون ــ او يكادون ــ على ان الامام الشافعي (204 هـ) هو اول من اهتدى لوضع هذا الفن، فهو الذي اصل اصوله، وبين مناهجه، وارسى قواعده، وذلك بناء على طلب وجه اليه من الفقيه المحدث الشهير عبد الرحمن بن مهدي (198 هـ) تلميذ الامام مالك وشيخ المحدثين بالعراق يلتمس منه ان يضع كتابا يذكر فيه معاني القرءان وشروط قبول الاخبار وحجية الاجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرءان والسنة، فوضع لذلك كتابه الشهير « الرسالة » ومن تم قال الفخر الرازي (606 هـ) ان نسبة الشافعي الى علم الاصول كنسبة « ارسطوطاليس » الى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن احمد الى علم العروض. غير ان هناك من لا يرى هذا الراي، ويذهب الى ان الامام ابا حنيفة (150 هـ) كان أسبق الى التاليف في هذا الفن، وان الشافعي ما هو الا تابع له ومقتف اثره، فابو حنيفة هو الذي بين طرق الاستنباط في كتابه « الراي » وتلاه صاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن، ولعل الصواب ما ذهب اليه الجمهور، وهو ان الشافعي اول من دون في هذا الفن، وهذا لا يعني ان من سبقه من الائمة لم يكن لهم اهتمام بهذا الجانب، او كانوا على جهل بهذا العلم، ويدلك على ذلك ان الرازي الذي قدمنا كلامه، عاد فذكر ان الناس كانوا قبل الامام الشافعي يتكلمون في مسائل اصول الفقه، ويستدلون ويعترضون بدون قانون كلي مرجوع اليه في معرفة دلائل الشريعة، فهو اعتراف منه بأن من سبق الشافعي كان يعرف مسائل اصول الفقه يستدلون بها، ويسيرون على هديها، ويستنبطون الاحكام على ضوئها، والقاضي ابو بكر ابن العربي (543 هـ) يثبت في كتابه « القبس » ان مالكا بين في كتابه « الموطا » اصول الفقه وفروعه، وذكر انه بناه على تمهيد الاصول للفروع، ونبه فيه على معظم اصول الفقه التي ترجع اليها مسائله وفروعه، والحق ان كل امام من هؤلاء ساهم بقسطه وأدلى بدلوه، وكان على جانب من المعرفة بهذا الفن غير يسير..

فان يكن للامام الشافعي الفضل، ففي تنظيم قواعد هذا العلم وتوضيح منهجه، بعد ان استفاد من ملاحظات واشارات من سبقه من الائمة، فهو لم يضف الا انه قنن هذا العلم، ورسم له المنهج النهائي يحتكم اليه، بعد ان مهد له من سبقه، وايا ما كان الامر، فان هذا العلم بعد رسالة الشافعي اصبح علما مستقلا، مرتب الابواب، محرر المسائل، مدقق الابحاث، ممهد القواعد، مهذب الفصول، ومن تم الفت فيه المؤلفات بعده، وصنفت المصنفات وتنوعت الى طريقتين : طريقة المتكلمين، وطريقة الفقهاء، قبل ان تظهر الطريقة الثالثة التي جمعت بينهما، والموضوع لا يسمح لنا بالحديث عن هذه الطرق، والمصنفات في كل طريق، ولكننا نريد ان نعرف المجهودات التي بذلها علماء المغرب في هذا

السبيل وما كان لهم من اسهامات وابتكارات او اضافات ، وسنفاجأ في البدء بقضية رسخت في اذهان الناس ، دهرا طويلا ، مفادها : ان المغاربة كانوا قاصدين في علم الاصول ، عازفين عنه ، منفرين منه ، لا يحتفلون بكتبه ، ولا يتناظرون في مسائله وقواعده ، بل سمعنا من يزعم ان المغاربة لم يكن فيهم احد يفهم الاصول (هكذا بهذا الجزم ..) !!

ولعل اول من اثار هذه التهمة هو الفقيه الفيلسوف ابو الوليد بن رشد الحفيد (595 هـ) فقد ورد في كتيبه « فصل المقال » ان علم الاصول يروج في جميع البلدان ما عدا المغرب (1) ، وتبنى رأيه هذا المقري (1041 هـ) في « النفح » ، فعندما تحدث عن فنون العلم التي اهتم بها المغاربة وبرعوا فيها ، والتي فاقوا غيرهم في بعضها قال : « وعلم الاصول عندهم متوسط الحال » (2) ، وذات يوم حضرت مناقشة رسالة في دار الحديث الحسنية زعم احد مناقشيها ان اهل المغرب لم يكن فيهم احد يفهم الاصول وتحدى المناقش (بفتح القاف) والحاضرين ان يثبتوا عكس ذلك (وكلامه مسجل على شريط المناقشة واذيع) ، فهل كان المغاربة حقا مقصرين في علم اصول الفقه وجاهلين به ؟ ..

بهذا السؤال رحت انطلق في البحث ، واقلب صفحات بعض الكتب المهتمة بالموضوع ، او التي لها علاقة به ، فاتضح لي ان هذه التهمة فيها من الغلو والتجني الشيء الكثير ، ولاح لي ان اهل المغرب لم يكونوا كما صورهم ابن رشد ومن سار على رأيه ، كما ثبت لدى بالدليل ان علماء المغرب كانوا كغيرهم من الفقهاء يهتمون بهذا اللون من العلم اهتماما فائقا ، وهداني البحث الى العثور على طائفة كريمة من المؤلفين في هذا الفن ، واذا انا امام ثروة ضخمة من المؤلفات ، فيها ما هو موضوع اساسا ، ومنها ما هو شروح وحواش وتعليقات ومنظومات ..

فايقنت ان هذه الحصيلة المدونة لا شك تدل على اهتمام القوم بعلم الاصول . فان قيل ان كثرة المؤلفات لا تنهض حجة على قوة فهمهم لهذا العلم وتعمقهم فيه ، واتيانهم فيه بالجديد المبتكر ، لا سيما اذا كان الامر يتعلق بالشروح والحواشي ، وهي معظم ما الف المغاربة ، قلنا هذا الاعتراض لا يصلح دليلا ، وذلك لسببين :

الاول : ان المؤلفات في هذا الفن ليست كلها من قبيل الشروح والتعليقات ، بل فيها من المؤلفات الموضوعة اساسا الكثير كما سيتضح من خلال استعراضنا لها ..

الثاني : ان من يتصدى لشرح أي فن من الفنون ، او التعليق عليه يفترض فيه ان يكون عالما بالفن المشروح ، او المعلق عليه ، وهذه حقيقة ملاحظة في كل العلوم ، فالشارح هو الذي يهتم بتوضيح ما غمض من المعاني والافكار في الاصل المشروح ، والاضافة اليه ، ونقد ما قد يكون وقع فيه صاحب الاصل من وهم او خطأ ... على ان علم الاصول مرتبط اشد الارتباط بالفقه ، والفقيه عند المغاربة هو من يتعمق في الاصول ، والمغاربة لم يشتهروا في الميدان العلمي بشيء بمقدار ما اشتهروا بالفقه ، والاصول هي من مقومات الفقيه ، اذ مهمته استنباط الاحكام والتخريج والتشهير والتضعيف ، ولا يتأتى له ذلك اذا لم يكن متمرسا بعلم الاصول ..

ومعلوم قطعا ان الفقهاء المغاربة كان لهم اجتهادات خالفوا في بعضها المذهب ، واستنباطات فرعية كثيرة خرجوها قياسا على الاصول المعتمدة تحقيقا للمصالح ودفعا للمفاسد ، وهذه الاستنباطات، وتلك التخريجات ان هي الا شهادة تقوم حجة على رسوخ قدمهم في الاحكام ، فكيف امكنهم ذلك وهم قاصرون في علم الاصول او جاهلون به ؟ .

على انه لا ينبغي ان يفوتنا التنبيه على شيء هام وهو ان التجديد في هذا العلم جاء من المغرب على يد الفقيه الاصولي النظار ابي اسحاق الشاطبي (790 هـ) في كتابه « الموافقات » اذ كان الاصوليون قبله انما يهتمون فقط بالحكم وما يتصل به من مباحث الالفاظ ... ويغفلون جانبا هاما هو مقاصد الشرع فبقي غفلا لم يتصد له احد قبله ، مع انه يشكل الجزء الاهم من هذا الفن فنهض بعبئه الشاطبي . لسنا نزعم ان المقاصد لم يعرفها من سبقه كما سمعت ذلك من بعض القوم ، فاننا نجد

---

(1) فصل المقال ص 27 تحقيق : د. عمارة .
(2) النفح 221/1 ، تحقيق : د. احسان عباس .

اشارات اليها عابرة فيما كتبه الغزالي (505 هـ) في المستصفى ، والعز ابن عبد السلام (660 هـ) في كتابه « القواعد » وابن القيم في كتابه « اعلام الموقعين » ، وقبلهم اشار اليها الجويني (478 هـ) على قلة ـ لكن الشاطبي توسع في بحث المقاصد بطريقة لم يسبق اليها ، ولا زوحم عليها ، فهو الذي أصلها ورسم لها المنهج النهائي ..

ومن ثم فتح لمن اتى بعده من الفقهاء بابا ظل مغلقا منذ بدا التفكير في هذا العلم حتى عصره ، فكان بفعله هذا اشبه بما فعله الامام الشافعي ، حتى انه ليجوز لنا القول بأن هذا العلم اذا كان قد بدا بالشافعي فقد ختم بالشاطبي ..

ان اهتمام المغاربة بعلم الاصول بدا في عصر مبكر، اذ نجد من الف فيه في القرن الثالث الهجري، فينسب للفقيه الاندلسي يحيى بن عمر (289 هـ) كتاب فيه ، وفي القرن الرابع الهجري نجد عالمين ساهما بدورهما في هذا الميدان ، ويتعلق الامر بالفقيه زكرياء بن يحيى الكلاعي القرطبي المتوفى حوالي (300 هـ) والفقيه عبد الملك بن احمد بن محمد المعروف بابن المش (336 هـ) ، ويزداد التاليف في هذا الفن في القرن الخامس ، اذ نجد من مؤلفيه اصوليين بارزين امثال : الفقيه خلف بن احمد ابن بطال (454 هـ) والفقيه الاصولي المحدث ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي (474 هـ) وابي العباس احمد بن سليمان بن خلف الباجي (493 هـ) وابي العباس احمد بن نصر الداودي (402 هـ) وابي الفضل بن عمرو بن محمد بن البزاز (452 هـ) والعالم الضليع ابي محمد ابن حزم الظاهري (456 هـ) وابي عمر احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي عيسى المعافري الطلمنكي (429 هـ) ، ثم يزداد التاليف انتشارا في القرن السادس ، اذ نعد من مؤلفيه ابا عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي (520 هـ) وابا محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (521 هـ) وابا محمد عبد الله بن طلحة ابن محمد اليابري (اوائل القرن 6 هـ) وابا اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المتوفى (اوائل القرن 6 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (536 هـ) والحافظ ابا بكر ابن العربي المعافري (543 هـ) ، وابا محمد عبد الله بن عيسى الشبلي (551 هـ) ، وابا الحسن علي ابن محمد بن ابراهيم بن البقري الغرناطي (553 هـ)، وابا الوليد محمد بن رشد الحفيد (595 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي (596 هـ) ، وابا الحسن علي بن محمد بن ابراهيم الغرناطي (557 هـ) ، وابا الحسن علي بن ابي القاسم التلمساني (557 هـ) ، وعبد الجليل بن ابي بكر الرافعي ابن الصابوني (595 هـ) ، وابا علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (580 هـ) ، وابا الحسن بن عتيق الانصاري الخزرجي القرطبي (593 هـ) ، وابا المحاسن يوسف بن ابراهيم بن عياد السدراتي الورجلاني (570 هـ) ، وفي القرن السابع الهجري الفت كتب قيمة في هذا العلم ، وهكذا نجد من مؤلفي هذا القرن ابا الحسن علي بن اسماعيل بن علي بن عطية الابياري (616 هـ) ، وابا الحسن علي بن احمد بن الحسن الحرالي (637 هـ) وسهل بن محمد بن مالك الازدي (639 هـ) وابا العباس احمد بن محمد الازدي الاشبيلي (647 هـ او 651 هـ) وابا العباس احمد بن عبد الله بن عميرة ابو المطوف (658 هـ) وابا العباس احمد بن محمد بن احمد القرناطي (669 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي الاصولي (611 هـ) ، وابا زكرياء يحيى بن عبد الرحمن الاشعري القرطبي (640 هـ)، وابا الحسن علي بن محمد بن محمد الحصار الخزرجي (610 هـ) ، وابا الحسن علي بن محمد بن عبد الملك المعروف بابن القطان (628 هـ) ، وابا العباس احمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي (656 هـ).

وعلى كثرة المؤلفات في هذا القرن والذي سبقه ، فان القرن الثامن الهجري كان اجل عصور التاليف واكبرها في علم اصول الفقه ، اذ فيه الفت الكتب القيمة التي يرجع اليها ويعتمد عليها ، ونعد من مؤلفي هذا القرن : ابا عبد الله محمد بن ابراهيم البقوري (707 هـ) ، وابا العباس احمد بن ابراهيم ابن الزبير الغرناطي (780 هـ) وقاسم بن عبد الله بن محمد ابن الشاط (723 هـ) ، وبا العباس احمد بن محمد بن عثمان المعروف : بابن البناء (721 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد النور التونسي (كان حيا 726 هـ) ، وابا العباس احمد بن الحسين ابن علي الكلاعي (723 هـ وابا عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد القفصي (736 هـ) ، وابا العباس احمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي (771 هـ) ، وابا محمد عبد الله بن علي الكناني الغرناطي (741 هـ) وابا عبد الله محمد بن احمد بن جزى (741 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن محمد الصفاقسي (744 هـ) ،

وابا العباس احمد بن ادريس البجائي (توفي 760هـ) وابا عبد الله محمد بن احمد بن علي الشريف التلمساني (771 هـ) ، وابا زكرياء يحيى بن موسى الرهوني (775 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن عبد الله ابن سعيد لسان الدين ابن الخطيب (776 هـ) ، وابا العباس احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي (780 هـ) وابا اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي (790 هـ) وابا عبد الله محمد بن هارون الكناني التونسي (750 هـ) .

وفي القرن التاسع ظهرت كتب اخرى جديدة في هذا الفن بظهور مؤلفين جدد امثال : المؤرخ الشهير عبد الرحمن بن خلدون (808 هـ) ، وابي العباس احمد بن حسن القسنطيني المعروف بابن قنفذ (810 هـ) وسعيد بن محمد العقباني (811 هـ) وابي بكر محمد بن محمد بن عاصم (829 هـ) ، وابي العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو (845 هـ) وابي العباس احمد بن عبد الرحمن اليزليطني عرف بحلولو (كان حيا 875 هـ) وابي عبد الله محمد بن احمد التركي التونسي (894 هـ ، وابي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي (803 هـ) ، وابي العباس احمد بن زكري (899 هـ) ، وابي الحسن علي بن ثابت التلمساني (829 هـ) ، وابي عبد الله محمد بن محمد بن اسماعيل الراعي الغرناطي (853 هـ هـ) ..

حتى اذا انتقلنا الى القرن العاشر رأينا المؤلفات يصيبها شيء من الفتور ، اذ لم نسجل من مؤلفي هذا القرن الا ثلاث مؤلفين ، او قل لم نستطع العثور الا على هؤلاء وهم : أبو العباس احمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار (914 هـ) ، وابو العباس بن عمر التمبوكتي (942 هـ) ، وابو الحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق (912 هـ) ، وعلى الرغم من قلة التاليف في هذا القرن ، الا ان القرن الحادي عشر شهد ازدهارا في هذا الفن من حيث التاليف ، اذ استطعنا ان نسجل من مؤلفيه عددا لا بأس به ، وهكذا وجدنا ابا زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي 1036 هـ) ، وابا العباس احمد بن ابي بكر الدلائي (1051 هـ) ، وابا الحسن علي بن عبد الواحد السجلماسي (1057 هـ) ، وابا عبد الله محمد المرابط الدلائي (1039 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن محمد سليمان الفاسي (1094 هـ) وابا زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1096هـ) وابا الحسن علي بن عبد الواحد الانصاري السجلماسي (1057 هـ) .

ويزداد التاليف اكثر في القرن الثاني عشر ، اذ نجد من مؤلفيه : ابا علي الحسن بن مسعود اليوسي (1111 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (1113 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (1120 هـ) ، وابا العباس احمد بن محمد بن يعقوب الولالي (1123 هـ) ، وابا العباس احمد بن مبارك بن محمد البكري السجلماسي (1155 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن محمد الحسني البليدي (1176 هـ) ، وابا عبد الله محمد بن عبادة ابن برى (1199 هـ) ، وابا زيد عبد الرحمن بن جاد الله البناني المنتيري (1193 هـ) .

كما نعد من مؤلفي القرن الثالث عشر : ابا عبد الله محمد بن محمد الشفشاوني (1232 هـ) وعبد الهادي بن عبد الله السجلماسي (1271 هـ) وابا عبد الله محمد بن المهدي بن الطالب بن سودة (1294هـ) ومحمد المازري بن محمد بن اطو بن ابراهيم الغول (1286 هـ) ومحمد بن عبد الرحمن الديسي المولود عام (1270 هـ) ومحمد بن الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عاشور (1284 هـ) ومحمد بن علي التميمي التونسي (1236 هـ) .

ثم يقل التاليف في هذا الفن في القرن الرابع عشر ، لم نعد من مؤلفيه الا خمسة افراد وهم : محمد مصطفى ماء العينين الشنقيطي (كان حيا 1320 هـ) ومحمد بن عثمان النجار التونسي (1331 هـ) وسالم بن عمر بوحاجب البسيلي التونسي (1342 هـ) ومحمد يحيى بن محمد المختار ابن الطالب الشنقيطي الولاتي (1330 هـ) .

فهؤلاء هم الذين استطعنا ان نعثر على اسمائهم ضمن الذين الفوا في علم اصول الفقه ، ودلتنا المراجع على تعيين سني وفاتهم او ميلادهم . وهناك افراد آخرون ساهموا في التاليف ، لكن لم نستطع تحديد الزمن الذي عاشوا فيه ، ولا شك ان هناك مؤلفين آخرين لم نهتد الى اسمائهم ممن يكونون قد ساهموا بانتاجهم في هذا الفن .. ولا ريب ان هذا العدد الذي احصيناه يقوم شاهدا على ان المغاربة لم يقصروا في هذا الميدان ، وانهم كغيرهم من العلماء،

كانوا يتعاملون مع كتب الاصول دراسة وتدريسا وبحثا وانتاجا ، وفيه ما يدفع تلك التهمة التي الصقت بهم ..

الا ان لانصاف يدفعنا ـ رغم كثرة الانتاج هذه ـ الى القول بان المغاربة لم يصلوا في هذا الفن ما وصله اخوانهم المشارقة ، كما ان انتاجهم في الغالب كانت تنصب على مؤلفات المشارقة يتناولونها بالشرح والتعليق دون أن يتعمقوا في ذلك تعمق المشارقة ، فهم لم يستطيعوا ان يجاروا الشافعية او الاحناف في هذا الميدان ، لذلك رأيناهم يعتمدون على مؤلفات هؤلاء واولئك ، بها يتناظرون ، وبها يدرسون ويدرسون ، وبسبب ذلك ظلوا ضعفاء في البحث والمناظرة ، وهذه الحقيقة عبر عنها ابو الوليد سليمان الباجي في كتابه : « المنهاج » اذ قال : « لما رايت بعض اهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين ، وعن سنن المجادلة عادلين خائفين فيما لم يبلغهم عمله ، ولم يحصل لهم فهمه ، مرتبكين ارتباك الطالب لامر لا يدري تحقيقه ، والقاصد الى نهج لا يهتدي طريقه ، ازمعت على ان اجمع كتابا ... » الى آخر ما قال (3) . وانت خبير بأن علم الجدل والمناظرة يعتمد اساسا على علم الاصول .

وتتميما للفائدة نورد اسماء الذين صنفوا في علم اصول الفقه مرتبين على حروف المعجم معززين بالمراجع التي نسبت اليهم هذه التآليف معتبرين الحرف الاول فقط :

1) احمد بن سليمان بن خلف الباجي (493هـ) له : كتاب (سر النظر في علمي الاصول والخلاف) (4) .

2) احمد بن محمد الطلمنكي ابو عمر (429 هـ) له : (الوصول الى معرفة الاصول) (5).

3) احمد بن محمد الازدي الاشبيلي (651 هـ) له : (اختصار المستصفى وحواش على مشكلاته) (6) .

4) احمد بن عبد الله بن عميرة ابو المطرف (653 هـ) له : رد على كتاب (المعالم في اصول الفقه) للامام فخر الدين الرازي (7) .

6) احمد بن محمد بن احمد ابو جعفر الغرناطي (699 هـ) له : (شرح المستصفى) (8) .

7) احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي ابو جعفر (780 هـ) له : (شرح الاشارة) للباجي في اصول الفقه (9) .

8) احمد بن محمد بن عثمان المراكشي المعروف بابن البناء (721 هـ) له : (منتهى السول في علم الاصول) و (شرح التنقيح) للقرافي . وله : (تنبيه الفهوم على مدارك العلوم) في الاصول (10) .

9) احمد بن الحسين بن علي الكلاعي المعروف بابن الزيات (723 هـ) له : رسالة في الاصول (11) .

10) احمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي (741 هـ) له : تقييدات مفيدة على تنقيح القرافي (12) .

11) احمد بن ادريس البجائي المكني بابي العباس (760 هـ) له شرح على مختصر ابن الحاجب الاصلي (13) .

---

(3) المنهاج ص : 1 .
(4) الديباج 40 وشجرة النور 121 .
(5) الديباج 39 وشذرات الذهب 243/3 وشجرة النور 113 .
(6) طبقات الاصوليين 67/2 وطبقات المالكية 184 .
(7) الديباج 46 وطبقات الاصوليين 72/2 .
(8) الديباج 40 وطبقات الاصوليين 93/2 .
(9) الديباج 42 والدررالكامنة 84/1 وطبقات الاصوليين 107/2 وشجرة النور 212 .
(10) نيل الابتهاج 65 وشجرة النور 216 وطبقات الاصوليين 125/2 .
(11) الديباج 43 والدرر الكامنة 131/1 .
(12) الديباج 81 وطبقات الاصوليين 146/2 .
(13) معجم البلدان 62/2 وطبقات المالكية 233 .

12) احمد بن عمر بن هلال المعروف بالربعي (795 هـ) له : شرح مختصر ابن الحاجب الاصلي (14) .

13) احمد بن محمد بن عطاء الله الزبيري (301 هـ) له : شرح على مختصر ابن الحاجب (15) .

14) احمد بن حسين القسنطيني المعروف بابن قنفود (310 هـ) له : شرح مختصر ابن الحاجب الاصلي (16) .

15) احمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن زاغو (345 هـ) له : مختصر ابن الحاجب الاصلي (17) .

16) احمد بن عبد الرحمن اليزليطني حلولو (375 هـ) له : شرحان على ابن السبكي (جمع الجوامع) طبع احدهما على هامش نشر البنود ، وله : شرح التنقيح والارشادات للباجي (18) .

17) احمد بن ابي بكر الدلائي (1051 هـ) له : شرح على مختصر ابن الحاجب الاصلي (19) .

18) احمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي (1128 هـ) له : حاشية على المحلى (20) .

19) احمد بن مبارك بن محمد البكري الصديقي السجلماسي (1155 هـ) له : رسالة في دلالة العام على بعض افراده وله : شرح على جميع الجوامع (21) .

20) احمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي (656 هـ) له : كتاب الوصول الى علم الاصول (22).

21) احمد بن زكري (899 هـ) له : شرح الورقات في اصول الفقه لامام الحرمين (23) .

22) احمد بن عمر التمبوكتي (942 هـ) له : كتاب في الاصول (24) .

23) احمد بن يحيى الونشريسي (914 هـ) له : تعليق على مختصر ابن الحاجب الاصلي .

24) احمد بن نصر الداودي (402 هـ) له : كتاب في الاصول (25) .

25) ابراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي (526 هـ) له : كتاب التنبيه في الاصول (26)

26) ابراهيم بن موسى الشاطبي (790 هـ) له : كتاب الموافقات ، مطبوع متداول .

27) ابراهيم التادلي له : شرح جمع الجوامع (27) .

28) الحسن بن مسعود اليوسي (1111 هـ) له : الكواكب السواطع في شرح جمع الجوامع (28)

---

(14) شذرات الذهب 338/6 وشجرة النور 223 .
(15) معجم البلدان 414/2 وشجرة النور 224 وطبقات الاصوليين 3 / 6 .
(16) نيل الابتهاج 75 وشجرة النور 250 .
(17) المصدران السابقان .
(18) المصدران السابقان .
19 ـ شجرة النور 301 وطبقات الاصوليين 94/3.
20 ـ شجرة النور 301 وطبقات الاصوليين 123/3.
21 ـ شجرة النور 352 ومعجم سركيس 1009/5.
22 ـ تحقيق المراد للحافظ العلائي ص : 81 .
23 ـ تعريف الخلف 45/1 وطبقات المالكية 267 .
24 ـ تعريف الخلف 71/2 .
25 ـ المدارك 103/7 .
26 ـ الديباج 87 وطبقات الاصوليين 22/2 .
27 ـ النبوغ 304/1 .
28 ـ طبقات الاصوليين 118/3 وطبقات المالكية 328 .

29) حسن بن علي بن محمد المسيلي (580 هـ) له : كتاب النبراس في الرد على منكر القياس (29) .

30) حسن الشوشاوي له : شرح على تنقيح الفصول (30) .

31) خلف بن احمد بن بطال (454 هـ) له : مؤلفات في الاصول (31) .

32) زكرياء بن يحيى الكلاعي القرطبي (بعد 300 هـ) له : كتاب في الاصول (32) .

33) محمد بن الوليد الطرطوشي ابو بكر (520 هـ) له : كتاب في اصول الفقه (33) .

34) محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي (543 هـ) له : (المحصول في علم الاصول) وهو الآن قيد التحقيق .

35) محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (536 هـ) له : ايضاح المحصول في برهان الاصول (34) .

36) محمد بن احمد بن رشد الحفيد (595هـ) له : منهاج الادلة في الاصول ومختصر المستصفى (35) .

37) محمد بن ابراهيم بن محمد البقوري له : اختصار فروق القرافي (36) .

38) محمد بن محمد بن عبد النور التونسي له : تقييدات على الحاصل في سفرين (37) .

39) محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي (736 هـ) له : تحفة الواصل في شرح الحاصل (38) .

40) محمد بن احمد بن جزى الكلبي الغرناطي (741 هـ) له : تقريب الوصول الى علم الوصول يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط رقم 1863 د .

41) محمد بن محمد بن ابراهيم الصفاقسي (744 هـ) له : شرح مختصر ابن الحاجب الاصلي (39) .

42) محمد بن احمد بن علي التبريسف التلمساني (771 هـ) له مفتاح الوصول في بناء الفروع على الاصول مطبوع متداول .

43) محمد الغماري (776 هـ) له : شرح على مختصر ابن الحاجب الاصلي ، يعرف بمختصر الغماري (40) .

44) محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي المعروف بلسان الدين ابن الخطيب (776 هـ) له : الفية في اصول الفقه هي التي شرحها المؤرخ ابن خلدون (41) .

45) محمد بن محمد بن عاصم الاندلسي الغرناطي (829 هـ) له : ارجوزة في الاصول سماها

---

29 ـ الاعلام للزركلي 220/2 .
30 ـ الاعلام للمراكشي 148/3 .
31 ـ الديباج 115 وطبقات الاصوليين 242/1 .
32 ـ التكملة ص : 71 ، ط : مدريد .
33 ـ الديباج 276 ووفيات الاعيان 606/1 و النجوم الزاهرة 231/5 .
34 ـ وفيات الاعيان 285/4 ، والديباج 279 وشجرة النور 127 .
35 ـ الديباج 284 والنجوم الزاهرة 154/6 ، وطبقات الاصوليين 39/2 .
36 ـ الديباج 322 ، وشجرة النور 211 .
37 ـ طبقات الاصوليين 127/2 وشجرة النور 206
38 ـ الديباج 235 وشجرة النور 207 .
39 ـ الدرر الكامنة 158/4 وشجرة النور .
40 ـ طبقات الاصوليين 193/2 وشجرة النور 223
41 ـ نفح الطيب 101/7 .
42 ـ نيل الابتهاج 239 وشجرة النور 247 .

مهيع الوصول في علم الاصول ، ورجز سماه مرتقى الوصول (ط) ومختصر الموافقات سماه نيل المنى (42) .

46) محمد بن محمد بدر الدين المالكي ، له : مختصر ابن الحاجب الاصلي (43) .

47) محمد بن احمد التريكي التونسي (894هـ) له : شرح مختصر ابن الحاجب الاصلي (44) .

48) محمد بن محمد الحطاب ، له قرة العين شرح ورقات امام الحرمين في الاصول (45) .

49) محمد المرابط الدلائي (1069 هـ) له : المعارج المرتقيات في معاني الورقات لامام الحرمين (46)

50) محمد بن محمد بن سليمان السوسي الفاسي (1094 هـ) له مختصر التحرير وشرحه (47) .

51) محمد بن الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (1113 هـ) له : شرح مقدمة جده في الاصول (48) .

52) محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (1120 هـ) له : شرح ورقات امام الحرمين (49) .

53) محمد بن محمد الحسني البليدي (1176 هـ) له : دلالة العام على بعض أفراده (50) .

54) محمد بن عبادة ابن بري (1193 هـ) له : تقييدات على ورقات امام الحرمين ، وله : حاشية على جمع الجوامع (51) .

55) محمد بن محمد الشفشاوني (1232 هـ) له : حاشية على المحلي (52) .

56) محمد بن المهدي بن الطالب بن سودة (1294 هـ) له : حاشية على المحلي (53) .

57) محمد بن ابي زيد الخزرجي الاشبيلي الاصل ، التلمساني ، له : كتاب في أصول الفقه (54) .

58) محمد لفندلاوي الفاسي (596 هـ) له : ارجوزة في علم أصول الفقه (55) .

59) محمد بن عثمان النجار التونسي (1331 هـ) له : تقريرات على شرح المحلي (56) .

60) محمد بن ابراهيم المهدي الاشبيلي الاصل البجائي ، شهر بالاصولي (611 هـ) اعتنى باصلاح المستصفى للغزالي وازالة ما كان فيه من تصحيف وله عليه تقييد مفيد (57) .

61) محمد الحامدي له : نظم الورقات (58) .

---

43 ـ المصدران السابقان .
44 ـ المصدران السابقان .
45 ـ معجم سركس 779 ، طبقات الاصوليين
46 ـ طبقات الاصوليين 106/3 وشجرة النور 313 75/3 .
47 ـ المصدران .
48 ـ المصدران .
49 ـ المصدران .
50 ـ شجرة النور 339 وطبقات الاصوليين 129/3
51 ـ شجرة النور 342 وطبقات الاصوليين 133/3
52 ـ شجرة النور 379 وطبقات الاصوليين 142/3
53 ـ شجرة النور 403 وطبقات الاصوليين 157/3
54 ـ تعريف الخلف 343/2 .
55 ـ التكملة 374 ط : مدريد .
56 ـ شجرة النور 421 وطبقات الاصوليين 165/3
56 ـ التكملة 377 .
58 ـ النبوغ 304/1 .

62) محمد بن سعيد الرعيني الفاسي (779 هـ) له : ارجوزة في علم الاصول (59) .

63) محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي (525 هـ او 522 هـ) له تعاليق في الاصول (60)

64) محمد بن يوسف بن عمران المزدغي (655 هـ) له : ارجوزة في اصول الفقه (61) .

65) محمد بن الطاهر بن محمد الشاذلي ابن عاشور (1284 هـ له : حاشية على المحلي (62) .

66) محمد بن علي التجميمي التونسي (1286 هـ) له : تعديل المرقاة وجلاء المرآة وهي حاشية على مرآة الاصول (63) .

67) محمد بن يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الشنقيطي الولاتي (1330 هـ) له : ايضال السالك (مطبوع) .

66) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (303 هـ) له : نظم في اصول الفقه (64) .

69) عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (521 هـ) له : اسباب الاختلاف في الاصول (65) .

70) عبد الله بن طلحة بن محمد اليابري (ق. 6 هـ) له : المدخل في الاصول (66) .

71) عبد الله بن عيسى الشلبي المالكي (القرن 6 هـ) (67) .

72) علي بن محمد بن ابراهيم ابن المقري الغرناطي (553 هـ) له : مدارك الحقائق في اصول الفقه في 15 جزءا (68) .

73) علي بن عاتق الانصاري القرطبي (593 هـ) له : كتاب في الاصول (69) .

64) علي بن اسماعيل بن علي بن عطية 616 هـ) له : شرح البرهان لامام الحرمين (70) .

75) علي بن احمد بن الحسن المعروف بالحرالي (537 هـ) له تقييد في الاصول (71) .

76) عبد الله بن علي الكناني الغرناطي (746 هـ) (72) .

77) عبد لرحمن بن محمد ابن خلدون المؤرخ (807 هـ) له تلخيص لمحصول الرازي ، وله كتاب في الاصول ، وسبقت قبل قليل الاشارة الى انه شرح منظومة ابن الخطيب في الاصول (73) .

78) عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي القصري (1036 هـ) له حاشية على المحلي 74) .

---

59 ـ جذوة الاقتباس 236/1 .
60 ـ النبوغ 160/1 .
61 ـ جذوة الاقتباس 222/1 .
62 ـ اعلام الزركلي 43/7 .
63 ـ اعلام الزركلي 193/7 .
64 ـ شرح حدود ابن عرفة للرصاع ص : 542 .
65 ـ ازهار الرياض 101/3 بغية الوعاة 288 ، وفيات الاعيان 322/1 .
66 ـ ازهار الرياض 78/3 وشجرة النور 130 وطبقات الاصوليين 21/2 .
67 ـ نفح الطيب 650/2 وطبقات الاصوليين 32/2 .
68 ـ الديباج 310 وشجرة النور 145 وطبقات الاصوليين 39/2 .
39 ـ شجرة النور 161 وطبقات الاصوليين 43/2 واعلام الزركلي 125/5 .
70 ـ الديباج 213 وطبقات الاصوليين 52/2 .
71 ـ شذرات الذهب 189/5 ، ونيل الابتهاج 201 ، وطبقات الاصوليين 60/2 .
72 ـ نيل الابتهاج 142 ، وكشف الظنون 183/1 ، وطبقات الاصوليين 147/2 .
73 ـ نيل الابتهاج 169 ، وشجرة النور 227 ، واعلام الزركلي 510/2 ، وطبقات الاصوليين 18/3 .
74 ـ شجرة النور 299 ، وطبقات الاصوليين 92/3 ، واعلام الزركلي 510/2 .

79) عبد الرحمن بن جاد الله البناني (1198هـ) له حاشية شرح المحلي على جمع الجوامع (75) .

80) عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي السجلماسي (1271 هـ) له شرح تيسير الوصول الى جامع الاصول (76) .

81) علي بن عبد الواحد بن محمد الانصاري (1057 هـ) له نظم في الاصول سماه مسالك الوصول الى مدارك الاصول (77) .

82) علي بن ابي القاسم عبد الرحمن بن قنو نالتلمساني (580 هـ) له المقتضب الاشفى في اختصار المستصفى ، قيل عنه انه جليل (78) .

83) علي بن نابت بن سعيد بن علي بن محمد التلمساني (829 هـ) له شرح تنقيح الفصول (79) .

84) علي بن محمد بن محمد الحصار الخزرجي الفاسي المولود سنة 610 هـ له تاليف في الاصول (80) .

85) علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى المعروف بابن القطان الفاسي (623 هـ) له كتاب النزاع في القياس سماه : (القياس لمناضلة من سلك غير المهيع في اثبات القياس) (81) .

86) علي بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن الضحاك الفزاري الغرناطي (550 هـ) له كتاب اصول الفقه (82) .

87) علي بن محمد بن احمد البصري ابو تمام له كتاب في اصول الفقه (83) .

88) علي بن قاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق (912 هـ له منظومة في الاصول (84) .

89) عبد الحفيظ بن الحسن العلوي (سلطان المغرب) (1280 – 1356 هـ) له الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع (طبع) .

90) عبد الملك بن احمد بن محمد بن الاصبغ القرشي المعروف بابن السمش (336 هـ) له كنز معرفة الاصول (85) .

91) عبد الرحمن الفاسي صاحب نظم العمل (1096 هـ) له مؤلف في الاصول (86) .

92) عبد الجليل بن ابي بكر الرقعي المعروف بابن الصابوني المتوفى بمراكش سنة 595 هـ ، له كتاب المستوعب في اصول الفقه (87) .

93) قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط (723 هـ) ، له أنوار البروق (طبع) .

94) سليمان بن خلف الباجي أبو الوليد (474 هـ) ، له ثلاث كتب في الاصول ، احدها طبع بتونس سماه : (الاشارة) وعليه اعتمد ابن الحاجب في المنتقى والمختصر ، وله (احكام الاحكام) يوجد

---

75 – شجرة النور 142 ، ومعجم سركس 490/2 ، والاعلام 490/2 .
76 – شجرة النور 400 ، وطبقات الاصوليين 152/3 .
77 – الاعلام للزركلي 124/5 .
88 – التكملة ص : 686 ، ط : مدريد .
79 – تعريف الخلف 269/2 .
80 – سماه البيان في تنقيح البرهان .
81 – مظاهر النهضة الحديثية 97/2 .
82 – لذيل والتكملة السفر الاول من القسم الخامس ص : 284 ، والتكملة ص : 675 ، ط : مدريد .
83 – المدارك 76/7 .
84 – اعلام الزركلي 137/5 .
85 – المدارك 20/8 .
86 – شجرة النور 315 ، وطبقات الاصوليين 108/3 .
87 – دعوة الحق عدد 2 السنة 16 ص : 176 .

مخطوطا بالخزانة الملكية (الحسنية) بالرباط ، وله الحـــدود فـي أصـول الفقـــه (88) .

95) سهل بن محمد بن سهل بن مالك الازدي (637 هـ) ، له تعاليق على كتاب المستصفى (89) .

96) سالم بن عمر بوحاجب البسيلي المتوفى (1342 هـ) له شرح منظومة ابن عاصم في الاصول (90) .

97) سعيـد بن محمـد العقبانـي (811 هـ) لـه شرح أصـول ابن الحاجـب (91) .

98) سليمان بن شعيب بن خضر البحيـري ولد (866 هـ) له شرح على اللمع للشرازي (92) .

99) يحيى بن عبد الرحمن بن احمد بن عبد الرحمن بن رفيع الاشعري القرطبي (640 هـ) قال عنه ابن الابار كان اماما في علم أصول الفقه ماهرا ، نوظر عليـه في كتـب ابي المعالـي الجوينـي ، ولـه تأليـف فـي ذلـك (93) .

100) يوسف بن ابراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني (570 هـ) لـه العـدل والانصـاف في أصـول الفقـه في ثـلاث مجلـدات (94) .

101) يحيى بن موسى الرهوني (775 هـ) لـه شرح مختصر ابن الحاجـب الاصلي (95) .

202) يحيى بن عمـر الانـدلسي ; 213 — 289 هـ) له كتاب في الاصول (96) .

وبعد هؤلاء عثرت على اصوليـيـن آخريـن منهـم :

103) مصطفى بن محمد فاضل ماء العينين كان حيا سنة (1320 هـ) له الانفس فـي الاصول ، وله شرح على نظم الورقات لامام الحرمين (97) .

104) ابن ابي الاصبغ الاندلسي ، له منظومة في علم الاصول نقل منها صاحب بغية المقاصد هذين البيتيـن :

والاجتهـاد انمـا يكـون
في كل ما دليلـه مظنـون
اما الذي فيه الدليل القاطـع
فهو كما جـاء ولا منـازع (98)

105) ابو الفضل بن عمرو بن محمد بن عبيد الله بن احمد البزاز ، له مقدمة حسنة في اصـول الفقـه ، توفـي سنـة (452 هـ) (99) .

06) ابو عمر احمد بن محمد بن عبد الله بـن عيسى المعافري (340 هـ) له كتـاب الوصـول الـى معرفـة علـم الاصـول (100) .

107) محمد بن محمد بن اسماعيل الراعـي الغرناطـي (853 هـ).

88 — اعلام الفكر المعاصر للفاضل بن عاشور ص 54.
89 — الاعلام للتعارجي 156/10 ، والديباج 125 .
90 — الاعـلام للزركلـي 115/3 .
91 — النيـل 125 والضـوء اللامـع 256/3 .
92 — شجرة النور 271 والضوء اللامـع 264/3 و النيـل 122 وشذرات الذهـب 58/8 .
93 — التكملـة ص : 729 .
94 — اعـلام الزركلـي 281/9 .
95 — شرح الحطـاب لخليـل 411/1 .
96 — التقـاط الـدرر ص : 463 .
97 — شجرة النور 433 وطبقات الاصوليين 163/3.
98 — بغيـة المقاصـد للسنـوسي ص : 18 .
99 — المـــدارك 54/8 .
100 — المـــدارك 33/8 .

108) محمد المازري بن محمد بن بطو بن ابراهيم الغول (1286 هـ) (101) .

109) محمد بن عبد الرحمن الديسي ولد عام (1270 هـ) له الوصول الى علم الاصول في نظم الورقات لامام الحرمين وشرحها ايضا (102) .

110) ابن عزوز المراكشي له الاجوبة في الاصول (103) .

111) عبد الله بن ابراهيم الشنكيطي (104) له نشر البنود على مراقي السعود (مطبوع) .

---

101 — اعلام الجزائر 135 .
102 — اعلام الجزائر 155 .
103 — النبوغ 304/1 .
104 — مقدمة الاعلام 1 / ح .

112) ابو يحيى زكرياء بن محمد الانصاري المتوفى يوم الجمعة 3 ذي الحجة سنة 916 هـ — 3 مارس 1511 م ، له حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه في ورقات 147 ، يوجد الكتاب مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط برقم 636 د ، وله كتاب غاية الوصول الى شرح لب الاصول في مجموع في ص : 138 — 376 بالخزانة العامة بالرباط رقم 2121 د / 3 ، وله ايضا حدود الالفاظ المتداولة في اصول الفقه والدين في 10 ورقات رقمها بنفس الخزانة 1938 .

د. عمر الجيدي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

إن مستوى المغرب هو في مستوى الحرية، وكل رجل يفكر جيدا وبكيفية عميقة لا يمكنه أن يلم إلماما تاما وحقيقيا بمعنى الحرية.

الحرية هي سبب الانسان في العيش وهي ما ينشده كل غاد ورائح، فإذن الحرية ليست فوضى وليست هي أن أخرج من بيتي حين اريد أو أدخل إليه حين أريد، بل الحرية هي ان أشعر انا ومن معي ومن بجانبي في معمل وشارع وفي حقل وفي مكتب، إننا نعمل منسجمين منسقين لأعمالنا وخطواتنا، وحينما نريد أن نحلل ماذا يجمعنا والحالة هذه ان شؤوننا مختلفة ومذاهبنا ربما في عدة مسائل متباينة ومدارسنا التكوينية ليست موحدة نجد أن ما يجمعنا هي الحرية، الحرية هي التي تكون بين أشخاص بشخصياتهم يحترمون ويحترمون فيعملون بحرية.

ما معنى الحرية ؟ أي أن يعملوا في نطاق الأسرة والمجتمع الاسلامي، لأن المجتمع الاسلامي جاء بالحرية حينما بدأ القرآن بـ «إقرأ باسم ربك الذي خلق»، فالقراءة والكتابة هما سلاح الحرية ولباسها وبيتها.

وحينما بدأ الاسلام — إقرأ — بدأ بتكريم الانسان، بدأت الحرية وحظ على الحرية بل أوجب الجهاد في سبيل الحرية. والدليل على هذا أن المغرب الذي توالت عليه دول ودول لم يخضع لأي واحدة منها، تعاقب عليه الفينيقيون والرومانيون والوندال والقوط والفيزيوط ودخلته حتى المسيحية في أيام الرومان فلم يستكن لأي دولة دولة.



مع اللغة

(8)

للأستاذ محمد بن تاويت

حذف حرف الجر :

نعلم أن حروف الجر قد تحذف، وفي هذه الحالة، يصير الفعل القاصر الذي تعلقت به، معدى إلى مدخولها، ولكن هذا متوقف على السماع، إن لم يكن صلة لأن المخففة أو المثقلة، فهو مطرد، إن أمن اللبس قالت الخلاصة :

وعد لازما بحرف جر

وإن حذف فالنصب للمنجر

نقلا وفي إن وأن يطرد

مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

والقضية التي نطرحها، هي أن حذف الجار، لا يكون إلا والفعل الذي تعلق به، منفعلا به. أما إذا لم يكن كذلك، فليس الأمر فيه ذلك، مثلا :

تقول : دخلت المدينة أو الدار أو الباب، والأصل في هذا كله «دخلت في» أو نحوه، فحذفت «في» مثلا، ونصب منجرها، إذ إن الدخول تسلط على مدخولها. أما إذا لم يكن بذلك التسلط، فلا، ولهذا فلا تقول :

خَرَجْتُ المدينة أو الدار أو الباب؛ لا تقول ذلك؛ حاذفين لحرف الجر، مهما كان «من» تبعيضا أو تبيينا أو ابتداء، فتجعل المجرور منصوبا بنزع الخافض. لأن الخروج لا أثر له في هذا المدخول لمن، بل لا أثر للدخول نفسه، في نحو «لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة»؛ إذ الدخول هنا مسلط على «يوسف» بالأساس، وما الباب أو الأبواب، إلا مجرد معبر إليه، وبذلك لا يمكن سقوط الحرف هنا أيضا. نزلت المدينة أو الدار أو الساحة قال تعالى : ﴿**أنزلني منزلا مباركا**﴾ فالمنزل هنا المكان، لا المصدر الميمي والأصل نزلت إلى المكان أو الساحة، عن دابتي، هذا هو الأصل، وغيره تبع، كما في قوله «نزل بساحتهم» و «ينزل من السماء» و «إليهم» وقالت المعلقة :

ولقد نزلت فلا تظني غيره

مني بمنزلة المحب المكرم

فحذف الحرف، ولا يمكن أن يحذف «عن» ونحوه فنقول لذلك :

نزلتُ دابتي، أي عن دابتي، أو من، والنزول لا يكون إلا من أعلى، كما قال بذلك ابن تيمية، وأفرط في التصوير، الذي شهده ابن بطوطة لأن النزول لم يتسلط على الدابة، حتى يحذف الحرف الذي دخل عليها «عن» أو «من» فإن حصل الاستغناء، فإنه يكون عن الجار «عن» أو «من» والمجرور معا، كما يكون ذلك في المفعول به صراحة.

ومثل هذا الحرف الباء، أو «في» الظرفية عموما، مثلا، نقول : أنذرته بكذا، كما نقول : أنذرته كذا، وفي القرآن من

هذا كثير. وتقول : حللت المكان بدل قولنا : حللت بالمكان أو في المكان، فالحلول إذن مسلط على هذا المكان، المنفعل به، وبهذا يحذف الحرف، ويتصل الفعل بمدخوله مباشرة، كما يقول الجراوي :

وحللتم جبل الهدى فحللتم
منه عقود عزائم الكفار

إذا الأصل في الأولى «حللتم بجبل الهدى، أو في جبل الهدى، وكذلك قال الشاعر نفسه :

حللت من العلى اسمى ذراها
وجاريت النجوم إلى مداها

فالحرف «من» الذي هو للتبعيض، لا يمكن الاستغناء عنه هنا، وهو متعلق بالأسمى، وليس بحل، حتى يمكن لنحوي غافل، أن يقول بجواز حذفه، وجعل «أسمى» ذراها، بدل بعض من كل. ذلك أن الفعل مسلط هنا، على أسمى ذراها، من العلى...

وفي القرآن ﴿**ادخلوا عليهم الباب**﴾ فحذف «إلى» لتسلط الدخول عليه، ولا يمكن حذف «على» هنا، لعدم ذلك التسلط فيه. وبذلك لا تقول «ادخلوهم» بدل ادخلوا عليهم، فالحرف «على» هنا للاستعلاء، غير مستغنى عنه. أما إذا كانت منفعلة، من تأثير الفعل، فحكمها حكم «إلى والباء وفي»، ولذلك حذفت في قول الشاعر :

تمرون الديار ولا تعوجوا
كلامكم على اذن حرام

ومثل «إلى» لام الجر، بل قيل إنها مختزلة منها، وذلك كقول الشاعر :

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا
ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

إذ الأصل «ولقد جنيت لك» وكذلك قوله تعالى :

﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾.

فالتقدير «كالوا لهم أو وزنوا لهم» بدليل «فأوف لنا الكيل». فلا يقدر مضاف محذوف أقيم المضاف إليه مقامه، حسب القاعدة. ولا أن يقال «هم» تأكيد للضمير قبلها، لو كان ذلك كذلك، لكان الأنسب الاستغناء عن الثانية، فيكون هكذا :

«وإذا كالوا هم، أو وزنوا» بدون «هم» مكررة هنا.

وكذلك القول في «من» فقد قال أبو العباس المبرد، في كامله، إنها محذوفة من قوله تعالى : ﴿**واختار موسى قومه سبعين رجلا**﴾.

التقدير : «واختار موسى من قومه» فالاختيار مسلط على مدخولها كذلك. فإن القاعدة هي أنه إذا تسلط الفعل أو ما في حكمه، على مدخول الحرف، فالحذف سماعا أو اطرادا، وإلا فلا.، قال تعالى : ﴿**أدخلوا في السلم كافة**﴾ وقال : ﴿**وأدخلناه في رحمتنا**﴾ فدخل عديت بالحرف «في» هنا. وبغير تعدية به غالبا في القرآن.

والأصل في التمييز أن حرف الجار «من» سقط فانتصب مدخوله، فهو اسم «بمعنى «من» مبين نكرة» كما أن الأصل في الحال أن حرف الجار «في» سقط فانتصب مدخوله؛ فهو «وصف فضلة... مفهم «في حال» ويشترك مع الحال في كون المحذوف «في» المفعول فيه، فإنه سواء كان ظرف زمان أم مكان مضمن معنى «في» ولهذا سمي مفعولا فيه كما يشارك هذين المضاف إليه في حالة من التقدير، ويشارك أيضا التمييز في حالة أخرى.

غير أن المضاف إليه يبقى على ما كان عليه ولا ينتصب إلا وقد تجرد من هذه الصفة، وذلك في حال كون المضاف يشابه الفعل ومنه «سابق النهار» بنصب النهار، وعدم تنوين «سابق»، وقد قيل لهذا القارئ : لم تركت التنوين ؟ فأجاب: بأني لو فعلت لكان أوزن - يريد «أثقل» - وذلك بترادف ثلاث نونات، أما قراءتنا فهي منساقة للقاعدة العامة، ولا تأويل فيها ولا استثقال. وكأن ذلك القارئ ماشى «تدرك القمر» قبل «سابق النهار»، وبالجملة فالمحذوف في الحال والظرف حرف «في» والمحذوف في التمييز حرف «من» وينتصب المدخول للحرف المحذوف.

أما المضاف فالمحذوف إما «من» أو «في» أو اللام، ويبقى المدخول للجميع على حالته من إلى بعد نزع الخافض.

وسنرى نظيرا له في أحوال أخرى نذكرها بالإجمال فيما يلي : مدخول «رب» فإنها تحذف ويبقى مدخولها على ما كان عليه. وهذا الحذف مطرد، وسماعي.

فمن الأول حذف رب بعد «بل» و «الفاء» و «الواو» نحو :

بل بلد ملء الفجاج قتمه
لا يشترى كتانه وجرهمه

فتلك حبلى قد طرقت ومرضع
وليل كموج البحر أرخى سدوله
أو : وقاتم الأعماق خاوي المخترق

ومن الثاني حذفها فيما عدا ذلك وبقاء أثرها نحو :

رسم دار وقفت في طلله
كدت أقضي الحياة من جلله

أي «رب رسم».

ومن الأول كذلك حذف جار المستفهم عنه بكم إن دخل عليها حرف جر، كما في الخلاصة :

وأجز أن تجره «من» مضمرا
إن وليت «كم» حرف جر مظهرا

أما ان كانت «كم» خبرية فالمجرور بها ـ مفردا أو جمعا بالإضافة، التي ادعاها بعضهم حتى في الأولى والحق أن «من» محذوفة في الجميع، لأن مدخولها في الواقع تمييز، وهذا فيه معنى «من» كما تقدم وكم الاستفهامية التي تميز بما يميز به «عشرون» يصح أن ندخلها في قضية نزع الخافض، وإن أصبح هذا «النزع» واجبا، إن لم يدخل عليها جار، لأن التطور في الاستعمال قد ينكر أصله بتاتا ويحرم مما كان له قبلا. وهذا نجد له أمثلة كثيرة سبق أن أتينا ببعضها. وتطور الاستفهام إلى الخبر أو العكس، لا نعدم له مثيلا في نحو همزة التسوية التي كانت ولاشك همزة استفهام ومما حذفت منه «من» ما أضيف إليه أفعل التفضيل : فنحو «محرر أفضل الناس» كان الأصل فيه «أفضل من الناس» ومما حذف فيه الحرف الجار وبقي مجروره على ما كان عليه سماعا فدخول «إلى» كما في قوله :

إذا قيل أي الناس شر قبيلة
أشارت كُلَيْب بالأكف الأصابع

(أي إلى كليب.

وقوله :

وكريمة من آل قيس ألفته
حتى تبزخ فارتقى الأعلام

أي إلى الأعلام.

ومن ذلك «خير والحمد لله» أي على خير والحمد لله، جوابا لمن سأل : كيف أنت ؟ فقال المسؤول : خير والحمد لله. وهو رؤبة المذكور.

الصحابة :

أقدم نص وردت فيه مادة الصحبة، كان في شعر امرئ القيس في القيصرية.

أما في الإسلام، فقد ذكر أبو بكر بالصاحب «إذ يقول لصاحبه» «كما ذكر النبي بذلك» «وما صاحبكم بمجنون» وأطلق على الزوجة «صاحبة» «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة».

فالصحبة لم يراع فيها الصداقة، بل الخلطة والاجتماع، كما في قوله : «قال لصاحبه وهو يحاوره» والزمالة، كما في «ياصاحبي السجن» والرفقة، كما في «والصاحب بالجنب» و «فلا تصاحبني» والملابسة، كقوله : «ولا تكن كصاحب الحوت» بل قال الراغب : الصاحب الملازم، إنسانا كان أو حيوانا، أو مكانا أو زمانا، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن،، أو بالعناية والهمة،، أصحاب الكهف، والذي يعنينا هنا «الصحابة» وأصلها المصدر، كما أن أصل الصحب المصدر كذلك، ثم صار اسم جمع، يفرق في الأول منها، بينه وبين مفرده بالياء، كعرب وعربي، فيقال صحابي، وهو استعمال إسلامي صرف، أما الثاني فلا يؤتى منه بمفرد، يفرق بينه وبينه، بما فعل في غيره، بل جمد على اسمه الجمعي كما في التصلية «وعلى آله وصحبه».

وإذ قال اللغويون وعلى رأسهم الجوهري بمصدرية الصحابة، فإنهم جعلوها اتخذت صفة لازمة نشأت في الإسلام وكأن الفعل منها بضم العين، كجزل جزالة، ونظف نظافة، وكرم كرامة، ونبل نبالة، فالقياس في هذا فعالة إلى جانب فعولة قالت : «فعولة فعالة لفعلا». ولاشك أن «الأصحاب» جمع لصحب الذي أصبح كأنه اسم، وذلك لقاعدة :

وغير ما أفعل فيه مطرد
من الثلاثي اسما بأفعال يرد

فعومل اسم الجمع كأنه مفرد، كفعل وأفعال، وقول وأقوال، أو عومل هذا المصدر معاملة المفرد، وإن دل على جمع. لهذا التزم زنة الإفراد وإن عومل ما تعلق به بغير ذلك مثل : وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون.... والمهم أن المصدر هذا روعي أصله فيه، هو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث مراعاة للأصل. وعلى ذلك نجد هذه المصدرية في الخبر والحال والنعت، لا تختلف، فالجامع في الجميع الصفة، وما الفرق إلا

باعتبار جانبي، من حيث الإفادة والفضلية والتعيين وليس «صحابة جمع صاحب، كما قيل، وإن فعالة جمعا لفاعل لم يرد إلا في هذه المادة، كما نجد في لسان العرب وأصحاب كذلك صاحب هذا ما يتصل بمادة الصحبة، وما اختص الإسلام به من ذلك في الاستعمال : صحابة وصحبا، وإن كان الأخير ورد في معلقة امرئ القيس، كما تقدم ذلك.

ومن العجب العجاب، ما نجد دائرة المعارف الإسلامية العربية، تتناول به هذه المادة، من فسولة وفشولة، وميوعة وجهالة شنيعة فإن كانت المجامع اللغوية، تضم مثل صاحب ذلك المقال، فعلى المجامع اللغوية، في الكنانة السلام، وما أحق أن ينشد في أصحابها :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها

كلاها وحتى سامها كل مفلس

لقد كتب ذلك الملء، الشاكر غير المشكور، كلمة لا يكتبها إلا «خواجة» من «الخواجات» الجهال، الذين يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿**كمثل الحمار يحمل أسفارا**﴾ فبدلا من أن تتناول المادة في نطاقها الإسلامي، بحكم أن دائرة المعارف الإسلامية، هو النطاق الآن، فإن الكلمة طرحت نفسها، وتطارحت على الأعراف المختلفة، بعضها في عامية الهند، وبعضها في عامية أخرى، حيث ان الصاحبة تعني معنى معيبا، يقصد بذلك العاهرة. ونسي الفاضل الجهول، نفي الله لها عنه، والصفة لا تنفى إلا عند إمكانها واقعا أو وهما وجهلا كما هنا، وما أحد قال بذلك العيب، حتى ينفى الله تعالى، وحاشى، أصحاب الصليب، أن يقولوا بذلك، في والد أم المسيح الحبيب، كما يزعمون...

كانت عائلة شاكر، تتمتع بالإجلال والتقدير، وأذكر ما قاله فيها أستاذنا المرحوم، الدكتور عبد الوهاب عزام، من الإشادة والتنويه، الذي قدم به كتاب المُعرّب، للجواليقي، والمتتبعون لأعمال هذه الأسرة، مجمعون على هذا التبجيل الذي تستحقه العائلة بأعمالها الهامة. ونحن منهم، لولا ما طلع به علينا ذلك المقال، الذي هو وصمة في جبين هذه الدائرة الإسلامية، ولطخة من لطخات هذه الأمساخ التي يتزين بها عصر الأوثان والثيران، من أشباه الإنسان، الذين أصبحوا أساطين هذا الزمان، وخصوصا في هذا المكان...

ومما امتاز به الإسلام، كونه جعل أتباع الرسول الأول صحابته ورفقاءه، فلم يسموا بقومه، كما سمي السابقون ومنهم أصحاب موسى، بل كان وصف القوم عاما : ﴿**قل يا قوم اعملوا على مكانتكم**﴾ فكلمة Camarade التي استعملها العهد الحديث، سبق إليها الإسلام منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا بمعنى الرفقة، الزمالة. نعم إن الاتباع استعمل في الفعل ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ ولكن الصفة منه لم تطلق عليهم، بل أطلقت فيما بعد على الرعيل الثاني من المسلمين، فقيل فيهم تابعون، أي للصحابة قبلهم، بعدما سمى الله الجميع بالمسلمين «هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا». كما أنهم لم يلزموا بمحبة رسولهم، بل ترك لهم ذلك تلقائيا، فإن المحبة لله، «قل إن كنتم تحبون الله». فما أعظم الإسلام، وما أعظم رسول الإسلام، وما أحرى بالفخر أمة الإسلام ﴿**دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون**﴾.

أول «بيبليوغرافيا» تحصر 1340 ترجمة لمعاني القرآن الكريم

قدمت منظمة المؤتمر الإسلامي أحد اكبر انجازاتها وهو عن «البيبليوغرافيا» العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم، الذي قام باعداده وتنفيذه مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة التابع للمنظمة ومقره في تركيا.

وهذه «البيبليوغرافيا» تضمنت ٢٧١٠ ترجمة وتفسيراً لمعاني القرآن، منها ١٣٤٠ ترجمة مطبوعة لمعاني القرآن كله و١٣٧٠ ترجمة لبعض المختارات من القرآن كتبت بإحدى وستين لغة مختلفة .

جلالة الملك الحسن الثاني يوشح صدر شيخ الأزهر بوسام الكفاءة الفكرية

● بمناسبة الدرس الديني القيم الذي القاه شيخ الازهر جاد الحق علي جاد الحق امام جلالة الملك نصره الله وشح جلالته صدر فضيلة الشيخ بوسام الكفاءة الفكرية تقديرا من جلالته ومن المغرب لمكانة فضيلته ودور الازهر في العالم الاسلامي ●



نبذة عن حياة شيخ الأزهر

— حصل على الشهادة العامة من كلية الشريعة الاسلامية عام 1943 كما حصل على الشهادة العالمية مع الاجازة في القضاء الشرعي عام 1945 .

— في عام 1946 عين في القضاء الشرعي ثم أمينا للفتوى بدار الافتاء المصري وتدرج بعدها في مناصب القضاء الشرعي فعمل رئيسا بالمحكمة في ديسمبر 1974 ثم مفتشا قضائيا ـ ثم مستشاراً بمحاكم الاستئناف وبعدها مفتشا اول بالتفتيش القضائي بوزارة العدل .

— 1978/8/26 عين مفتيا للديار المصرية ـ قام خلالها بتنظيم العمل بدار الافتاء وتدوين ما يصدر عنها من فتاوي ـ كما توج اعماله باصدار مجموعة الفتاوي لخدمة الاسلام والمسلمين . وكان من ثمرة هذا العمل المجلدات العشرة التي صدرت عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

— وفي 4 / 1 / 1982 عين وزيرا للاوقاف .

— وفي 7 / 3 / 1982 عين فضيلته شيخا للازهر ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعمل على النهوض بالازهر والدعوة الاسلامية حتى تصل الى كل ارجاء العالم .

الانتاج العلمي :

اصدر فضيلته عددا من الكتب والبحوث تحوي الاحكام القضائية والاجتهادات الفقهية من الناحية التطبيقية .



للأستاذ عبد العزيز بغداد

يبدو ان الشيء الذي يدفع للحديث عن المسجد ودوره في البعث الاسلامي ، هو انه اليوم لا يلعب الدور المطلوب في هذا المجال ، في حين انه مرجو ليكون في مقدمة المؤسسات الدينية والتربوية التي عليها ان تتحمل النصيب الاوفر في هذا المضمار .

ورب نظرة خاطفة عن دور المسجد عبر التاريخ الاسلامي ، ترينا حقائق كثيرة ، وتطلعنا على أمور ما احوج المسلمين اليوم للتعرف عليها : ذلك ان بناء الرجال وصناعة المجتمعات ، وتحميس الافراد ، وتنقية قلوبهم وافكارهم وعقد الوية الجهاد في سبيل الله ، كل هذه الامور كانت من عمل المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله تعالى اذ يقول :

« في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » . سورة النور .

لقد كان هذا النص القرآني الكريم الذي يفيض بشتى المعاني الخالدة ، كان نبراسا هيأ المسلمين لفهم دور المسجد والعمل على تحقيق المبتغيات العظيمة .

وقد تحدث كثير من علماء المسلمين والمتهم عن المسجد وشرحوا للناس مهامه ، وهذا الامام ابن تيمية يستخلص الوظائف للمسجد في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فيقول :

« وكانت مواضع الائمة ومجامع الامة هي المساجد ، فان النبي صلى الله عليه وسلم اسس مسجده المبارك على التقوى ، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب ، وفيه السياسة وعقد الالوية والرايات وتأمير الامراء وتعريف العرفاء ، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما اهمهم من أمر دينهم ودنياهم » .

وها نحن نرى ان المسجد اليوم قد تقلص ظله واصبح يقصد فقط لاداء الصلاة . ونظن ان الاقتصار على ذلك ، يعد تعطيلا لكامل مهمة المسجد خاصة وأنه أثبت جدارته في لعب الادوار الانسانية الرفيعة ، وذلك لما له من الجاذبية : ففيه ترتاح النفس ، وبين احضانه تخف الهموم ويتبخر الهم ويتبدد الغم وتطمئن الروح .

ولا عجب في هذا ، فقد رفع الله شأن المساجد واضافها الى أسمه عز وجل تشريفا لقدرها وتعظيما لرسالتها ، فقال عز من قائل :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا

الله ، فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » .
سورة التوبـــة

وقال جـــل جلالـــه :

« ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ؟ » . سورة البقرة

وتحقيقا لاهمية المسجد وعظمة قدره ، فقد انبأنـــا التاريخ ان اولي العزم من الرسل عليهـــم الصـــلاة والسلام كانوا ممن شادوا بناءها واعلوا حجارتهـــا بأيديهم الى جانب اصحابهم :

ان ابراهيم الخليل عليه السلام بنى الكعبـــة وجعلها قبلة للناس بامر ربه تعالـــى ، وبنى كذلـــك المسجد الاقصى ثم جدد بناءه سيدنا داوود عليـــه السلام . وان اول عمل تم انجازه بعد هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام هو بناء المسجد ، وكان يحمل بيديه الكريمتين اللبن الى جانب صحبه الكرام .

ورغبة في اعطاء المسجد مكانة عاليـــة وقدرا عظيما في نفوس المسلمين ، فقد تولـــت السنـــة النبوية هي الاخرى هذا الموضوع وحثت على بنـــاء المساجد والاعتناء بها وصيانتها ، فقـــد روى عـــن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال :

« من بنى لله مسجدا ، بنـــى الله له بيتـــا فـــي الجنـــة » .

اذن لا يبقى هناك شك في عظمة المسجد وحرمتـــه وفضل ارتياده لقضاء لحظات بين ردهاته في سكون وخشوع تصفو بهما النفس ويتطهر القلب . فكم قبلت في المسجد من توبات ، وسجلت فيه من حسنات ، واجيبت فيه من دعوات . فهو محل ازاحة الهمـــوم وجبر مصائب الدنيا لما يتجلى فيها للعباد من فيض رباني هو القلوب أحلى ما يجده بنود الدنيا مـــن أنس وبهجة وسرور ، يشهد لذلك ان في المسجد تحول اكثر من قلب من حال الكفر الى حال الايمان ، ومـــن حال القسوة الى حال اللين وشفافية الروح :

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل في المسجد وفود المشركين ، وانزل فيه جبير بن مطعم قبل ان يسلم ، فتحقق ما قصده النبي عليه السلام من ذلك : فقد سمع جبير بن مطعم قراءة النبـــي لسورة « الطور » ولما اتى على قوله عز وجل :

« ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ؟ » .
قال رضي الله عنه : « فانخلع قلبي لها واسلمـــت من يومئـــذ » .

ان امثال هذه النصوص ، وامثال هذه الوثبات الانسانية الرائعة ، تجعلنا نتعشق ونتوق ان تعـــود للمسجد ادواره ومواقفه التي يمكنه ان يؤديهـــا في اطار مراعاة الملابسات العصرية والظروف المتطورة ، فقد تخرج من المسجد جهابـــذة كثيـــرون ، وفي المساجد تناول المسلمون كؤوس الشعر العـــذب الرقيق ، وفي جنباتها صرح العلماء بفصيح القـــول ورددت جواهر بلاغية وتنوقشت اجـــل الافكـــار الفقهية والفلسفية .

ومن المعلوم ان العلم الموروث عنـــه ـــ عليـــه السلام ـــ انما تم نقل معظمه في المسجـــد : فكان كثير من القرءان الكريم ينزل ويتلى على الصحابة في المسجد ، واكثر نقلة الحديث يروونـــه عنـــه في المسجد ، فيقول الصحابة : كنا مع رسول الله في المسجد ، كان الرسول يحدث في المسجد ، سمعنا رسول الله صلى الله عليـــه وسلـــم على المنبـــر يخطـــب ويقـــول .

ولا بد من ان نمكث قليلا امام الادوار المهمـــة التي لعبها المسجد في مجال الحضارة والتربيـــة ، مما كان له الاثر الجليل في المجتمع الاسلامي ، وكل هذا من شأنه ان ينفخ الروح من اجل الالتفـــات الى هذه المؤسسة الدينية الجليلة واعطائها الاهتمـــام المناسب . فلقد كان المسجد في صدر الاسلام هو عصب الحياة في مجتمع المسلمين ، وكان مركـــز القيادة السياسية والعسكرية والدينية ، ومصـــدر العلم والمعرفة ، ومهبط كثير من الآيـــات ، ومحور التقدم في شتى المجالات .

ولهذه الاعتبارات كان من الطبيعي ان يكون أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عند قدومـــه المدينة المنورة هو بناء المسجد .

والموضوع الذي نحاول معالجته « المسجد » يحتاج الى وقفة عند جانب لغوي من شأنه ان يفيـــد

في عملية التحليل والافادة ، ذلك هو الوقوف عند معنى المسجد ، ومعنى لمسجد الجامع ومعنى الجامع .

فالمسجد لغة اسم لمكان السجود ، وعرفا اسم للمكان المعد للصلاة ، واما شرعا فهو كل موضع من الارض لقوله عليه الصلاة والسلام : « جعلت لي الارض مسجدا » .

وعند ما تقام صلاة الجمعة في المسجد يطلق عليه اسم : « المسجد الجامع » ، والجامع نعت وصفة للمسجد ، وقد وصف بذلك لانه علامة الاجتماع ، وقد تجوزوا فيما بعد فاقتصروا على الصفة : « الجامع » على كل مسجد تقام فيه صلاة الجمعة .

وبما ان أداء الصلاة في المسجد تعد من أبرز وظائفه ، بل انها هي العلامة البارزة لهذه المؤسسة ، بما ان المسألة هكذا ، فان على رجال الدعوة الاسلامية ان يستمروا في شرح هذه الوظيفة وان يعطوها من التحليل والتفسير ما يجعلها تحتل في نفوس المسلمين ـ والشباب منهم على الخصوص ـ اهمية بالغة وفهما واضحا يتصل بالقلب ويحرك الوجدان . ذلك ان هذه الوظيفة ستظل ـ بمشيئة الله تعالى ـ ترسي في شخصية المسلم صفات وخصائص حميدة وتقربه من الله سبحانه وتعالى وتجنبه ارتكاب المعاصي وتعينه على ان يصلح ما بينه وبين الناس .

ثم ان من اهم مزايا المسجد انه يضمن لنا استمرارية اداء الصلاة في جماعة ، والصلاة في الجماعة تخلق التآلف والتراحم والمساواة بين المسلمين ، فتعينهم على ايجاد المجتمع المتحاب الفاضل ، ولذلك جعل الله من بين الذين يظلهم يوم القيامة ـ يوم لا ظل الا ظله ـ رجلا قلبه معلق بالمساجد .

وفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد فضل كبير ، فقد روى الامام البخاري بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد خمسا وعشرين درجة ، فان احدكم اذا توضأ فأحسن واتى المسجد ، لا يريد الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئته حتى يدخل المسجد ... » .

على انه حينما نتوسع في الحديث عن المسجد ، ونذكر المسجد الجامع ، نجد انفسنا امام ادوار اخرى كبيرة ومهمة جدا : ففي المسجد الجامع تقام صلاة الجمعة وتلقى فيها خطبة تحمل علما وفقها وتوجيها في امور الدين والدنيا ، وتقود المسلمين الى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وبواسطتها تزداد الروابط الاجتماعية بين اطراف البلدة او الحي الواحد . اذ تتصيد هذه الخطبة ـ او يجب ان تتصيد هموم الناس ومشاغلهم وتعمل على تقوية عزائمهم وفتح ابواب الخير والامل امام اعينهم .

ان المسجد بيت الله ارفع من ان يكون مكانا للخلاف وتمزق المذاهب والشجار في امور جانبية تضر المسلمين ولا تنفعهم ، وتحطم معنويتهم ولا تفيدهم . ان ما يقع احيانا بين الاخوة المسلمين في المساجد عند اداء الصلوات او عقبها من تعدد الجماعات والاختلاف في الآراء الفقهية الى حد الخصام العنيف ، ان ذلك ليس من الاسلام في شيء، ان هو الا ما تمليه ارادة الشيطان وما تنفثه سموم الايديولوجيات المناوئة للاسلام الذي يحمل في ذاته النقاء والبراءة من كل ما يؤذي الانسانية عموما .

والمسجد من هذا المنظور لم يقف عند وظيفة الصلاة وصلاة الجمعة وانما امتد دوره ليشمل كل جوانب « ذكر الله تعالى » الذي يدخل فيه تلقي العلم وتعليمه ومزاولة اعمال البر وكل شؤون الطاعة التي لا تتم على خير الوجوه الا بذكر الله ومراقبته .

ومن هنا فان هذه المهمة تشمل اعداد الانسان وتعليمه من جميع الجوانب ، كما تشمل تعليم المجتمع وتطويره والعمل على تقدمه ونموه وتحقيق سعادته في شتى مناحي الحياة . وهذا هو ما كان يسعى لتحقيقه المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لقد كان هو المعلم في المسجد ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم هم تلاميذه الافذاذ، بين يديه في رحاب المسجد تعلموا كل انواع المعرفة والعلم الذي بنوا به شخصيتهم فتخرجوا متكاملين حقا مصداقا لقوله عز وجل :

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » سورة آل عمران .

ولم يغب عن اصحاب رسول الله مدى الفاعلية والتاثير الكبير الذي يحمله ويتركه تعليم نبيهم لهم حتى ذهب احدهم يصفه بقوله :

« ما رايت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما ».

لقد تضوع علم كثير في مساجد المسلمين ، وحينما انحسر ظل دروسها النافعة تحطمت معنويات المسلمين ، وهبطت معارفهم الدينية ، وبهبوطها أخذ المقياس يتدهور ، وبدأت الموازين تختل ووقع التشكك .

ومن هنا لم يكن حث الرسول الكريم المسلمين على حضور مجالس العلم في المسجد الا من باب التوجيه النافع ، حتى قال عليه السلام :

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

اننا نسمع في العصر الحاضر كثيرا من الشعارات تتردد داعية الى تنمية المجتمع والى لعب الادوار في التنشيط الاجتماعي والاقتصادي ، ونريد ان ننبه بهذه المناسبة الى ان ذلك كان بعض منه من مهام المسجد الذي كان ضرورة دينية ودنيوية .

فقد كان الرسول عليه السلام يوزع الصدقات والاموال العامة في المسجد ويوزعها على المسلمين ، فقد ورد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بمال من البحرين فامر بنشره في المسجد ـ وكان اكثر مال اتى به ـ ولما انتهى من الصلاة وزعه كله ولم يبق منه شيئا .

ومن الامثلة التي تضرب لمفهوم التنمية والمساعدة الاجتماعية انه صلى الله عليه وسلم خصص في مسجده مكانا لايواء الفقراء والغرباء الذين لا يجدون مأوى ، وكان هذا المكان معروفا باسم « الصفة » نزل فيه نحو سبعين من الفقراء على راسهم ابو هريرة . وقد جعل في المسجد مكانا خاصا لامراة كانت تخدم حيا من العرب .

ولقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلن النكاح في المسجد ، وذلك من أجل اشهاره في اكبر مكان لاجتماع المسلمين .

ان هذا واكثر منه هو الدور الذي قام به المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في بعض فترات التاريخ الاسلامي ، اما اليوم ـ والحاجه اشد اليه ـ فقد كاد يكون بالعكس ، اذ أصلح المسجد عظيم البنيان ، قليل الخطر في حياة المسلمين ، اذ اقتصر دوره على اداء الصلوات الجامعة وصلاة الجمعة ، وقليل من الدروس الدينية التي لا ترتفع الى ما هو مطلوب ، ولا تسمو الى ما هو منتظر .

وفي اطار الدعوة الاسلامية ، وفي اطار اسلوبها الجديد المناسب ، تجب اعادة النظر في المسجد . ذلك ان المجتمع الاسلامي ، تعاني كثير من البلاد فيه من مشكلة الامية ، ففي العالم العربي ما يقرب من خمسين مليونا امي ، في حين ان الاسلام يحض على التعليم والقراءة والكتابة ، ويمكن ان يقوم المسجد بدوره في هذا الباب وفي تعليم الاميين تعليما يربطهم بدينهم ويمكن لهم من عبادة الله سبحانه وتعالى عبادة قائمة على العلم والمعرفة .

ثم اننا نستطيع ان نؤكد ان اعدادا كبيرة من التلاميذ في العالم العربي تغادر التعليم النظامي وهي لم تتم اعدادها في بعض المجالات الدراسيه التي يمكن ان تؤهلها لظروف الحياة . وفي المسجد يمكن ـ وبالتاكيد ـ ان تقدم انواع من التعليم مفيدة الى ابعد حد . ومن يستطيع ان ينكر ان تعليمنا النظامي يعاني كثيرا وكثيرا جدا في مجال الدروس الدينية التي كثيرا ما تهمش او تكون ضحلة وتافهة المردود . فلماذا لا يقوم المسجد بسد هذا النقص ، وملء هذه الثغرات .

ان الحياة اليوم قد تشعبت كثيرا واصبح على الانسان زوجا او رئيسا او تاجرا او ... ان يعرف عددا من الامور ، وقد يفوته ان يتعلم هذه الامور اثناء تعلمه . اما لطبيعة المنهاج الذي كان يدرس له ، او لان هذه الامور قد تطورت المعرفة فيها . ومن ثم

يقترح بعض المربين ان يقوم المسجد بسد هذا النقص ، وفي هذه الحال يستطيع ان يستعين بذوي الخبرة والمعرفة في شتى المجالات ، فيقدمون محاضرات عامة تفيد الناس في بعض قضاياهم الدينية الشرعية والخلقية وغيرها .

ومن اجل ذلك يقترح ان يصمم المسجد بشكل يسمح بوجود قاعة ملحقة به تكون للاجتماعات للتعاون والتشاور بين اهل الحي او القرية . ويبدو ان العالم الاسلامي شاعر اليوم بضرورة الرفع من مستوى خدمات المسجد ، ان هذا ما قرره مؤتمر : « رسالة المسجد » الذي عقد بمكة المكرمة في الفترة ما بين 21 الى 23 شتنبر سنة 1975 . واسفرت عن توصيات ، كلها تلح على ضرورة التفكير والتخطيط والتنسيق من اجل احياء رسالة المسجد .

وبعد فان الاندفاع للحديث عن المسجد هو في الواقع بمثابة التفريج عن هم يشغل بال المسلمين الذين يبحثون عن الخلاص ، ويتطلعون الى يومهم المشرق الذي افتدوه منذ قرون غابرة .

وان كثيرا من الدعاة والمصلحين ، ليؤكدون ان عودة المسجد الى القيام بدوره الحضاري والانساني، ليعد قفزة هائلة في مجال الدعوة الاسلامية ، لذلك فان البداية السليمة في مجال التوعية لعبور التخلف، ينبغي ان تبدا من المسجد وان يكون هو محور التغيير في حياة المسلمين ، وهذا واضح لعدة اعتبارات :

— انللمسجد مكانة روحية عظيمة في نفوس المسلمين ، فهو المكان الذي يحجون اليه في اليوم خمس مرات لعبادة الله سبحانه وتعالى .

— ان المسجد نجده قائما ومنتصبا في المدن والقرى والمزارع ، وقد كان الامر كذلك لان اول اعمال الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة هو بناء المسجد .

ولسنا نفتقد اليوم الاهتمام بالمسجد خاصة على مستوى البناء والتاسيس ، ذلك اننا نجد المساجد تبنى في الطبقات الاولى من العمارات ذات الطبقات العديدة رغبة في تقريب هذه المؤسسة من جميع انواع السكنيات من اجل ضمان صلاة الجماعة التي تعد ذات مدلول اسلامي كبير . ولكن الشيء الذي تجب العناية به هو البحث عن الدور الحقيقي الذي يتحتم ان يلعبه اليوم المسجد في حياة المسلمين كما لعبه في كثير من فترات التاريخ الاسلامي ، فكان مركزا للاشعاع الروحي ووسيلة للاحياء والتطوير .

بقي شيء كنا نحب ان نثيره في هذه الصفحات، ذلكم هو موضوع ائمة المساجد كما يراها البحث الاسلامي ، وكما هو مطروح اليوم في البحوث الحضارية المستمدة من طبيعة الدين الاسلامي .

لكن نظرا لتشعب هذه القضية نرجئها الى الموضوع اللاحق لتكون موضوعا خاصا ودراسة مستقلة .

عبد العزيز بغداد



عالمية الإسلام

الإسلام والإنسان

للدكتور محمد كمال شبانة

-2-

والإسلام بعد هذه المبادئ الاساسية - ينظر إلى وجود الإنسان في الحياة وأعماله وأخلاقه وعلاقته الاجتماعية التي تستدعي منه الجهد والتفكير - على أنه شيء جوهوي في ذاته، كما يعتبر إصلاح الإنسان كفرد، وإصلاح المجتمع الإنساني - هدفا رئيسيا من أهدافه، ويوجه الدين الإسلامي الأنظار إلى الدار الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب كوازع يبعد النفس عن الشر والاثم، وحافز يدفعها إلى البر والتعاون، فضلا عما في فلسفة الحياة من الابتلاء حيث يجزى كل حسب عمله، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعا، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**﴾ (1).

كذلك حث الإسلام في قضاياه الرئيسية على الاستمتاع بالدنيا وخيراتها، ونهى عن التنسك والانقطاع للعبادة والتخلي عن الكسب ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**﴾ (2).

هذا، وقد أقر الإسلام فكرة الدولة والسلطان، وأمر الرسول بممارسة هذا الشأن ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ (2)، كما أمر الإسلام المسلمين بأن يمارسوا هذا الحق بدورهم ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم...**﴾ الآية (3)، فالآية تضمنت وعدا بالاستخلاف للمؤمنين في الأرض، وتمكينا لدينهم في أمن واستقرار، وهذا لايتأتى بطبيعة الحال إلا إذا كانت لهم دولة وسلطان بما تحمل الآية من معنى وقد باشر النبي بالفعل سلطات الدولة، فقضى بين الناس في الشئون المختلفة... عائلية ومدنية ومالية، وأقام الحدود، ونفذ الأحكام، وولى العمال على الأقاليم، ونصب القواد في الحروب، وقاتل الأعداء، وفرض الجزية، ووزع الغنائم، فتوطدت بذلك الدولة، تنفيذا لما أشار به القرآن الكريم في مثل هذه الشؤون وسار الخلفاء الراشدون - ومن نهجوا نهجهم - على هذا المنوال، بعد أن فهم المسلمون أن الطاعة واجبة لأولي الأمر ورد الأمور إليهم، طبقا للآية الناطقة بهذا المعنى في

---

1) المائدة : 48.

2) المائدة : 87 - 88.

3) النساء 103.

إطلاق يفيد الاستمرار ﴿**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ (4).

ولقد حث الإسلام على مبادئ أساسية لضمان استقرار الدولة، وسعادة أفراد الرعية، متى تمسك حكامهم بتنفيذها، وتكفل المحكومون بالتزامها، كالمحافظة على كيان الدولة ووحدتها، والأخذ بنظام الشورى أفرادا وجماعات في كل الأمور العامة المشتركة، لا سيما منها ما يتصل بشئون الدولة، وطريق ذلك وكيفيته متروك لرئيس الدولة وأصحاب التخصصات ومن يعنيهم الأمر، وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال وتطوراتها (5).

كما أشار الدين الإسلامي إلى أن دعائم الدولة قوامها الرجل والمرأة، كل بنصيبه الذي أهلت له طبيعته وتكوينه الفسيولوجي، فالواجبات والحقوق بين الرجل والمرأة على السواء، وأن مسئولية المرأة وأهليتها المدنية مستقلة عن الرجل، يشمل ذلك المباحات والمحظورات والتبعات ونتائجها مهما كانت (6).

وهكذا... لو تتبعنا مبادىء الإسلام ومعالمه في شتى شئون الحياة سياسيا واجتماعيا.. فنجدها كفيلة بتحقيق أسمى ما تصبو إليه البشرية من سعادة دنيوية وأخروية، فقد استعرضنا في عجالة أبرز الجوانب السياسية والاجتماعية في التشريع الإسلامي، والتي تعتبر نموذجا عالميا لدولة تنشد الحرية والرخاء والأمن.

يقول العقاد في هذا الصدد :

«إن هذه الخصائص الإنسانية باقية في صميم الإسلام، صامدة للحضارة العصرية، كما صمدت من قبل لحضارات العصور القديمة الأولى، فهي التي صبغت تلك الحضارات بالصبغة الإسلامية، وهي التي جعلت تاريخ العالم من القرن السادس للميلاد إلى القرن الخامس عشر تاريخ الفكر الإسلامي والآداب الإسلامية، ولم ينفصل التاريخان بعد ذلك، لأن الإسلام فقد خاصته التي لازمته عدة قرون، ولكنهما انفصلا لأن المسلمين تخلفوا عن الركب وأصبحوا غير مسلمين إلا باللقب والعنوان (7)».

الإسلام وتحديات العصر الحاضر

يرى المؤرخ توينبي، في هذا المجال أن المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين : احداهما يسميها «النزعة الهيرودية» وينسبها إلى «هيرود» ملك اليهود، الذي قابل حضارة الرومان في السكن والملبس والمعيشة، والأخرى «نزعة الغلاة»، وينسبها إلى نساك إسرائيل الذين كانوا يصرون على القديم، وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات..

ولكن الأستاذ العقاد يعقب على «توينبي»، فيقول :

«... ولو أراد «توينبي» أن يتوسع في الأمثلة لعمم القول على الطبيعة الإنسانية، في مواجهة كل حديث ومقابلة كل تغيير» وللعقاد الحق في هذا... «فالهوادة والتشديد ـ كما يرى طبيعتان في النفس البشرية، تبرزان في كل عصر، تتقابلان وتتناقضان في كل دعوة، وقد ظهرت هاتان الطبيعتان في طوائف المسلمين منذ الصدر الأول للإسلام، فكان منهم أبو ذر الغفاري المتقشف المتنسك، كما كان منهم الصحابة الذين أقبلوا على معيشة الحضر واليسار..، والذين يقول المسعودي عن بعضهم : إن الثمن الواحد من متروك الزبير بلغ بعد وفاته خمسين ألف دينار، وأنه خلف ألف فرس، وألف أمة. وأن غلة طلحة من العراق بلغت ألف دينار كل يوم، وأن عبد الرحمن بن عوف كان على مربطه ألف فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وأن منهم من بنى دورا بالحجاز والشام والاسكندرية (8). إلى آخر ما روي من أخبار هذا الشأن، ربما طغت المبالغة فيها على الحقائق الصحيحة والإحصاء الدقيق.

ولا نذهب بعيدا في أعماق التاريخ «فنحن في العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة كما نعرف الشدة والصرامة،

4) النساء : 58.

5) محمد عزة دروزة، في «الدستور القرآني في شئون الحياة» (المقدمة).

6) المصدر السابق.

7) العقاد في «الإسلام والحضارة الإنسانية» ص 40.

8) نفس المصدر ص : 62.

ونواجه الحضارة الأوربية بالنزعتين معا، أو نتوسط بينهما، تارة مع المحافظة وتارة مع التجديد، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد».

«وأحسب أن هذه النزعات جميعا كانت على اختلافها الذي تشهده اليوم في تاريخ كل دعوة ومواجهة كل تغيير، فهي طبيعة الناس لا تتبدل ولا تختلف مع الأزمنة بغير الصور والأشكال، وحسبنا أن نرى في الإسلام متسعا لها مع الحضارة العربية كما اتسع لها مع الحضارات الأولى، فإنما يعنى المسلمين من الإسلام أن يظل كما كان عقيدة إنسانية عامة، وأن يكون الإنسان مسلما حقا حين يتشدد، ومسلما حقا حين يترخص، فلا يقطعه الإسلام عن زمنه، ولا عن مزية من مزايا حضارته ومعارفه وصناعاته، ولا يكون المسلم الحق غريبا مع حضارة الغرب الحديث وهو لم يكن غريبا مع حضارة الفراعنة والفرس والروم».

لقد كان الإسلام عقيدة «إنسانية» ودعوة «عالمية» يوم تقطعت الأسباب بين الأمم، وتمزقت الأنساب بين بني آدم وحواء. فاليوم ـ والدعوة الإنسانية على كل لسان ـ خليق بالإسلام أن يجعلها في كل قلب، وأن ينفذ بها إلى كل ضمير (9)».

يقول المستشرق تولستوي : «إن محمدا من عظماء الرجال الذين خدموا الإنسانية، فلقد هدى أمة برمتها... وفتح لها طريق الرقي والمدنية».

ويقول برناردشو : «لا تمضي مائة عامة حتى تكون أوربا قد أيقنت بملاءمة الإسلام للحضارة الصحيحة».

فإذا ما اتجهنا إلى محصلة قول هؤلاء المفكرين وأمثالهما فيمن يدخلون يوما بعد يوم في الإسلام من الغرب أو الشرق من غير المسلمين، فإننا نرى مثل هذه النتيجة الحتمية، فقد صدر في تونس تقرير عن المعتنقين للدين الإسلامي من الأجانب، وذلك خلال عام 1980 م، ويتضن التقرير ما يلي :

3 اسبان، 20 ألمان، 4 أمريكيين، 18 إيطاليين، 3 بريطانيين، 5 بلجيكيين، 1 بلغاري، 1 روماني، 1 نمساوي، 30 فرنسيا، 1 فنلندي، 2 فيتناميين، 4 سويسريين، 2 هولنديين (10).

كما جاء من المملكة العربية السعودية مؤخرا أنه قام ثمانية وخمسون شخصا أجنبيا بإشهار إسلامهم في جدة، وهم عبارة عن 50 شخصا من كوريا، 6 من الفلبين، وواحد من سنغافورة، وآخر لبناني الجنسية (11)، وذلك بالإضافة إلى من سبق إسلامهم من مثل تلك الجنسيات، وما تلا ذلك حتى الآن في المغرب.

كذلك ذكرت إحصائية صدرت في الإمارات العربية المتحدة عن دائرة القضاء الشرعي، أن 145 رجلا وامرأة قد أعلنوا إسلامهم في الإمارات خلال عام 1983 م.

ومن بين هؤلاء 33 هنديا، 25 من سيريلانكا، 24 فليبينيا، 12 بريطانيا، 7 لبنانيين، 14 أمريكيا، 4 من باكستان، 3 مصريين، 3 فرنسيين، 2 من كل من سويسرا وإسبانيا واليابان وتايلاند والسودان والنمسا وفلسطين، وواحد من كل من سوريا وألمانيا وأثيوبيا وبولندا والصومال (12).

وهكذا نلمس في نهاية هذا العرض «عالمية دعوة محمد ﷺ، وإنسانيتها...».

«مسلمون في كل مكان»

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ / محمود مهدي في صحيفة الأهرام المصرية الصادرة يوم 1983/10/21م مايلي :

«أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية هذا الأسبوع نبأ نشرته بعض الصحف العالمية في صفحاتها الأولى يقول إن عددا يتراوح بين ثلاثين إلى خمسين ألف فرنسي قد أشهروا إسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية.

وأهمية هذا النبأ، كما أعتقد ويعتقد كل الذين يعملون في مجال الفكر الديني ويتابعون عن قرب الصحوة الإسلامية العالمية في الأعوام الأخيرة ترجع إلى عدة أمور، من بينها أن النبأ صحيح مائة في المائة ولا مجال للشك

---

(9) المصدر السابق، ص : 62.

(10) مجلة دعوة الحق المغربية (عدد 8 السنة 17).

(11) صحيفة الشرق الأوسط العدد 1106 السنة الرابعة....

(12) المصدر السابق (العدد 1886 ـ السنة السادسة، الصادر في 1984/1/27م).

فيه، فلم تنشره مجلة عربية أو إسلامية حتى يمكن أن يقال إن شيئا من المبالغة قد لحق به. وإنما نشر في مجلة «لا كتواليتيه روليجيوز» وهي أكبر مجلة كاثوليكية تصدر في فرنسا، وعنها نقلته وكالة الأنباء الفرنسية إلى جميع صحف وإذاعات العالم.

ومن الأمور التي تجعلنا نولي اهتماما كبيرا بهذا النبأ، أن العدد الكبير الذي دخل في الإسلام من الفرنسيين، خلال السنوات القليلة الماضية، يمثل كافة الأوساط الاجتماعية، والاتجاهات الفكرية كما جاء في المجلة التي نشرت النبأ، وذكرت من بينهم مفكرين مثل «روجيه جارودي».. الذي ظل فترة طويلة من أنصار ماركس، وكان مناضلا كبيرا لصالح الشيوعية الدولية، و«ميشيل شود كيوتيز» عالم الدراسات الصوفية، كما ذكرت المجلة وفنانين مثل «مريس بيجار» الراقص ومصمم الرقصات، وأساتذة في الجامعات مثل «ڤانش مونتي» الذي كتب عددا من أعماله عن الإسلام «وبيرينوا ميشان» عالم التاريخ الكبير الذي كتب تاريخ ابن سعود.

ليس هذا فقط، بل إن من بين الذين دخلوا في الإسلام موظفين وعمالا، وهو ما وصفته المجلة بالظاهرة الجديدة، فقد كانت الهجرة إلى الإسلام في الماضي كما ذكرت المجلة مقصورة أساسا على العسكريين الذي عايشوا الإسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وكان أول هؤلاء وأبرزهم الجنرال (مينو) خليفة (كليبر)، الذي كان على رأس الجيش الفرنسي الذي بقي في مصر بعد حملة (بونابرت) في مطلع القرن الماضي.

وراحت المجلة بعد ذلك تعلق على النبأ بأن هؤلاء جميعا قد اجتذبهم الإسلام ببساطته، وبأنه دين حي، يتسم بالقناعة والزهد، وبما يتيحه من إمكانية التوجه إلى الله دون وسيط.

ثم تبقى الأهمية الكبرى لهذا النبأ، والتي تجعلنا نقف عنده طويلا، ونتخذه موضوع حديثنا، وهي أن هذا العدد الكبير من الفرنسيين من مختلف الأوساط الاجتماعية والفكرية يدخلون في الإسلام، وفي الوقت الذي يواجه الإسلام بحملة ضارية يشنها الآن خصومه في أوربا وأمريكا، وتفرد لها بعض الصحف العالمية العديد من الصفحات، كما يشارك فيها للأسف الشديد بالمغالطة والهجوم عدد من الهيئات العالمية والموسوعات العالمية. وقد أشرنا قبل أسابيع إلى نماذج من المغالطات التي جاءت في الموسوعة الأمريكية، ونشرنا قبل ذلك بعضا من المغالطات التي جاءت في الموسوعة البريطانية.

لو وضعنا هذا النبأ بجانب هذه الحملة الضارية على الإسلام، لأدركنا على الفور ونحن والحمد لله على يقين من ذلك أن الله سبحانه وتعالى حافظ على دينه، ومظهره على الناس ولو كره الكافرون، وأنه سيظل يستقبل أتباعا جددا كل يوم، وستقرأ أنباء عن مسلمين جدد في كل مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا، وقد صدر مؤخرا مؤلف للكاتب الأمريكي ما يكل هارت بعنوان «الخالدون مائة، أعظمهم محمد رسول الله»، وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة عالمية شرقا وغربا، وذلك لكون المؤلف ليس مسلما، ولا يعرف إن كان نصرانيا أو يهوديا أو ملحدا، ومع هذا فقد وضع اسم محمد ﷺ في أول القائمة مع الخالدين، بعد أن استعرض الرجال العظماء في التاريخ، فوجد أن أعظمهم وأخلدهم بكل المقاييس هو النبي الأمي محمد رسول الله.

ولما كان أساس الاختيار عند هذا الباحث لهؤلاء العظماء هو ما تتمتع به الشخصية من عبقرية، إضافة إلى الأثر الذي خلفه، ومدى هذا الأثر اتساعا وعمقا...

وطبقا لهذه المقاييس في نظر المؤلف فقد رأى أن محمدا رسول الله أعمق هؤلاء المائة وأبعدهم أثرا... يقول ناشر هذا الكتاب بعد أن ترجمه الأستاذ أنيس منصور - كتصدير له : «... وإنه لم يحدث في التاريخ أن اكتمل دين بكل عناصره الفلسفية والأخلاقية والتشريعية سوى الإسلام، وأن هذا الدين قد كمل تماما في حياة صاحب الدعوة إليه، وأن الدين قد انتصر في حياته، واتسع بعد وفاته حتى أصبح المسلمون 900 مليون في جميع أنحاء العالم».

وإنه ليجدر بنا في مناسبة هذا البحث، واستكمالا لكافة الموضوع، واستيفاء لما يتصل به بأقلام الآخرين، ولا سيما منهم أولئك الذين درسوا الإسلام وهم من غير المسلمين، ونخص منهم بالتنويه من أنصفوه، واعترفوا بفضل

صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام، بل ورفعه بعضهم إلى قمة العظماء الخالدين.

لكل هذا نورد النص الكامل لما كتبه ذلك الأمريكي مايكل هارت عن الرسول ﷺ، في صدد كتابه «الخالدون مائة، أعظمهم محمد رسول الله».

1 ـ محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (570 ـ 632 م)

لقد اخترت محمدا ﷺ، في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك. ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح، قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا. وبعد 13 قرنا من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا متجددا.

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا، إلا محمدا ـ ﷺ ـ فهو قد ولد سنة 570 ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن.

وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود. وتوفيت أمه وهو في السادسة من عمره، وكانت نشأته في ظروف متواضعة، وكان لا يقرأ ولا يكتب.

ولم يتحسن وضعه المادي إلا في الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج أرملة غنية.

ولما قارب الأربعين من عمره... كانت هناك أدلة كثيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس.

وكان أكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين، يعبدون الأصنام، وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى، وكان محمد ﷺ على علم بهاتين الديانتين.

وفي الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانا بأن الله واحد أحد، وأن وحيا ينزل عليه من السماء، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس.

وأمضى محمد عليه الصلاة والسلام ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس.

وفي 613 ميلادية أذن الله لمحمد ﷺ بأن يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد، فتحول قليلون إلى الإسلام.

وفي 622 ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وهي تقع على مدى 200 كيلومتر من مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيدا من القوة، واكتسب رسوله عددا كبيرا من الأنصار.

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول في حياة الرسول ﷺ وإذا كان الذين اتبعوه في مكة قليلين فإن الذين ناصروه في المدينة كانوا كثيرين، وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة، وأصبح محمد ﷺ أقوى وأعمق أثرا في قلوب الناس.

وفي السنوات التالية، تزايد عدد المهاجرين والأنصار، واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار، وأهل المدينة من المهاجرين والانصار.

وانتهت كل هذه المعارك في سنة 630 بدخول الرسول منتصرا إلى مكة.

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد ﷺ الناس يدخلون في دين الله أفواجا... ولما توفي الرسول ـ ﷺ ـ كان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية.

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال، رغم أنهم قليلو العدد، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة.

ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ، أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان، وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلى الإله الواحد، ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية، فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية، وشملت الامبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي، واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

وكان العرب أقل بكثير جدا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها. وفي 642 م انتزع العرب مصر من

الإمبراطورية البيزنطية. كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية في 637 م وفي موقعة نينوي في 642 م وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب لم تكن نهاية الزحف العربي والمد الإسلامي في العالم.

ففي 711 اكتسحت القوات الإسلامية شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلسي، ثم اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق، وعبروا إلى أسبانيا، وساد أوروبا كلها شعور في ذلك الوقت بأن القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي على العالم المسيحي كله.

ولكن في 732 وفي موقعة تور بفرنسا. انهزمت الجيوش الإسلامية التي تقدمت إلى قلب فرنسا.

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله أن يقيموا امبراطورية واسعة، ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي، وهي أعظم امبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم. وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا، فإنها تنشر الإسلام بين الناس.

ولم يستقر العرب على هذه الأرض التي غزوها، إذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد فارس. وإن كانت قد ظلت على إسلامها، وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لاسبانيا والمعارك المستمرة، تقدمت الجيوش المسيحية فاستولت عليها وانهزم المسلمون.

أما مصر والعراق مهدا أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا، ولكن بقيتا على دين الإسلام. وكذلك كل شمال افريقيا.

وظلت الديانة الجديدة تتسع على مدى القرون التالية، فهناك مئات الملايين في وسط افريقيا وباكستان وأندونيسيا.

بل إن الإسلام قد وحد بين أندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات، وفي شبه القارة الهندية انتشر الإسلام وظل على خلاف مع الديانات الأخرى.

والإسلام مثل كل الديانات الكبرى.. كان له أثر عميق في حياة المؤمنين به، ولذلك فمؤسسو الديانات الكبرى ودعاتها موجودون في قائمة المائة الخالدين، وربما بدا شيئا غريبا حقا.. أن يكون الرسول محمد ﷺ في رأس هذه القائمة، رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدا غريبا أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد في هذه القائمة، بينما عيسى عليه السلام هو رقم 3 وموسى عليه السلام رقم 12.

ولكن لذلك أسباب : من بينها أن الرسول محمدا ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وارساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية، وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادىء الأخلاق في المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب «العهد الجديد».

أما الرسول ﷺ فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية، كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم.

والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملا، وسجلت آياته وهو ما يزال حيا وكان تسجيلا في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس في المسيحية شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعليم المسيحية يشبه القرآن الكريم، وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق، ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية.

فعلى المستوى الديني كان أثر محمد ﷺ قويا في تاريخ البشرية، وكذلك كان عيسى عليه السلام.

وكان الرسول عليه السلام - على خلاف عيسى عليه السلام - رجلا دنيويا، فكان زوجا وأبا، وكان يعمل في التجارة، ويرعى الغنم، وكان يحارب ويصاب في الحروب، ويمرض، ثم مات.

ولما كان الرسول ﷺ قوة جبارة فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.

وإذا استعرضنا التاريخ.. فإننا نجد أحداثا كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين.. مثلا : كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن إسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار.. هذا ممكن جدا، على أن يجيء بعد ذلك أي إنسان ويقوم بنفس العمل.

ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو.. وعن العرب عموما وعن امبراطوريتهم الواسعة. دون أن يكون هناك محمد صلى الله عليه وسلم..، فلم يعرف العالم كله رجلا بهذه العظمة قبل ذلك، وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به.

ربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة، كالتي قام بها المغول في القرن الثالث عشر، والفضل في ذلك يرجع إلى جنكيز خان، ورغم أن غزوات جنكز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين فإنها لم تدم طويلا..، ولذلك كان أثرها أقل خطرا وعمقا.

فقد انكمش المغول، وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التي كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان.

وليست كذلك غزوات المسلمين.. فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب، وهذا الامتداد يحتوي دولا عربية، لم يوحد بينها الإسلام فقط، ولكن وحدث بينها اللغة والتاريخ والحضارة. ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن.. هذا الإيمان العميق هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة. صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية، وهذا طبيعي، ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها.

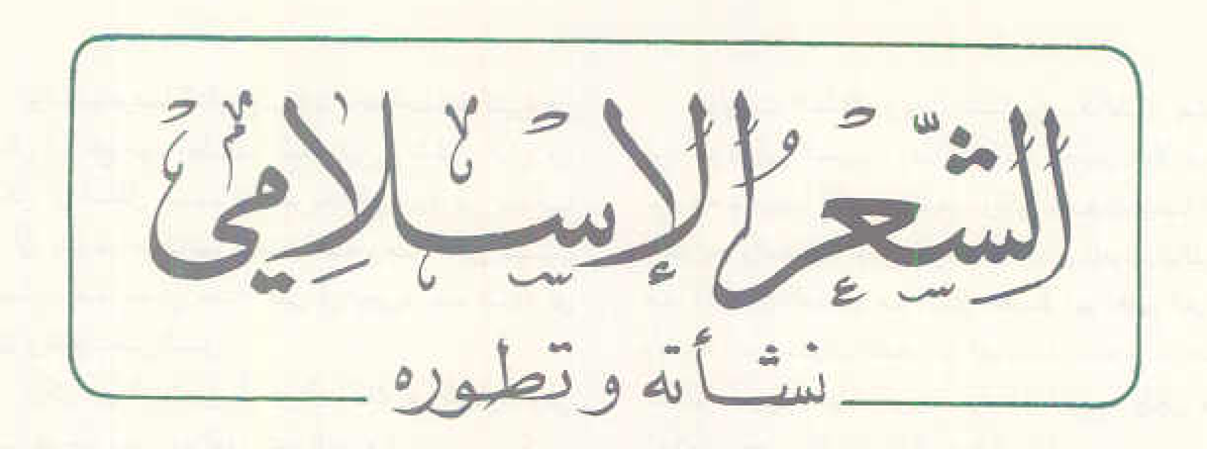
مثلا : لم تشترك إيران المسلمة وأندونيسيا المسلمة في فرض حظر البترول على العالم الغربي فيما بين 1973 و1974، بينما نجد أن الدول العربية البترولية قد شاركت جميعا في هذا الحظر.

وهذا الموقف العربي الموحد يؤكد لنا أن الغزوات العربية التي سادت القرن السابع. ما يزال دورها عميقا وأثرها بليغا في تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا.

فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أومن بأن محمدا ﷺ هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية كلها».

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

" وحتى عندما دخل الاسلام المغرب غازيا لم يستسلم واستتب الأمر للاسلام، لأن الاسلام لم يأت لهذا البلد ليأخذ منهم الزرع ولا القمح ولا الفواكه ولا البواكر ولا العبيد ولا الماديات، لم يطلب منهم شيئا بل أنه جاء إليهم بما كانوا أحوج إليه، وجاء إليهم بهدية هي الحرية، ومنذ ذلك اليوم والمغرب يرتع في الاسلام ويرتع في الهناء وهو مطل على جيرانه ومن يجاوره بعيدا كان أم قريبا، يطل من قمم شامخا في تواضع معتزا في إطار معاملة يومية دائبة لا تريد العجرفة ولا تريد الاستئثار ولكن يحاول كذلك في آنّ واحد هذا المغرب أن يقول للجميع حذار من هذا، لا تظنوا كرمي سفها ولا تسامحي تخليا، ولكن لي شيم ولي تقاليد احترمها، فاحترموها معي. "



للأستاذ عبد العزيز الساوري

اذا رجعنا الى اقوال الباحثين والدارسين في تعليل بداية ضعف الشعر الاسلامي ــ اكانت قبيل الاسلام أم بعده ؟ ــ الفيناها تتلخص فيما يلي :

ا ــ يقول د. عبده بدوي : « نذكر اننا اذا تتبعنا الشعراء زمنيا ابتداء من القمم كامرىء القيس الى من يطلق عليهم مصطلح الشعراء المخضرمين نجد أن هناك خط انكسار كلما اقتربنا من الاسلام ، ذلك لانه كان قد ساد ضعف عربي عام ، ساد الجزيرة العربية ، فقد وصل الامر الى حد ان الاحباش لم يخل لهم وجه الجنوب فقط ، وانما رايناهم يهددون مكة نفسها ، وكلنا يذكر مقولة عبد المطلب : (اما الابل فهي لي ، وأما البيت فله رب يحميه) ، وما نعرفه أن خلاص مكة من هذا الزحف القادم من الجنوب كان سماويا ، ومن ثم كان صوت الشعر واهنا في هذه الفترة ، ثم حين جاء الاسلام كان لا بد من فترة لاستيعاب قيمه الروحية الكبرى ، ولقد وضع الشعراء في أزمة حقيقية ، فبعضهم ــ كلبيد ــ صمت وعكف على القرءان ، وبعضهم ــ كالاعشى ــ تمزق وسهل اغراؤه بالانصراف عن الاسلام ، بعد ان كان قد احتشد له ، وقال قصيدة في النبي ، وبعضهم قد واصل رحلته في ظل الاسلام كحسان بن ثابت مع ملاحظة ان عملية التحول الشعري عنده كانت بطيئة ، ونظرة الى مدحه للنبي عليه الصلاة والسلام تؤكد انه في كثير الاحيان كان ينظر اليه في ضوء المفاهيم القديمة عن الملوك وكبار القوم ، فالاضواء الروحية لا تبرق بفرح في قصائده ، والحديث عن السماء يقل عن الحديث عن الارض . المهم ان قضية ضعف الشعر كانت سابقة على مجيء الاسلام وواصلت السير . ولعل مقولة الفرزدق التي جاءت في كتاب (الموشح ــ في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة انواع من صناعة الشعر ــ) للمرزباني (ت 384 هـ) توضح هذا ، فهي تقول : (.. ان الشعر كان جملا بازلا عظيما ؛ فاخذ امرؤ القيس راسه ، وعمرو بن كلثوم سنامه ، وعبيد بن الابرص فخذه ، والاعشى عجزه ، وزهير كاهله ، وطرافة كركرته ، والنابغتان جنبيه ، وادركناه ولم يبق الا المذارع والبطون ، فتوزعناه بيننا ..) (1) ، ثم انه يجب الا يغيب عنا ان الهدف من الشعر قد تغير ــ وهو في تغيره قد ابتعد عن بعض خصائصه ، فبعد ان كان الشعر عملية ابداع تستمد وجودها من الحياة ، اصبح عملية اخلاقية تستمد كيانها من الدين ، واذا كنا نعرف هذا الموقف بوضوح عند الخليفة عمر الى حد التعامل مع البعض بالضرب ، والسجن ، والنفي ، فان هذا الموقف ينسحب على الكثيرين ، على حد ما نعرف من مجالس ثعلب ، فقد حكي ان معاوية قال لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص : (يا ابن اخي ، انك شهرت بالشعر ، فاياك والتشبيب بالنساء ، فانك تغر الشريفة في قومها ، والعفيفة في نفسها ؛ والهجاء ، فانك لا تعدو ان تعادي كريما او تستثير به

(1) ص : 553 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر 1965 .

لئيما . ولكن افخر بمآثر قومك ، وقل من الامثال ما توقر به نفسك ، وتؤدب به غيرك) (2) .

وهكذا نحس أن الحلقة قد ضاقت على الشعراء، وليس معنى هذا اننا نعفيهم من المسؤولية ، ذلك لان الاسلام لم يدر ظهره للحياة العاطفية ، بل انه في كثير من الاحيان كان يستثير العوطف ، ثم انه وسع عليهم الحياة ، فبعد ان كانوا أسرى الجزيرة اعطاهم مسؤولية عن العالم ، بالاضافة الى مساحات سماوية زرقاء بلا نهاية ومساحات مادية بلا حدود داخل النفس ، ثم انهم على الرغم من كل شيء كانوا يستطيعون ان يقولوا كلمتهم ، ولكنهم استكانوا وآثروا العافية ، مع استثناء انموذج يكاد يكون واحدا، ومن المفارقات ان هذا الانموذج وجد في عهد عمر بن الخطاب على حد ما نعرف من لجوء حميد بن ثور الى الكناية والرمز ، ذلك لان الخليفة حين امر بعدم التشبيب رايناه يحول اشواقه الى شجرة لها حارس شديد ، وكان يعني بهذا امراة يحبها ، وزوجها يغار عليها (3) : (من الطويل)

ابى الله الا ان سرحة مالك
على كل افنان العضاة تروق
فقد ذهبت عرضا وما فوق طولها
من السرح الا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه
ولا الفيء من برد العشي تذوق
فهل انا ان عللت نفسي بسرحة
من السرح موجود علي طريق

كما ان له قصيدة أخرى لجا فيها الى الرمز جاء فيها (4) (من الطويل) :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما
مطوقة طوقا وليست بحلية
ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

وعلى كل فما نؤكده هو ان الاسلام فتح مجالات عديدة داخل النفس وخارجها ، وقد كان يمكن لشعراء صدر الاسلام ان يتخذوها قاعدة «للارسال»، وما زالت هذه القاعدة قابلة للارسال ، ولكن الشعراء كما قلنا استكانوا وآثروا العافية ، وقعد بهم الطموح عن السباحة في البحار الكبيرة ، والسموات الكبيرة ! » (5) .

ب ـ وقريب من هذا الراي ما ذهب اليه د. عبد القادر القط ، فهو يقول : « ان ذلك الضعف الذي لاحظناه على الشعر الاسلامي كان قد بدأ في الحقيقة قبيل الاسلام لا بعده . كان قد انقضى عصر « الفحول » ولم يبق منهم الا الاعشى الذي مات ـ كما تقول الرواية ـ وهو في طريقه الى النبي ليمدحه ويعلن اسلامه ، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين واوشك ان يكف عن قول الشعر ، ولم يبق عند ظهور الاسلام الا شعراء مقلون ، بعضهم مجيد في قصائد مفردة ولكنهم لا يبلغون شأو هؤلاء « الفحول » .. كان هؤلاء الشعراء الكبار بتجوالهم في ارجاء الجزيرة العربية وارتباطهم بتجمعاتها الكبيرة قد اسهموا بنصيب كبير في خلق شعور قومي ـ وان يكن غير واضح و محدد ـ بين قبائل العرب الكبرى ؛ وفي تأصيل كثير من القيم الاخلاقية والاجتماعية اللازمة لنشأة اي شعب متماسك متحضر، وفي التمكين للغة عربية عامة تعلو على سائر اللهجات وتصبح قادرة على التعبير عن مقومات ذلك الشعب وحضارته التي كانت توشك ان تنبثق من ظهر الغيب .. وكأنما فرغ هؤلاء « الفحول » من تلك الرسالة الحضارية قبيل الاسلام فانقضى جيلهم وظل المجتمع العربي بضع سنوات ينتظر رسالة من نوع جديد تحقق للعرب تلك الوحدة التي كانت كثير من مظاهر

---

(2) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه (ت 328 هـ) ج 5 ص : 281 ، منشورات دار الكتاب العربي ـ بيروت 1402 هـ ـ 1982 م .
(3) كتاب الاغاني ـ ابو الفرج الاصبهاني (ت 356 هـ) ج 4 ص : 356 ـ 357 (مصور عن طبعة دار الكتب) مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت (بلا تاريخ) ، والاستيعاب في اسماء الاصحاب : ابن عبد البر (ت 463 هـ) ج 1 ص : 368 دار الفكر ـ بيروت 1398 هـ ـ 1978 م .
(4) ديوان حميد بن ثور الهلالي . تحقيق عبد العزيز الميمني . نشر دار الكتب المصرية 1951 ص 7.
(5) « قضايا حول الشعر » ـ مجلة (الشعر) القاهرة ـ العدد 28 ـ السنة السابعة اكتوبر 1982 ذو الحجة 1402 هـ ص : 8 ـ 10 .

الحياة في الجزيرة العربية تنبىء بها ، وتستخدم تلك اللغة التي مكن لها هؤلاء الشعراء في الارض لكـي تحمل قيمها الروحية والحضارية الجديدة ... » (6) .

جـ ـ ويرى د. نجيب محمد البهبيتـي أن الشعر : « كان قد اخذ في العهد السابـق للاسلام مباشرة يتجه الى نحو من التفكير جار حول العقائـد والدين . والشعر انما يذهب هذا المذهب في طور شيخوخته ، فأرخصه ذلك ، وحطـه عن مستـواه القديم من ناحية ، واوقفه موقف المخالفة في الاسلام من ناحية اخرى .. وبذلك ذهب مع عصر التقلقـل ملوك الشعر الذين كانوا اثرا من آثار عهد النضـج الفني ، وخلاصة عظمى لازهر مقاييسه » (7) .

د ـ وعند د. سامي مكي العاني ان : « القول بان الضعف قد بدأ قبل الاسلام فيه تعميم ، فحسـان وكعب بن زهير ولبيد والعباس بن مرداس والحطيئة والهذليون وغيرهم من المخضرمين ، ومن تلاهم في العصر الاموي من الفحول المعروفين ، كلهم شاركوا في النهضة الشعرية التي امتدت بعد الاسلام ولـم تنقطـع او تفتـر » (8) .

فأيـن الصـواب في هـذه الآراء ؟

« ضعف الشعر العربي في صـدر الاسلام » يعني وضع تاريخ ضعفه داخل الحقبة الاسلاميـة ، لانه لو كان قبل الاسلام لكانت الظاهرة تنصـب على الشعر الجاهلي في اعوامه الاخيرة ، فيكون العصـر الاسلامي ، مثلا ، امتدادا لهذا الضعف الذي لحـق العصر الذي سبقه ، فان كانت الظاهرة تعني ضعف الشعر الجاهلي فما علاماته ؟ لقد كان لبيد والاعشى وقيس بن الخطيم وحسان بن ثابت والخنساء ، من المبرزين في تلك الحقبة ، ومن الذين ادركوا ظهـور الاسلام . ولا ننس الرواية القائلة ان الاعشى وحسان ابن ثابت والخنساء انشدوا بين يـدي النابغـة في عكاظ ، فان دلت الرواية على شيء ، سواء صحـت أم لم تصح ، فانها تدل على ان الثلاثة كانوا من كبار شعراء الجاهلية في طورها الاخير ، ان لم يكونـوا كبارهم على الاطلاق . فاذا اضفنا زهيرا الذي قاربت اعوامه الاخيرة ظهور الاسلام ، وابنيه كعبا وبجيـرا وبقية الشعراء المخضرمين كالحطيئة وربيعة بن مقروم الضبي ومتمم ومالك ابني نويرة وآخرين كثيريـن ، وجدنا تلك الحقبة ابعد ما تكون عن الضعف او بدئه .

نأتي الآن الى العصر الاسلامي ، ولا نريـد ان نعالج بدء عصره الادبي ، فوضع فواصـل زمنيـة محددة للعصور الادبية ، على غرار حوادث التاريـخ السياسي وقيام الدول وسقوطها ، امر لا مسوغ له ، وقد ينأى بالباحث عن كثير من الدقة ويسلك بـه طرقا لا تخلو من الالتواء والشطط .

ونوجز فنقول : ان الرقعة الادبية الواسعة لم تتأثر كثيرا بظهور الاسلام بمكة ، طوال السنين التي سبقت الهجرة الشريفة . فالبلاد العربية ـ ما عـدا مكة ـ كانت امتدادا للجاهلية في كثير من مظاهرها ، ومنها النشاط الادبي وحياة القبائل ، وما تعنيه تلك في العلائق المختلفة .

اما الشعر بعد الهجرة فقد شارك كثيـرا في الحياة العامة ، وقد نجد حركة جديدة في الشعر لم يشهدها الحجاز من قبل . ويحق لنا ان نقـول ان الشعر ، بعد الهجرة ، كان اقوى منه في الجاهلية ، في تلك البيئة التي انتظمت مكة والمدينة ، ابـان صراعها المتعدد الجوانـب . ان الاسلام في تلـك الحقبة لم يغض من الشعر ، بل التمس سلاحا فعالا ، مع اسلحته الكثيرة في الدعوة وميادين القتـال ،

(6) في الشعر الاسلامي والاموي . دار النهضة العربية ـ بيروت 1979 ص : 13 ـ 14 ، وفي رسالـة شخصية ارسلها الي د. عبد القادر القط مؤرخة في القاهرة 2 / 10 / 1983 يؤكد مرة اخـرى رايه هذا الذي مر بنا في بداية ضعف الشعر الاسلامي ، فيقول : « ان الشعر العربي كان قد (ضعف) قبيل الاسلام باختفاء (الفحول) الذين كانوا قد أدوا رسالة كبيرة باشاعة لغة مشتركة بين العـرب وتمجيد طائفة من القيم الاخلاقيـة المشتركـة بينهـم » ص : 1 ـ 2 .

(7) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، ص : 114 ، مكتبة الخانجـي ـ القاهرة ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة 1387 هـ ـ 1967 م .

(8) الاسلام والشعر ص : 25 ، سلسلة (عالم المعرفة) رقم 66 ـ شعبان ـ رمضان 1403 هـ / يونيو 1983 م ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويـت .

اضف الى ذلك ان الشعر كان جـزء من الاعـلام الاسلامي في مواجهة انشطة القبائل العربية الاخرى خارج هاتين المدينتين ، وتحديها ، كما حدث بين شاعر وفد تميم وحسان بن ثابت ، واعتراف الوفد بتفوق شاعر الرسول على شاعرهم .

اذن متى ضعف الشعر ؟

لا بد من ملاحظة عابرة نقولها هنا ، وكان حقها ان تقال في فاتحة هذا المبحث ، وهي خطأ المقايسة والموازنة بين العصور الثلاثة : الجاهلي والاسلامي والاموي . فالعصر الجاهلي قد يمتد الى اكثر من مائة وخمسين عاما ، والعصر الاموي يقارب قرنا من الزمان . اما الاسلامي فحوالي نصف قرن ، واذا اسقطت اعوام الدعوة في مكة فاننا نجده لا يمتد الا الى اربعين عاما (9) . فالمقايسة بين العصور الثلاثة، مع نسيان هذا الفارق الزمني ، تنتج انطباعا بضعف العصر الاسلامي ، وهو انطباع يوحي به قصر المدة لا فقرها او ضعفها في الانتاج الادبي . وليس الخطأ في العصر العاصف السريع بقدر ما هو في الحساب والمقايسة .

ولكن مؤرخين ونقادا يصرون على ضعف الشعر الاسلامي ، فاذا اسمحنا لانفسنا بمجاراتهم فليست ظاهرة الضعف من انتاج أواخر العصر الجاهلي او بعد الهجرة الى ما قبل وفاة الرسول الكريم ، كما مر بنا آنفا ، وانما بعد وفاة الرسول حين شغل المسلمون بحروب الردة ، اولا ، ثم حين عبئوا في جيوش مجاهدة خرجت من الجزيرة في جهادها الطويل المتواصل ، ثانيا .

هنا قد يجد المرء انشغالا حقيقيا عن كل شيء بالجهاد والفتوح ، ولعل تلك الاعوام هي التي قسمت اوقات المسلمين بين خوض المعارك نهارا ، والتهجد بالقرءان الكريم ليلا ، وبدا ان ليس من فراغ لقول الشعر او الاستماع اليه . ولا يعني هذا خلو الفتوح الاولى من الشعر ، فقد تجد شعرا كثيرا ولكنه لا يبلغ مقدار ما كان عليه ، قبل ذلك . وقد يكون ذلك العهد ، اذا اصر أولئك المؤرخون والنقاد على رأيهم ، العهد الذي يحسن ان يلتمس عنده بدء ضعف الشعر الاسلامي ، حتى اذا جاء ما يسمى بـ « الحرب الاهلية » التي بدات بمقتل الخليفة عثمان ، وجدنا الشعر ينشط ثانية ليهيىء لازدهاره القريب في العصر الاموي .

وجدة : عبد العزيز الساوري

(9) دراسات في الشعر العربي (تحليل لظواهر ادبية وشعراء) ـ د. محمد مصطفى هدارة ، الجزء الاول ص : 23 ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية 1982 .

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

" إذن عليكم أن تميطوا الأذى عن الطريق، ثم إذا أنتم أمطتم الأذى عن الطريق، أن تقفوا عند هذا الحد، حتى لا يخلف دون أن نشعر برهبانية، خاصة وأن الاسلام ضد الرهبانية، لا رهبانية في الاسلام. فلا يريد أن يقال عندنا في المغرب كما يقال في بعض البلاد المعروفة رجال الدين... بمعنى أوضح يجب ألا تكونوا مجتمعا في المجتمع أو فرقة خاصة، من فرق المجتمع، عليكم أن تندمجوا فيه، فأنتم منهم وهم منكم، أياكم ثم أياكم أن تظهروا إما فرادى أو جماعات أو مجالس أو هيكل، هكذا أنكم رجال الدين، وإلا سنصبح في الرهبانية، وسنصبح في البدع وسنصبح مخالفين للسنة، تلك السنة، وأتباع السنة التي جعلت من المغرب هيكلا ودولة ونظاما وقلعة وحصنا حصينا منذ أن دخل الإسلام الى هذا البلد الى يومنا هذا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها. "

المادية والصراع

للدكتور ابراهيم أباظة دسوقي

هل صحيح ان تاريخ البشرية هو تاريخ الصراع حول المادة ....

وهل صحيح ما يدعيه ماركس من أن مطالب الانسان تنحصر في ثلاثة : الغذاء والكساء والاشباع الجنسي .

هل صحيح ان حول هذه الامور تصطرع البشرية من قدم ... ومن اجلها تتوالى الانظمة ... من الرق الى الاقطاع الى البورجوازية ... الخ .

يقول ماركس « ان الطاحونة تعطينا مجتمع الاسياد الاقطاعيين بينما تعطينا آلة البخار مجتمع الراسماليين الصناعيين » .

وهكذا يتناسب مع كل نمط من انماط الانتاج ، نمط من انماط المجتمع ...

والانتقال من نمط الى آخر لا يكون الا بصراع شاق مرير ينتهي بفوز طبقة على طبقة .. واستيلائها على مقاليد السلطة في المجتمع ..

فبالامس دار الصراع عنيفا بين الاقطاع والبورجوازية وانتهى بفوز الاخيرة .. واليوم ينشب صراع جديد بين البورجوازية والبرولتارية ..

وهذا الصراع لا بد وأن ينتهي بانتصار البروليتاريا واستيلائها على مقاليد الحكم .

ومناط البحث هو ذلك الصراع الذي يدعيه ماركس بين ما اسماه : بالطبقات ..

هل هذا الصراع حقيقة واقعة يمكن على ضوئها تفسير تاريخ البشرية ..

وهل سبب هذا الصراع هو الاشباع الحسي من غذاء الى كساء الى اشباع جنسي .

حقيقي أن التاريخ الانساني يعرف صراعا بين الفئات الاجتماعية ... ولكنه يعرف ايضا وفاقا بين الفئات الاجتماعية ...

فاذا صح القول بأن تاريخ البشرية هو تاريخ الصراع بين الطبقات ، فانه يصح القول ايضا بأن تاريخ البشرية تاريخ الوفاق بين الطبقات !!!

فكما اصطرعت فئات او طبقات حول وسائل العيش المادية ... وحاولت ادراك اهدافها بالوسائل الدموية ... فقد اتفقت فئات او طبقات وحاولت ادراك اهدافها بالطرق السليمة ...

هذا الوفاق والاتفاق اللذان ميزا البشرية لفترات طويلة من تطورها ... لم يعترف بهما ماركس ومن تبعوه ... ولم يتصوروا لحظة امكانية قيام هذا الوفاق والاتفاق بين الفئات الاجتماعية في

المستقبل ... وهكذا جاءت نظريته وتنبؤاته نكرانا لواقع اجتماعي لا يمكن نكرانه وهو واقع الوفاق والاتفاق الذي يطبع كل مجتمع بشري ينبض بالحركة والحياة ...

ولنا ان نتساءل — من زاوية أخرى — ان كان صراع الانسان يدور فقط حول المادة وينشب فقط بسببها ؟؟ .

يؤكد ماركس ان اساس الصراع هو المادة .. هو الواقع المادي الذي يعيش عليه المجتمع .

هذه النتيجة يرفضها لان العلم لا يقبل رد التغيير الى عامل واحد وهو الواقع المادي للمجتمع انما ينسب التغيير الى العديد من العوامل المادية والمعنوية ، ومن هنا لا تنحصر اهتمامات الانسان في نطاق ما هو مادي ضروري للحياة فقط ، ولكنها ترقى الى ما هو معنوي ايضا ...

فكما تنصرف اهتمامات الانسان بضرورات الحياة المادية من غذاء وكساء الخ ... تنصرف ايضا الى ضرورات الحياة المعنوية من مشاعر المحبة والتعاطف والتراحم الخ ...

فالانسان لا يحيا بالخبز فقط ... انما يحيا ايضا بتلك الامور المعنوية التي تشكل جانبا له خطره من حياته ...

فلو كان الانسان كما فقط لحلت جميع المشكلات الانسانية ... ولكن الانسان كيف ايضا يتسم بالروح والمدارك والمشاعر . ومن هنا يصعب حصره في نطاق المادة .. وربطه في اسارها على نحو لا يخرج عنه ولا يحيد ..

الم يقاتل الانسان ... منذ الازل من اجل قيم اخرى غير تلك القيم المادية .

الم يضح بحياته من اجل فكرة او مبدا ... لا صلة لها من قريب او بعيد بالبناء التحتي وما ينطوي عليه من ماديات ؟

الحروب الدينية هل كانت صراعا حول المادة ومن اجلها ؟

لا ....

الحروب الاسلامية لم تندلع من اجل المادة ... والذين قاتلوا واستشهدوا في هذه الحروب لم يقاتلوا ولم يستشهدوا من اجل المادة ، انما من اجل اعلاء قيمة روحية يؤمنون بها ... يعيشون لها ويموتون في سبيلها .

واذا كان ماركس ومن تبعوه يتهمون قادة هذه الحروب باستغلال الدين من اجل تحقيق مآرب مادية فان هذا الاتهام لن يغير من الواقع شيئا .. وهو ان القواعد العريضة لم تكن تقاتل ... ولم تكن تستشهد من اجل جاه او من اجل كسرة خبز ... وانما كانت تقاتل وتستشهد في سبيل الله ... وفي سبيل نصرة دين الله .

ان التاريخ البعيد والقريب يقدم لنا العديد من النماذج لافراد وشعوب قاتوا من اجل اعلاء قيمة روحية ... او نشر دين ... او الدفاع عن شرف ....

بل ان صراعات من هذا النوع كانت السمة المميزة للبشرية لعصور ما قبل طغيان المادة اى قبل عصور الراسمالية « الحرة » والاشتراكية « العلمية » ولم يتحول صراع الى قتال من أجل المادة وحدها سوى على يد الفلسفات المادية من ليبرالية الى ماركسية .

فهذه الفلسفات قد عزلت الانسان عن روابطه الروحية وحصرته في اطار المادة فجعلت لها من حياته مكانا طاغيا يناهض انسانيته ....

ونحن لا ننكر ضرورة المادة ولزومها للحياة ... ولكننا ننكر انها العامل الوحيد المتحكم في حياة البشر ... وننكر انها السبب الوحيد الذي من اجله يصطرع البشر .

فهذه الجبرية المادية التي يقول بها ماركس ومن تبعوه ... لا تنهض سببا كافيا لتغيير مراحل الصراع الانساني ... لان بذور هذا الصراع كما يمكن ان تكون في المادة يمكن ان تكون في الروح .

شوق إلى عالم الخلود

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

قيلت في رثاء صاحب السمو الملكي المغفور له الأمير مولاي عبد الله تغمده الله برحمته .

اقسمت ان ترتقي بدرا سما لسما   وتصحب النيرات الزهر والقمما

شوق دعاك الى افلاكها فغدت   بك التباريح لاتلفي بها سأما

تلح في السفر السامي الى ملأ   يشتاق منك الوفا والنبل والكرما

ان السماء أرادت منك حصتها   من السجايا فأولتها الدنا نعما

ما مت مولاي لكن قد نقلت الى   دار الخلود لتحيا مفردا علما

عطرت بالذكر دنيانا فسح بها   فيض من الجود كاد يبعث الرمما

شبابك الغض قد افنيته عملا   يرتاد للوطن المحروم ما حرما

الوالد البطل الحاني يخط له   فيهتف « الحسن الثاني » لما رسما

وانت ثالث طودين استحال على   خصم البلاد بها يقتات ما وهما

وباقي أسرته الشماء كان لها   من الشهامة كنز يدفع النقما

بيت من الطهر والاخلاص قد رفعت   له الدعائم فاقتاد العلا حرما

لم يعرف الدهر بيتا كان منشأه   ومنشأ الشعب من نبع يغار دما

كبيت آل « علي الشريف » وفي   سلالة البيت نور المصطفى بسما

كلاهما وحدة يزهو الشعور بها   سيان في اليسر او في العسر حيث رمى

لم ينس تاريخ قومي وهو فخرهم   ان الملاحم تدعو السيف والقلما

ان الامير الذي نبكيه في اسف   يضاعف الهم والاحزان والالما

يختال في نعم عن حسن ما صنعت   يداه من عمل لن يعرف العدما

قد كان والمحنة الكبرى عواصفها   تجتاح قصرا وشعبا وحدا رحما

كقلعة صمدت رغم الزوابع في   وجه العدو على أس الوفا هرما

نفيت والنفي تاج ظل مؤتلقا   على جبينك يجلو الكرب والظلما

ما كان نفيا وان سماه صانعه   بالنفي بل هو اثبات لمن فهما

لله من اسرة ما قال قائلها   هيا الى المجد الا لبت الكلما !

تسير في خطه هديا توججه   نار الوفاء لشعب اخلص القمما

من كان للشعب فالشعب الوفي له   حدس ورؤيا واخلاص لمن خدما

يا ليت يدرك حكام الشعوب مدى   ما بين عرش وشعب وده انسجما

ان الذي خلق الامجاد قال لها   زركش من « المغرب الاقصى » لها علما

فرفرف العلم الخفاق مزدهيا   على الربوع يقص المجد والشمما

احببت فيه بلادا كدت تعبدها   وعاش قلبك بالاخلاص مضطرما

ما دق .لا وفاء يحتذى مثلا   وما ترنح الا ايقظ الهمما

تصغي اليه فتهفو غير عابئة   بالهول اجرى دخيل الدار منه فما

تبدو ضراغم لا الهيجاء ترعبها   ولا الشدائد حتى تكشف السقما

يزداد ايمانها بالحق منطلقا   لان بيتك يبني تحته دعما

ما ضاع حق يشد الملك عروته   والشعب من حوله يصطف معتصما

انعم بها وحدة قد حققت املا   غنى الجهاد على تحقيقه نغما

وعدت والوطن الغالي تظلله   حرية تستبي العشاق والحكما

تبني له كل ما يعلي مكانته   وتركب الصعب والاخطار مقتحما

اهدى « ابن يوسف » من انواره قبسا   كنت الضياء به ينساب مرتسما

في ذمة الله والتاريخ ما رسمت   خطاك من اجل شعب شمله التأما

احب فيك اميرا كان كوكبه   يرنو اليه بطرف الود مبتسما

كما احب « امير المؤمنين » اخا   اهدى له من جميل الصنع ما عظما

تعزية من شغاف القلب انظمها   بعد المصاب الذي ابكى وما رحما

وهل رايت جموع الشعب ساهمة   ونار فقدك شبت في الحشا ضرما

لا الدمع يطفي نارا في جوانحها   ولا النيران اذا سيل الدموع همى

تطوف بالنعش آلاف القلوب على   تسبيحها ظهر الترحاب مزدحما

من الملائك جند الله وهي على   كل المسالك تلقى الضيف محترما

مرحى به في نعيم قد أعد له   جزاء ما عمل الباني وما علما

والله يشكر فعل العبد في غده   وجنة الخلد ميدان لمن قدما

تطوان : عبد الواحد اخريف

الرؤية المعتبرة شرعاً
وشروط قبولها

للأستاذ محمد بن عبد الرازق

قال ابن رشد في البداية : واجمعوا على ان الاعتبار في تحديد شهر رمضان انما هو الرؤية وعنى بالرؤية اول ظهور القمر بعد السواد . هـ .

وقال ابن عبد الحكم لا يجوز النقل ولا يلزم ذلك فيما بعد جدا حيث يمكن ان يراه قوم ولا يراه آخرون هـ .

وقد عقد مجلس المجمع الفقهي الاسلامي دورة رابعة في مقر الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة من 6 ربيع الثاني 1401 الى 16 منه ، واوصى بالاتفاق بان العبرة في تحديد أوائل الشهور القمرية التي انيطت بها العبادات هي الرؤية البصرية الشرعية دون التفات الى الحساب بأي شكل من الاشكال ولا الى شرط من الشروط ، كما اوصى بوجوب اعتبار اختلاف المطالع هـ .

وقد قرر ايضا المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة في اواخر اكتوبر سنة 1966 والذي ضم ما يزيد على مائة عالم من اربعين دولة اسلامية ، قرر ان الرؤية هي الاساس لكن لا يعتمد عليها اذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا لسبب من الاسباب ، ومن هذه الاسباب مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به الصادر ممن يوثق به هـ .

وقرر ايضا مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية المنعقد بالكويت في 3 محرم 1393 ، موافق 26 فبراير الى 3 مارس 1973 . ان الرؤية هي الاصل في تحديد اوائل الشهور القمرية بشرط ان لا تتمكن التهمة تمكنا قويا لسبب من الاسباب ، ومنها مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به هـ .

وذكر البستاني في زيجه أن القدماء قالوا لا تمكن رؤية الهلال لاقل من يوم وليلة ، ثم قال واذا تقصيت أسباب الرؤية وجد هذا القول هو الاصل الذي يعمل عليه .

وقال ايضا الذي تجتمع آراء الناس عليه في مقدار قوس الرؤية وهو على ما وجدنا بالرصد اثنا عشر جزءا من أزمان معدل النهار بالتقريب ،وقال في الاخير : ومن البين ان مقدار هذه الازمان المذكورة يكون قريبا من اربعة أخماس ساعة ، هو اربعة اخماس ساعة ، هي 48 دقيقة .

وذكر ابن الشاطر في زيجه ان حد ارتفاع الهلال يختلف لاختلاف نور الهلال ، فان الهلال الذي نوره ثلثا أصبع يجب ان يكون ارتفاعه عشر درجات ، والهلال الذي فيه من النور أصبع ان يكون ارتفاعه ثماني درج نجد الارتفاع يختلف بزيادة نور الهلال ونقصانه ، وقال ايضا (تنبيه) فان قل قومي النور صعب من جهة قلة الضوء ، وان قل قومي الرؤية صعب من جهة الارتفاع ، وان قل المكث فلشدة ضوء الافق هـ .

وقال علماؤنا : اذا كانت الشمس في اول المنزلة ، فالهلال يظهر في المنزلة الثانية ، واذا كانت في آخر المنزلة فالهلال يظهر في المنزلة الثالثة . وقالوا ايضا : اذا طلع الهلال قبل طلوع الشمس في اليوم الثامن والعشرين من الشهر القمري ، فالشهر يكون من ثلاثين يوما ، واذا خفى يكون من تسعة وعشرين غالبا ، وقد يكون من ثلاثين.

وقال علماء الفلك : اذا كان بين القمر والشمس اثنتا عشرة درجة قبل الاجتماع ، كان اول دخوله تحت شعاع الشمس ، واذا كان بينهما اثنتا عشرة درجة بعد الاجتماع كان اول خروجه من تحت الشعاع .

وقال البيروني في التفهيم في تشريق الكواكب وتغريبها ، وليس يعني بالخروج من الشعاع الظهور للابصار ، فان ذلك مختلف في الاقاليم ، وانما هو حد لها محدود هـ .

ثم ان اوقات اجتماعات القمر بالشمس هي من المسائل المقطوع بها عند جميع الدول الاسلامية وغيرها وهي الآن في متناول الجميع لوجودها في التقاويم الاسلامية والاوروبية والامريكية وغيرها ، هذا ويستفاد من هذا العرض الوجيز امور .

اولا : الرؤية المعتبرة شرعا هي الرؤية البصرية الواقعة عشية بعد الاجتماع والخروج من الشعاع ، وذلك باجماع العلماء ، ومن بنى على غيرها فقد خالف الاجماع ، بل خالف ما جعله الله ميقاتا للناس وهو رؤية الهلال دقيقا مثل الخيط ، وخالف قول النبي عليه الصلاة والسلام جعل الله الاهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين ، وخالف قول ابن عباس ، جعل الله الاهلة مواقيت يصام لرؤيتها ويفطر لرؤيتها .

ثانيا : حيث قرر علماء اربعين دولة اسلامية ووزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية بالعالم الاسلامي، ان الرؤية لا تعتمد اذا تمكنت فيها التهم لسبب من الاسباب ، ومنها مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به ، فيتعين على جميع الدول الاسلامية العمل بمقتضى هذا القرار بحيث اذا ادعى شهود رؤية الهلال قبل اجتماع القمر مع الشمس او بعد اجتماعهم باقل من يوم وليلة فترد شهادتهم ولا تقبل لما علمت من ان اوقات الاجتماعات هي من المسائل المقطوع بها ، وان القمر في آخر كل شهر يختفي تحت شعاع الشمس يومين على الاقل ، يوما قبل اجتماعه بالشمس ، ويوما بعده على أن من ادعى رؤية الهلال قبل اجتماع القمر بالشمس او بعد اجتماعهما باقل من يوم وليلة فقد ادعى المحال ، ومن ادعى المحال يجب تكذيبه والغاء شهادته ، وتأمل قول مالك هما شاهدا السوء فيما اذا شهدا برؤية الهلال ثم عد الناس ثلاثين يوما من رؤيتهما فلم يروه ، قال خليل في التوضيح بعد قول مالك هما شاهدا سو اللخمي وغيره يريد انه قد تبين كذبهما ، لان الهلال لا يخفى مع كمال العدة ، قال مالك واي ريبة اكبر من هذا ، وقال ابن عبد السلام ، وعلى هذا يجب ان يقضي الناس يوما في مسالة مالك اذا كانت شهادة الشاهدين على رؤية هلال شوال ، وكذلك يفسد الحج اذا شهدا برؤية هلال ذي الحجة هـ .

ومن الريب ان يدعي شهود رؤية الهلال مساء وقد رىء في جهة الشروق صباح ذلك اليوم قبل طلوع الشمس ، لان طلوعه قبل طلوع الشمس دليل على انه ما زال لم يجتمع مع الشمس ، وما زال لم يدخل تحت شعاعها ، وقد علمت من كلام العلماء والفلكيين أن القمر لا بد أن يختفي تحت شعاع الشمس في آخر كل شهر يومين على الاقل ، يوما قبل اجتماعه بها ، ويوما بعده ، وربما يختفي ثلاثة ايام لما قدمناه عن البيروني .

ومن الريب ان يدعي عن شهود رؤية الهلال ، وفي الغد لا يرى او يرى صغيرا جدا لانه لو رىء حقيقة لرىء في الغد اتم ظهور او اضوا نورا ، وقد قال صاحب المقنع :

تعطيه شمس كل يوم نصفا
سبع من النور لذلك يلفى
يغيب في اهلاله لنصف
سبع ليل وغدا للضعف

ثالثا : حيث ان القدماء قالوا لا تمكن رؤية الهلال لاقل من يوم وليلة ، وحيث ان اوقات الاجتماعات هي من المسائل المقطوع بها عند الجميع

وحيث انها في وقتنا الحاضر موجودة في التقاويم الاسلامية والاوروبية والامريكية وغيرها فنرجو من اصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ان يصدروا اوامرهم للمكلفين بثبوت رؤية الهلال ان ينظروا في حال الشهود ، فان شهدوا برؤية الهلال بعد اجتماعه مع الشمس وانفصاله عنها بقدر يوم وليلة على الاقل قبلت شهادتهم، وان شهدوا برؤيته قبل اجتماعه مع الشمس او بعد اجتماعهما باقل من يوم وليلة الغيت شهادتهم واكملت العدة ثلاثين ، لان الشرع الاسلامي كما أمر بالعمل بشهادة شهود الرؤية او غيرها امر بأن تكون شهادتهم سالمة من الريب والشكوك والاوهام ، واذا كان صيام يوم الشك عصيانا لابي القاسم صلى الله عليه وسلم كما قال عمار بن ياسر في صحيح البخاري فكيف بمن بنى صومه على شهادة متطوع باستحالتها او قريبة من الاستحالة ، مع ان الشرع لا يأتي بالمستحيلات وانه لمما يؤسف له ان تثبت دولة من الدول الاسلامية رؤية الهلال ، وفي الغد يقع كسوف شمس كلي او جزئي يشاهد في عدة مناطق ، ثم لا يرى لهلال مساء .

هذا وبتطبيق ما رجوناه من الملوك والرؤساء لا يبقى بين المسلمين خلاف في اوائل الشهور القمرية الا ما يوجبه اختلاف المطالع وهو الاختلاف بيوم في بعض الاحيان ، ويكون المتقدم بذلك اليوم من كان غربيا لا من كان شرقيا ، وخصوصا مع التقارب في العرض .

رابعا : وكما يجب التثبت في ثبوت رؤية الهلال يجب اعتبار اختلاف المطالع ، لان الرؤية التي جعلها الله ميقاتا للناس والحج هي مما تختلف باختلاف الآفاق كأوقات الصلاة ووقتي الامساك والافطار في رمضان .

وحيث ان وقت الامساك والافطار في رمضان يختلف باختلاف الافاق فكذا يكون ابتداء الصيام وانتهاؤه مختلفين باختلاف الافاق لبنائهما على الرؤية التي تختلف باختلاف الآفاق قطعا على انه لا يقول بان رؤية بلد تعم جميع اهل الارض الا من كان يعتقد بان الارض مسطحة وان الشمس اذا طلعت تطلع على الجميع واذا توسطت توسطت على الجميع ، واذا غربت غربت على الجميع ، واذا وصل الهلال لحد الرؤية رءاه الجميع او كان رافضيا يقصد التقدم على الرؤية او كان متاثرا بعمل الروافض .

وقد تقدم قول ابن عبد لحكم لا يجوز النقل ولا يلزم وذلك فيما بعد جدا حيث يمكن ان يراه قوم ولا يراه آخرون .

وقال ابن عبد البر : اجمع العلماء على ان لا تراعى الرؤية فيما تباعد من البلدان : كخرسان من الاندلس .

وقال ابن رشد في البداية : واجمعوا انه لا يراعى ذلك في البلدان النائية : كالاندلس والحجاز ، ومثله لابن جزي في قوانينه .

وقال محمد بن سابق : اطلاق اللزوم والتسوية بين بلد الرؤية وغيره ، وان بعد ما بينهما غلط فاحش وجهل بين ومخالفة سنة وخرق اجماع ، اذ لا يصوم اهل قيروان برؤية اهل مكة والمدينة وما يشبه ذلك في البعد اجماعا .

وقال محمد بن نسيم : من اطلق لزوم حكم الرؤية من غير فرق بين بعد غير بعيد ممن بحكم القرب ، وبين بعد بعيد له حكم آخر يخالف فيه حكم ما فصل بينهما ذلك البعد البعيد فقد اساء التعليم وغلط فيما قال وجهل حكمة الله في وجوده وحكم الله على عباده .

الى غير ذلك مما ذكرناه في العذب الزلال وخلاصته ، وفي مقالاتنا وتعاليقنا ورسائلنا ، فليراجع ذلك .

خامسا : بما ذكرناه من النصوص المعتمدة ، ومن اقوال علماء الشرع والفلك يتضح أن ما قرره مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ومؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية من انه (لا عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الاقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وان قل ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الاقاليم التي لا تشترك في جزء من هذه الليلة) هو مخالف لما ذكر من النصوص المعتمدة المطابقة للمقاصد الشرعية والاوضاع الفلكية بل هو مخالف لما اجمع عليه العلماء الشرعيون والفلكيون .

وعليه فالصواب ان ينظر بين بلد الرؤية وغيرها فان كان بينهما بعد لا يوجب اختلاف الرؤية ، صح النقل ، وان كان بينهما بعد يمكن معه ان يرى الهلال قوم ولا يراه آخرون فهنا لا يجوز النقل ولا يلزم لان الرؤية البصرية هي الميقات للصوم والحج وغيرهما بنص الكتاب والسنة والاجماع .

وتامل قول ابن عباس : لكريب لكنا رايناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين او نراه ، فقد اعتبر البعد الموجب لاختلاف الرؤية ولم يعتبر الاشتراك في جزء من ليلة الرؤية او عدم الاشتراك فيها .

كما ان ابن القاسم وابن وهب رويا عن مالك : ان الهلال اذا رآه اهل البصرة ثم بلغ ذلك اهل الكوفة والمدينة واليمن لزمهم الصوم او القضاء ان فات الاداء ، فمالك اعتبر ان هذه البلاد متقاربة وان الرؤية في احدها تستلزم الرؤية في الآخر الا اذا كان غيم .

وقياسا على هذه الفتوى وهي المشهورة في المذهب قرر شيخنا العلمي رحمه الله انه اذا كان بين بلد الرؤية وغيرها خمسون مرحلة فاقل صح النقل وان كان اكثر فلا نقل ، وخمسون مرحلة تساوي : 2226 كيلو متر ، وتمتد شرقا وغربا شمالا وجنوبا لقول القصار ، والمشهور والعموم الا في البعد المفرط .

وهذا مع وجود الغيم في غير بلد الرؤية ، اما اذا وجد الصحو فينبغي الاحتياط ، وقد ورد انه في آخر رمضان كان غيم بالمدينة فاصبح الناس صياما فجاء ركب من آخر النهار فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم انهم راوا الهلال امس عشية فامر الناس ان يفطروا ، وفي رواية وان يخرجوا الى عيدهم من الغد .

وقال ابن رشد في البداية وقد روي عن مالك انه لا تقبل شهادة الشاهدين الا اذا كانت السماء مغيمة هـ .

سادسا : قد بينا في تعليقنا على التقويم الهجري الموحد انه لا ينبغي اعتماده لبنائه على اساسين لا تمكن معهما الرؤية بالعين المجردة ، ولعدم اعتبار لجنته اختلاف المطالع ، فليراجع مع بيان حقيقة اول وبيان حقيقة ثان في رد ما قالته مجلة الهداية التونسية في شأن تعليقنا المذكور .

وفي الختام انبه على ان اول شعبان 1404 بالرؤية البصرية المحققة والتي لا تتنافى مع الحساب القطعي هو يوم الخميس 3 مايه 1984 ، وذلك من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، ولا يصح ان يكون يوم الاربعاء (اولا) فان الاذاعة المغربية نشرت في الساعة الثامنة وعشر دقائق مساء يوم الاربعاء 30 رجب 1404 موافق 2 مايه 1984 بلاغا من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تعلن فيه انها اتصلت بجميع قضاة ونظار المملكة فاكدوا لها جميعا عدم ثبوت رؤيته مساء يوم الثلاثاء 29 رجب 1404 موافق 1 مايه 1984 ، وبناء على ذلك فيوم الاربعاء هو الثلاثون من رجب ، ويوم الخميس 3 مايه 1984 هو اول شعبان 1404 ، واذا لم ير في المغرب كله مساء يوم الثلاثاء فكيف يمكن ان يرى في غيره من البلاد الشرقية .

(ثانيا) : اجتماع القمر بالشمس وقع صباح يوم الثلاثاء المذكور في الساعة الثالثة و 47 دقيقة والبعد بين النيرين سبع درج ونصف تقريبا ودقائق المكث 29 دقيقة ، وهذه الحدود لا تمكن معها الرؤية بحال بل هي من قبيل المحال ، وعليه فما في التقويم الهجري الموحد من ان اول شعبان 1404 هو يوم الاربعاء المذكور هو باطل ولا يصح بحال .

اما شهر رمضان 1404 فسيكون اوله بالمغرب وغيره من الاقطار القريبة منه يوم الجمعة فاتح يونيه 1984 لتوفر حدود الرؤية مساء يوم الخميس 29 شعبان 1404 موافق 31 مايه 1984 لان اجتماع القمر بالشمس يقع في الساعة 16 و 49 دقيقة من يوم الاربعاء 28 شعبان 1404 ، والبعد المطلق 14 درجة وثماني دقائق ، ودقائق النور 54 دقيقة وقوس الرؤية 12 درجة ودقيقتان ، ودقائق مكث الهلال ساعة وخمس دقائق ، وهذا بالنسبة لطول وعرض مراكش بالمغرب ، اما الاقطار المتوغلة في الشرق فتقصر فيها تلك الحدود عما ذكر ، فلهذا تكون رؤيته مساء يوم الخميس 29 شعبان 1404 في ماليزيا مثلا غير محققة ، وعليه فاول رمضان هناك يمكن ان يكون يوم الجمعة ، ويمكن ان يكون يوم السبت حسب الرؤية البصرية .

واما اول شوال 1404 فهو يوم الاحد فاتح يوليه 1984 ، وذلك من اقصى المشرق الى اقصى المغرب لان لاجتماع القمر بالشمس يقع في الساعة الثالثة و 20 دقيقة صباح يوم الجمعة 29 رمضان 1404 ، ودقائق النور 36 دقيقة باعتبار مراكش ، وتكون انقص باعتبار البلاد الشرقية عنها ، وقد تقدم قول ابن الشاطر ، فان قل قوس النور صعب من جهة قلة الضوء ، وعليه فما في التقويم الهجري الموحد من ان اول شوال 1404 هو يوم السبت 30 يونيه 1984 هو غير صحيح ، فلا ينبغي اعتباره بحال او لعدم امكان الرؤية مساء يوم الجمعة قبله ، وثانيا حيث قصد تعميم ذلك على جميع اهل الارض ، مع ان الرؤية البصرية انما تكون محققة في العالم الاسلامي مساء يوم السبت 30 رمضان 1404 ، فلهذا يكون اول شوال 1404 في العالم الاسلامي كله يوم الاحد فاتح يوليه 1984 لا يوم السبت .

واما اول ذي الحجة 1404 فهو يوم الثلاثاء 28 غشت 1984 ، وذلك باعتبار المغرب وما قاربه من الاقطار ، لان اجتماع القمر بالشمس يقع في الساعة 19 و 27 دقيقة من يوم الاحد 28 ذي القعدة 1404 موافق 26 غشت 1984 ، والبعد المطلق مساء يوم الاثنين 29 ذي القعدة 1404 يكون 14 درجة و 28 دقيقة ، ودقائق النور 58 دقيقة ، وقوس الرؤية 11 درجة و 13 دقيقة ، ودقائق مكث الهلال 54 دقيقة و 28 ثانية ، وهذه الحدود باعتبار طول وعرض مراكش ، اما الاقطار المتوغلة في الشرق فتنقص فيها تلك الحدود عما ذكر ، وعليه فيحتمل ان يرى الهلال في ماليزيا والصين مثلا يوم الاثنين 29 ذي القعدة 1404 ، ويحتمل ان لا يرى الا في مساء يوم الثلاثاء بعده .

نطلب الله ان يوفق الجميع للعمل بالرؤية البصرية المحققة حتى لا يبقى خلاف بين المسلمين في اوائل الشهور القمرية الا ما يوجبه اختلاف المطالع ، وهو الاختلاف بيوم في بعض الاحيان ، ويكون المتقدم بذلك اليوم من كان غربيا ، لا من كان شرقيا كما علمت من الامثلة السابقة والله الموفق .

محمد ابن عبد الرازق

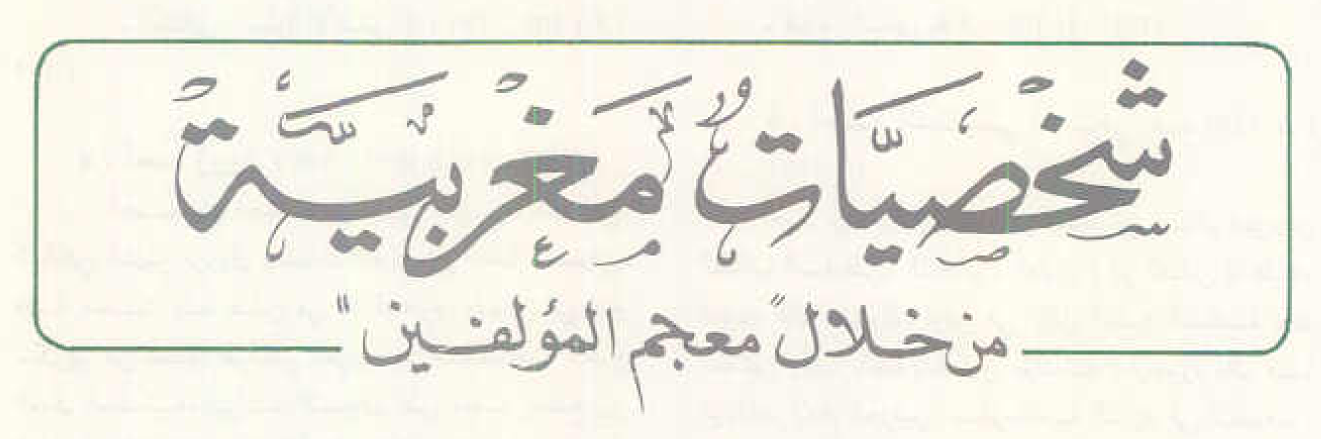
من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

أما الآن فنحن نحارب التحريف والانحراف والبدع في كل منعطف من منعطفات أزقتنا، نحاربها في كل المنشورات التي تدخل الى المغرب بأي لغة دخلت.

فلذا يجب علينا أن نعالج هذا الموضوع لا بأخذ العصا والصياح في الأزقة أو المنتديات فاللهم هذا منكر والجهر بإقامة جماعات للهجرة والتكفير أو التكفير والهجرة أو ما شابه ذلك أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكيفية عشوائية.

علينا أن نقرب الشقتين، شقة الدين من شقة المستهلكين لهذا الدين، ولا يمكننا أن نقرب الشقة بينهما إلا إذا كونتم أنتم العلماء الجسر السليم الذي يربط بينهما، ولا يمكنكم أن تكونوا ذلك الجسر السليم إلا أولا، إذا حصرتم مهمتكم في الأول عند نقطتين مهمتين:

أولا : لأن درء المفسدة يسبق جلب المصلحة إماطة الأذى عن الطريق، وما هي إماطة الأذى عن الطريق في هذا الباب، كلما من شأنه رأيتم أنه يمكن أن يكون خطرا على حسن العبادات أو إتقانها أو معرفتها أو تطبيقها أو كلما من شأنه أن يزحزح المسلم عن فضيلته وعن أخلاق دينه. عليكم أن تحاولوا إماطته، وهذه الاماطة تكون أولا بالتبشير وبالوعظ لا بالتنفير والقهر ولأن المهم حينما يلتقي بكم مسلم هو أن يرجع بعد لقائه بكم مقتنعا لا خائفا أو منافقا أو مستعملا للرياء.



للأستاذ مصطفى الشليح

(1)

احتفل محمد رضا كحالة في كتابه « معجم المؤلفين » بشخصيات مغربية تتعدد اهتماماتها، وتتوزع بين علوم شرعية وأخرى علمية وأدبية، ونظرا لكون الباحثين في الأدب المغربي يلاقون عنتا في تصفح الكتاب بأجزائه الخمسة عشر حتى يحصلوا على ترجمة شخصية من الشخصيات، فقد ارتأيت أن اعمل على تخريج هذه الحيوات، وتقديمها للقراء في مقالات مسلسلة تعميما للفائدة، وتيسيرا للعملية العلمية، وتوفيرا للوقت والجهد اللذين ينفقهما أولئك الباحثون. وقد تحريت التأني في إنجاز ذلك، فنقلت بأمانة ما كتبه الأستاذ كحالة دون أن « أتدخل » ـ وإن كان تدخلي لن يضيف شيئا لكوني ما زلت في أول المسار ـ محتفظا بنفس الرموز التي قدمها الكاتب، وهي كالتالي :

خ : مخطوطة

ط : مطبوعة

م : مجلات

ج : جرائد

س : مجلد

ع : جزء.

وما أضفته هو إثبات الصفحة والجزء في أسفل كل ترجمة.

1 ـ **ابراهيم السنوسي** : (.... 1304 هـ) (.... 1887م)

● ابراهيم بن إدريس السنوسي، الفاسي الحسني، المالكي ولد بفاس، ثم انتقل إلى الأسكندرية، ثم إلى القاهرة، وتوفي بها، من تصانيفه : سيف النصر بالسادة الكرام أهل بدر نظما ونثرا :

ط : البغدادي : هدية العارفين 1 : 44 (1 : 11)

2 ـ **ابراهيم المغربي** (كان حيا قبل 1068 هـ) (.... 1658 م)

● ابراهيم بن محمد المغربي المالكي طبيب صنف في ألفاه.

ط : بروكلمان 2 : 465 (1 ـ 107)

3 ـ **أحمد الشدادي** (.... 1146 هـ) (.... 1733 م)

● أحمد بن محمد الشدادي، الحسني، الإدريسي (أبو العباس) المفتي، القاضي، العالم في التفسير والحديث والفقه والنحو، توفي بفاس في 15 جمادى الثانية، من مؤلفاته فتاوى لم تجمع، شرح لامية الزقاق، تقييد على ابن عاصم، وتقييد على عمليات عبد الرحمن الفاسي.

ط : ابن زيدان : أخبار مكناس 1 : 341 ـ 343.
ـ الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 46
ـ الكتاني : سلوة الأنفاس 3 : 196 ـ 197 (1 : 154)

4 ـ أحمد زروق (846 ـ 899) (1442 ـ 1493)

أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي، الفاسي، المالكي الشهير بزروق (شهاب الدين أبو الفضل) صوفي، فقيه، محدث ولد بفاس في 28 المحرم، وتوفي في صفر بتكرين من عمل طرابلس الغرب. من مؤلفاته : شرح الحكم العطائية، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة، اغتنام الفوائد في التنبيه على معاني القواعد للغزالي، شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف، وله نظم.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية
ط : ابن مريم : البستان 45 ـ 50.
ـ التنبكتي : نيل الابتهاج 84 ـ 87.
ـ الكتاني : سلوة الأنفاس 3 : 183 ـ 184.
ـ الكوهن : طبقات الشاذلية الكبرى 123 ـ 126.
ـ حاجي خليفة : 333 ـ 661 ـ 662 ـ 1958.
ـ البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 97 ـ 370 ـ 375 ـ 2 : 18 ـ 124 ـ 175 ـ 242 ـ 274 ـ 343 ـ 521 ـ 526 ـ 546 ـ 721.
ـ سركيس : معجم المطبوعات 386. (1 : 155)

5 ـ أحمد الشنقيطي (1289 ـ 1331 هـ) (1872 ـ 1913)

أحمد بن الأمين الشنقيطي، عالم، أديب، لغوي توفي بالقاهرة في 18 رمضان، من مؤلفاته : الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، طهارة العرب، المعلقات العشر وأخبار قائليها. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، وله شروح على ديوان الشماخ ابن ضرار، وديوان طرفة بن العبد، وأمالي الزجي.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية.
ط : سركيس : معجم المطبوعات 1148 ـ 1149
ـ فهرس دار الكتب المصرية 2 : 108 ـ 3 : 205 ـ 5 : 504
ـ فهرس التيمورية 3 : 166 (1 : 171)

6 ـ أحمد الشنقيطي : (توفي بعد 1250 هـ) (.... 1843 م)

أحمد بن بابا بن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن ابن الطالب الشنقيطي، التيجاني، العلوي (أبو العباس)، فقيه، أديب، عالم مشارك، توفي في أوائل العشرة السادسة بعد المائتين وألف بالمدينة. من مؤلفاته : أرجوزة نظم فيها الورقات لإمام الحرمين، منظومة منية المريد في التصوف.

ط : الأزهري، اليواقيت الثمينة 1 : 70 ـ 72
ـ البغدادي : هدية العارفين 1 : 187
ـ سركيس : معجم المطبوعات 649 ـ 650
ـ قنديك : اكتفاء القنوع 499
ـ الزركلي : الاعلام 1 : 98 ـ 99. (1 : 172)

7 ـ أحمد الدلائي : (.... 1051 هـ) (.... 1641 م)

أحمد بن أبي بكر الدلائي، الحارثي، عالم، أديب، من مؤلفاته : شرح على مختصر ابن الحاجب، وتقاييد كثيرة في فنون شتى، وله شعر.

ط : ـ الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 33 (1 : 176)

8 ـ أحمد السلاوي : (... 1253) (.... 1837)

أحمد بن الحاج المكي، الدراتي، السلاوي المالكي (أبو العباس) محدث، فقيه. له شرح على موطأ مالك.

ط : ـ السلاوي : الاستقصا 4 : 194.
ـ البغدادي : هدية العارفين 1 : 186 (1 : 186)

9 ـ أحمد السلاوي : (1250 ـ 1313 هـ) (1834 ـ 1895 م)

أحمد بن حامد بن حماد الدرعي، السلاوي، مؤرخ، أديب. ولد وتوفي في مدينة سلا بالمغرب الأقصى. من مؤلفاته الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى في أربعة أجزاء.

زهر الأفنان من حديقة ابن الونان. وطلعة المشتري في النسب الجعفري في جزئين.

ط : مجاهد، الاعلام الشرقية 2 : 76 ـ 77 (1 : 187)

9 ـ أحمد السلاوي : (1250 ـ 1315 هـ) ـ (1835 ـ 1897 م)

أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الدرعي، السلاوي، (شهاب الدين، أبو العباس) مؤرخ، ولد في 22 ذي الحجة، وتوفي في 11 جمادى الأولى بسلا في مراكش. من مؤلفاته : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، زهرة الأفنان من حديقة ابن الونان، وطلعة المشتري في النسب الجعفري.

ط : ـ زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية 4 : 292.
ـ سركيس : معجم المطبوعات 1040.
ـ الزركلي : الاعلام 1 : 118.
ـ طرازي : خزائن الكتب العربية 1 : 372 ـ 373..
ـ فهرس دار الكتب المصرية 3 : 179، 8 : 178
ـ المكتبة البلدية : فهرس التاريخ 11
ـ فنديك : اكتفاء القنوع 423
ـ البغدادي : إيضاح المكنون 1 : 72.
ـ بروكلمان 2 : 510.
ـ برفنصال : موسوعة الإسلام 4 : 489 ـ 490. (1 ـ 214).

10 ـ أحمد بن سودة (1241 ـ 1321 هـ) (1826 ـ 1903)

أحمد بن الطالب بن محمد بن محمد (فتحا)... ابن سودة المري، (أبو العباس)، فقيه، محدث، مفسر، أصولي. ولد في 19 رجب وتولى القضاء، وتوفي بفاس في 10 رجب، من تآليفه : حاشية على صحيح البخاري، شرح الشمائل، وشرح على الهمزية.

ط : ـ الفاسي : رياض الجنة 1 : 99 ـ 103
ـ ابن زيدان : أخبار مكناس 1 : 456 ـ 463 (1 : 255)

11 ـ أحمد السلوي (... 1163 هـ) (...1750 م)

أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي السلوي، (أبو العباس). عالم. توفي بسلا. من آثاره : تحفة الزائر في ترجمة فخر سلا أبي العباس ابن عاشر، ثبت، وله كناشة.

ط : ـ الكتاني : فهرس الفهارس 2 : 217 ـ 218.
ـ بروكلمان : 2 : 686 (1 : 257).

12 ـ أحمد الفاسي : (... 741 هـ) (.... 1340 م)

أحمد بن عبد الرحمن التادلي، الفاسي، فقيه، أصولي، مشارك في الأدب، والعربية والحديث، توفي بالمدينة. من تصانيفه : شرح على رسالة أبي زيد، وشرح عمدة الأحكام في الحديث.

ط : ابن فرحون : الديباج 81 (1 : 265)

13 ـ أحمد الجراوي : (..... 609 هـ) (....1212 م)

أحمد بن عبد السلام الجراوي، نزيل مراكش (أبو العباس) شاعر، أديب، أصله من تادلة قرب تلمسان وفاس، سكن مراكش، ودخل الأندلس مرات، وتوفي باشبيلية عن سن عالية، من آثاره : ديوان شعر، وصفوة الأدب ونخبة كلام العرب، وتعرف بالحماسة المغربية.

(خ) : الصفدي : الوافي 6 : 39.
ط : الزركلي : الاعلام 1 : 145. (1 : 273)

14 ـ أحمد الريفي : (توفي حوالي 1344 هـ) (....1925 م)

أحمد بن عبد السلام بن طاهر العلمي، الريفي، الصفصافي، أبو العباس، مقرئ من أهل الريف بالمغرب الأقصى، وقتل بالحرب الريفية. من تصانيفه : تحفة الأبرار، ورسالة تشمل على أسانيده في القراءات.

ط : ـ الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 207 ـ 208.
ـ الزركلي : الاعلام 1 : 145 ـ 146. (1 : 274).

15 ـ أحمد التستوي : (1127 هـ) (.... 1715 م)

أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن مبارك التستوي. أديب، صوفي، توفي في رجب، من مؤلفاته : نظم ممتع الأسماع وشرحه، نظم رجال التشوف وشرحه. كتاب النزهة ضمنه رسائله في جزئين، وديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام.

ط : ـ ابن زيدان : أخبار مكناس 1 : 329 ـ 334 (1 : 279).

16 ـ أحمد الفاسي : (1050 ـ 1133 هـ) (1640 ـ 1721)

أحمد بن عبد القادر بن علي بن أحمد بن محمد القادري، الفاسي، الحسني، فقيه، أديب، مؤرخ. توفي في 19 جمادى الأولى، من آثاره : منظومة فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة، أجوبة في علم التاريخ، ورحلة سماها نسمة الآس.

ط : ـ الكتاني : سلوة الأنفاس 2 : 353 ـ 354.
ـ الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 43 ـ 44.
(1 ـ 280)

17 ـ أحمد الزرهوني : (توفي بعد 1220 هـ) (.....1805)

أحمد بن عبد الكريم المعروف بمهيرز الزرهوني، من الرواة له فهرسة في مجلد.

ط : الكتاني : فهرس الفهارس 1 : 416.

18 ـ أحمد بن عبد المالك : (.... 1241 هـ) (.... 1826 م)

أحمد بن عبد المالك الحسني، العلوي، قاضي الجماعة بفاس ومكناس، له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة والتاريخ والأدب توفي بمكناس لعشر ليال خلت من رجب، له مجموعة خطب.

ط : ـ ابن زيدان : أخبار مكناس 1 : 349 ـ 353.
ـ الزركلي : الاعلام 1 : 156 (1 : 302).

19 ـ أحمد الفاسي : (1063 ـ 1146 هـ) (1653 ـ 1733 م)

أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، النجار، الأندلسي، الفاسي (أبو العباس) صوفي، مشارك في بعض العلوم. من تصانيفه : جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي، شرح الحزب الكبير للشاذلي، شرح القصيدة الهمزية في المدائح النبوية، عوارف المنة فيمن نشهد له بالجنة، وحاشية على الكلاعي.

ط : ـ البغدادي : هدية العارفين 1 : 171.
ـ الأزهري : اليواقيت الثمينة 45 ـ 46.
ـ البغدادي : 1 : 363، 401. 2 : 130، 233، 547 (1 : 307)

20 ـ أحمد الشدادي : (.... 1163 هـ) (..... 1750 م).

أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشدادي، الفاسي (أبو العباس)، من أهل الوثائق والحساب، ولي قضاء فاس وتوفي بها. من تصانيفه : تقاييد في التاريخ والأحداث، وحاشية على الشيخ ميارة على الزقاقية.

ط : ـ الكتاني : سلوة الأنفاس 3 : 198
ـ الأزهري : اليواقيت الثمينة 1 : 52 ـ 53 (1 : 318).

(يتبع)

دراسات في الأدب المغربي (١٤) :

أبو حفص عمر الأغماتي

للأستاذ عبد الكريم التواتي

لم يشهد تاريخ الادب المغربي ، في مراحله الاولى ، ومنذ عهد الفتوح الى بداية الموحدين فترة حافلة بفطاحل المفكرين ورجال الثقافة والادب مثل فترة الموحدين ، فقد حفلت هذه الحقبة بعدد وافر من رجال الفكر ذوي الاختصاصات المتمايزة تبعا لتعدد المجالات الثقافية المتاحة ، والتي احتضنتها اهتمامات الناس على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم الاجتماعية ، وعلى راسهم الدولة ، ونظرا لتباين تلك المجالات ما بين شرعية وعلمية وفلسفية وادبية .

فاذا كانت لفظة العلم والعلماء الى ما قبل تقعيد دولة الموحدين تعني نوعا من المشاركة العامة بين مختلف المعلومات المتداولة ، وبالاخص ما يتصل بالشريعة : من علوم التفسير والحديث والفقه واصوله وعلوم اللغة والقواعد بوصفها ادوات لفهم علوم الشريعة فحسب ، او بوصفها ــ حسب تعبير اولئك القوم ــ علوما آلية ، فان مفهوم تلك اللفظة في عهد الموحدين مطط وعمق ، واوشك ان يكون موسوعة لم يعد في مقدور احد استيعاب جميع ما تضمه بين دفتيها ، مما اضطر معه المشتغلون بالعلم والمهتمون بالفكر والثقافة الى ان يمتهنوا نوعا من التخصص .

ويتجلى هذا الاتجاه التخصصي بمراجعة خاطفة لفهارس كتب تصنيف الرجال لذلك العهد ، فقد كان هناك من العلماء من كان لا يهتم بغير التفسير ــ مثلا ــ كعبد الجليل القصري ، او بغير علم الحديث كالقطان وابن قاسم التميمي وابن دحية . او بغير علم القواعد والآلة كابن معط وابي موسى الجزولي ، او بغير التصوف كعبد السلام بن مشيش ، وابي الحسن المسفر ، وابي العباس السبتي ، او بغير الفلسفة وعلم الكلام كالسلالجي وابن الكتاني ، او بغير الطب كيوسف بن سمعان . او بغير التاريخ كعبد الواحد المراكشي . أو بغير الجغرافيا كالادريسي . او بغير الرياضيات وعلوم الهيئة كأبي علي الحسن المراكشي مؤلف كتاب (المبادى والغايات في الميقات) وكابن الياسمين صاحب ارجوزة الجبر ، او بغير علوم الفقه واصوله ، وهؤلاء كثير .

فكان طبيعيا ــ أمام موجات التخصص هذه ــ ان تجد الحياة الادبية التي هي الصورة المرئية المحسوسة للامة والمجتمع وتراثهما الباقي الذي تتناقله الاجيال على مر الدهور والعصور ، ان تجد اسواقا رائجة مربحة تجتذب اليها المرهفي الاحاسيس والجياشي العواطف ، وتستهويهم بما تتيحه لهم من امكانيات روحية ومادية مغرية ، ليعبوا من زلالها ، ويطعموا من ثمارها ، ويتفيأوا ظلالها الوارفة ثم ليكونوا سدنة لها وحجابا ، ثم في نهاية المطاف لينكفئوا على مختلف ابعادها ومعطياتها يدرسون ما اتاحته من اتجاهات وتيارات ، فاذا هم يجدون انفسهم وقد تبلورت الرؤيا لديهم ، يتخصصون في الاهتمام بهذا النوع او ذاك الجانب من هذا الفن او ذاك .

وهكذا قامت ـ الى جانب المدارس التشريعية والعلمية ـ مدارس ادبية ، في مختلف فنون الآداب ومجالاته ، وظهرت ـ كمميزات العصر ـ في هـذا الميدان المقامات والمناظرات والرحلات والتوقيعات، بينما اختفت ـ تقريبا ـ الرسائل والخطب والتاليف، وكل ذلك فيما يخص المجال العام .

بينما امتاز العصر من حيث الاسلوب الادبـي ـ وفي ميدان النثر خاصة ـ بالسجع المطبوع حينا، والمتكلف احيانا . وامتاز من حيـث المضمـون باستقطاب الروح الدينية ، والاحتفاء بعلوم القرءان وبالتصوف والابتهالات .

فكان (ميمون الخطابي) شاعـر النبويـات و (ابن حبوس) شاعر الحكمة و (الجراوي) شاعر المديح ووصف الملاحم الحربية ، و (ابن العابـد الفاسي) شاعر الصناعة البديعية والوصف الهقهاف، و (سليمان الموحدي) شاعر العاطفـة الذاتيـة والفخر ، و (ابن الياسمين) شاعر الرياضيـات ، وكان (ابو حفص عمر الاغماتي) الذي نخصص لـه هذه الكلمات ما يمكن ان نطلق عليه ـ رغم اشتغاله بالقضاء واهتمامه بالفقه والفتيـا ـ شاعر الغـزل والتشبيب في دولة الموحدين .

وابو حفص عمر هذا ، هو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي الاغماتـي ، ولد ب (اغمات) حوالي 530 هـ حسب تخمينات بعـض الدارسين المحدثين ، اما المراجع القديمة التـي تناولت الرجل وآثاره فلم تشر الا الى تاريخ وفاتـه التي كانت سنة 603 هـ او سنة 604 كما في جذوة ابن القاضي الذي يحدد وفاته بالخامس والعشريـن من ربيع الاول ، بمدينة (اشبيليا) بالاندلس ، حيث كان يتولى قضاءها للمنصور الموحدي ، ولكنـه اذا كان من حيث المولد اغماتيا فانه كان فاسيا اقامـة ونشاة ، ومن فاس انطلقت شهرته العلمية .

ثم هذا الذي نترجم له ، ليس هو ابا حفـص عمر بن زيد الهنتاتي الذي وزر ليعقوب بن ابي يوسف ابن عبد المومن بن علي ، والذي كانت بينـه وابـي العباس الجراوي شاعر البلاط الموحدي الرسمـي مناقشات حادة تطورت الى شبه عداء مستحكم ، وان يكن هذا الهنتاتي يعد ايضا من شعراء هذه الدولـة ومادحيها ، من اشهر مدائحه في الموحدين قصيدته الرائية التي مطلعها :

الا هكذا تبنى العلى والمآثـر
وتسمو الى الامر الكبير الاكابر

وحياة ابي حفص عمر الاغماتي الثقافية ابتدات بتتلمذه على جده لامه : ابي محمد عبد الله بن علـي اللخمي ، الذي اجاز له في صغره ، وروى الحديث عن ابي مسرة وابن الرملة ، ودرس اللغة والقواعـد على ابي بكر بن طاهر ، كما اخذ عنه في نفس الوقت كتاب (سيبويه) تفهما ودراية .

وتتحدث المراجع التاريخية التـي تناولتـه بالحديث ـ وخاصة (الحلة السيراء) لابن الابـار ، و (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة) لابن سعيد ابي الحسن علي بن موسى المغربـي الاندلسي ـ بان الرجل حقق في الميدان العلمـي مكانة مرموقة اهلته لان يشار اليه بالبنـان ، وفي مدينة فاس التي كانت يومئذ مأوى فطاحل العلماء وكبار الحفاظ ، وعظماء الفقهاء ، وجهابذة الادباء في مختلف العلوم والفنون ، فيقول عنه ابن الابار : (كان فقيها علامة ، وفي النظم والادب اندر علامة ، جل بين قومه بمدينة فاس مقداره ، وقضيت بها في الجـاه والمال اوطاره ، الى ان كان هناك من اهل الفتيا ، ثم ترقى الى الخطابة ، وصار ذا ابرام وامضاء) .

فكانت الدولة لذلك ، ولكونه احد الشعراء الذين وقفوا مديحهم عليها ، توليه عناية خاصة ، وتحلـه مكانة ممتازة ، وكان لعهده احد جلساء اصحاب الامر وارباب العليـا .

بل وحتى عند ما تآمر عليه حساده بزعامة ابي بحر صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي المرسي صاحب كتـاب (زاد المسافر والرحلة) وصديق ابن بقي الذي لـه معه مكاتبات ، والذي عاش ما بين (561 ـ 598 هـ)؛ وتقولوا عليه بانه غير محافظ على الناموس الشرعي لكثرة تغزله واشتهار مقطعاته ، وانهماكه في العشق ، ورفعوا بذلك شكوى الى السلطان ، ابدت من طرف حافظ فاس (ابي موسى بن رمانة) الذي هالـه ان يفكر القاضي ابو حفص في التدخل لصالح اخيه الذي رماه بتهمة اخلاقية استوجبت عليه حد القتل ، وكان

قد تولى الحافظ ابو رملة تنفيذ ذلك الحد ، وأمر بضرب عنق اخي ابي حفص ، وحرض على القاضي ، وكتب الى السلطان يقول : (ان فقهاء فاس اجمعوا على تاخيره على الامامة والخطابة ، وولوا غيره حتى يصل الاذن العالي ، اما باستقرار الثابت او بتعويضه، أقول انه رغم هذا التآمر فان السلطان وسلطته الزمنية لعهده – تقديرا لمكانة ابي حفص العلمية ، وتقديرا لنزاهته – لم يعاملاه الا بالحسنى ، يقول ابن الابار ايضا عن ذلك : (فوصل الامر بوصول ابي حفص الى الحضرة ، فما جهل مكانه ، ولا صغر شانه، وانما ولاه قضاء اشبيليا) .

وانحدار ابي حفص من أم يحتل ابوها تلك المكانة التي كان يحتلها ابو محمد اللخمي ، قد يساعدنا على معرفة مركز صاحبنا الاقتصادي ، اذ في الوقت الذي يجمع فيه المؤرخون على نزاهته وعفته طيلة توليه مهمة القضاء ، سواء بفاس ام في اشبيليا ، ويصفون نزاهته بمثل هذه العبارات : (ومن المشهور عنه في قضائه العدل في الاحكام ، وقلة النزق عند اختلاف الخصام ، وولاه المنصور قضاء اشبيلية ، فشكرت فيها سريرته وحمدت سيرته) اذا بهم يتحدثون عنه بانه كان يرفل في بحبوحة من النعيم ، ورخاء من رغد العيش ، وكان ينعم بمباهي الدنيا ، فيمتشق المركب الفاره واللباس الفاخر ، والفراش الوثير ، والرياش والاثاث الوفير ، وكان منزله – وكما يصفه ابن الابار – كأنه الجنة ، وكان في غاية من الظرف ، اذا اقبل شمت رائحة الطيب منه على بعد ، واذا اغسلت ثيابه لا يكاد يفارقها) .

وبالمناسبة اذكر ان احد شيوخنا الاجلاء وهو الفقيه المحدث الظريف الحكيم الشريف الاصيل سيدي محمد بن الطيب البدراوي ، نقيب الاشراف العلميين – كان صورة طبق الاصل لهذه الصورة التي رسموها لابي حفص : ملبسا ومسكنا وعيشا رغيدا ومعاشرة طيبة ودماثة اخلاق ، رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته .

ونحن لا نشك في ان هذه الحياة المترفة الناعمة التي كان يحياها ابو حفص مع ما احاطها به من كل صنوف البهجة والسرور وانواع النعائم والحبور ودواعي رغد العيش ، الذي في مقدمته قرضه الشعر الغزلي الذي اوشك ان يتخصص فيه، كانت هذه الحياة من اهم الاسباب التي دفعت اولئك المنافسين الى التقول عليه واتهامه بعدم الحفاظ على الناموس الشرعي ، الذي كان يقتضي يومئذ على من يمتهنونه ان ينزووا عن المجتمعات العامة وان يتزيوا بزي خاص لباسا ومسكنا ومظهرا ونشاطا ، خاصة وقد ذيل اولئك المنافسون شكواهم من الرجل بقولهم : (بكثرة تغزله واشتهار مقطعاته ، وانهماكه في العشق) .

على اننا سنرى – فيما بعد – الى اى حد صدق هؤلاء المتقولون أو كذبوا ، وذلك عن طريق تحليل بعض آثاره الشعرية التي نجت من الاتلاف والاهمال اذ ان كثيرا من الآثار العربية الادبية – ولمختلف عصور التاريخ الادبي – ضاعت اما بسبب النسيان، كما هو الشأن بالنسبة لآثار ما قبل ظهور الاسلام في جميع البلاد العربية تقريبا ، وبعده في بعض المحيطات المتحفظة او المحافظة ، او بسبب الاتلاف المتعمد المقرون بسبق الاصرار ، كما حدث بالنسبة لكثير من اشعار شعر المنافرات الجاهلية – مثلا – وشعر المذاهب السياسية لعهد الفتنة الكبرى ، فتنة التهارش على السلطة بين عثمان وانصاره من جهة وبين معاوية وعلي من جهة اخرى ، وما واكب تلك الفتنة او جاء بعدها من احداث دموية انتقامية ، او بسبب التحوط الديني ، كما هو الشأن بالنسبة للاشعار التي كانت قيلت في مهاجمة الرسول (ص) ودعوته ، وأما بسبب الاهمال وقلة الاهتمام كما هو الشأن بالنسبة لمعظم الآثار المغربية .

اما عن مخلفات وآثار ابي حفص الاغماتي الادبية، فانه اذا كان اكثر مؤلفي رجال الطبقات يدرجون الرجل ضمن قائمة الكتاب لعصر الموحدين ، أو بالاحرى ضمن قائمة الخطباء ، لان ابا حفص وضع رسالة مطولة بعض الشيء يرد فيها على الفلاسفة ، ويطعن في معتقداتهم التي كانت تعتبر باطلة ومتجانبة مع مذهب وعقائد الموحدين ، وقد يكون وضعه لهذه الرسالة اساسا انما كان بايعاز من هؤلاء الموحدين انفسهم ، فاننا نرى نحن افضلية ادراج اسمه ضمن لائحة شعراء ذلك العصر ، لانه اذا لم يكن في الامكان – ولو الآن على الاقل – ان نجد من آثار ابي حفص النثرية سوى هذه الخطبة ، فاننا نستطيع ان نعثر من آثاره الشعرية على قطع كثيرة ، لا تعالج – فحسب – مذهبه العقدي او موقفه من الفلسفة والفلاسفة الذين كانوا مناهضين من طرف الموحدين، هذه المناهضة التي كانت قطعا سبب وضعه لتلك

الرسالة او الخطبة ، وربما لنفس السبب قرئت حتى على المنابر ووزعت بصورة واسعة الانتشار في منشورات او ملصقات لاثارة اهتمام الراي العام وتحذيره من مغبة الانصياع لاوامر الفلاسفة او الانصات لترهاتهم بله السير على مهيعهم الضال ، اقول ان هذه الاثار الشعرية لا تعالج فحسب هذه النواحي من حياة الرجل ، وانما تعالج ذلك وتعالج في نفس الوقت القضايا الخاصة والذاتية لابي حفص ، وتعالج بالتالي بعض اهتمامات عصره ومجتمعه .

ثم اذا كان ابو حفص قد اسهم – تقريبا – في مختلف فنون الشعر والمتباين من اتجاهاته – وكما سنرى عند تصنيف القطعة الشعرية التي بين ايدينا – فان شعره العاطفي يفوز بحصة الاسد بالنسبة لباقي اهتماماته الادبية .

فمن بين القطع السبع التي اوردها له ما بين ايدينا من مؤرخي آثاره ، نجد اكثر من نصفها في الغزل ، ومنها ما هو في الغزل المكشوف ، مما لا يتناسب مع مركزه العلمي والاجتماعي كقاض ، او على الاقل لا يحسن من مثله نشره على الجمهور ولا يجمل البوح به من طرف شخصية مثله ، المفروض فيها ان تحمي الاخلاق – او ماتعارف المجتمع على اعتباره اخلاقا – وترعى الفضائل ، وتطارد الرذائل ، مع العلم ان كل هذه الاشياء نسبية الاعتبار تخضع للزمنكية ، اي للزمان والمكان بل لمستويات المجتمعات تقدما وانحطاطا ، انفتاحا وانغلاقا .

ولعل هذا الاعتبار هو الذي دعا مؤلفي الطبقات العاطفية على عهد ابي حفص الى ادراج اسمه ضمن الخطباء ، ودعاهم بالتالي الى ايراد نصوص خطبته المناولة للفلاسفة والتي سنورد نتفا منها فيما بعد . بينما نجد له قطعتين في الحكم والوصايا ، وقطعة في مدح مذهب الدولة ورئيسها لعهده ، واخرى في مدح المنصور وتهنئته بالنصر في موقعة (الارك) ثم قطعة في الفخر ، ثم ابيات منثورة هنا وهنا ، مع التذكير بان اغلبها في الغزل والتشبيب .

والملاحظة العامة على آثاره تلك ، انها من حيث الصياغة والاسلوب : تمتاز بالوصف الفني للكلمات ، وبالجرس الموسيقي الساحر الوقع ، كما تمتاز بالبديع المطبوع .

واما من حيث المضمون : فان المعاني التي حاول معالجتها فقد سبق اليها الا في الاقل النادر ، بحيث ان اهتمامه بالاداء الفني كان اكثر بكثير من اهتمامه بالموضوع .

على انه في القطعة الميمية التي تناول فيها تحليل المذهب العقدي للموحدين ومحاولة استقلالهم لبعض الميادين ، او بتعبير ادق لبعض المبادىء الشيعية ، يلاحظ انه بذل جهودا محسوسة لتحوير تلك المبادىء الى ما يتفق كثيرا مع مذهب اهل السنة ، مما قد يشعر انه تراجع في الموقف ، او محاولة للتنزيه ، فهو مثلا لا يلوح بعكرة الشيعة تلويحا مجردا او بدون قيد ، ولكنه قرنه بسور (حاميم) السبع ، وصاغه في قالب ديني ، نافيا في نفس الوقت ان يكون الموحدون من دعاة التنجيم ، ثقة بوعد ربهم ، وايمانا بان القرءان وحده هو الحكم الفصل او الفيصل ، وان الموحدين به يحكمون وبه محكومون . ونورد فيما يلي هذه القطعة الميمية ، منبهين الى انه كان قد انشدها يمدح ابا يعقوب يوسف بن عبد المومن قال :

الله حسبك والسبع الحواميم
تحوي بها سبعة ، وهي الاقاليم
سبع (المثاني) التي لله قمت بها
عليك من سرها معنى وتقديم
وانت بالسور السبع الطوال،على
كل الورى حاكم بالله محكوم
وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
بوعد ربك ، هيهات التناجيم
تسمو نفس على السبع الشداد سمت
فينا ، وثم لها زلفى وتحكيم
فؤاده بضياء العلم منشرح
ووجهه بجمال النور موسوم
وكفه ، بطنها بالخير منهمر
وظهرها لعهود الله ملثوم
العلم قيمته ، والحلم شيمته
طابت ارومته ، والنفس والخيم
يا سامعين اماديح الامام الا
فاجثوا على الركب الاعظم،او قوموا
خذ كاس لفظي دهاقا من مدائحه
فيها الحقائق لا لغو ولا تاثيم
ندعو له بدلا من مدحه لقصـ
ـور المدح عنه وفيه العذر معلوم

عز الامام فلا تضرب بـه مثـلا
من ذا يقاس به ؟ والمثل معدوم
اعطى الورى فضل ما اعطاه خالقه
عليه من ربه بشرى وتسليم
صل بالصلاة عليه صدق مدحته
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم

وحين واتت الفرصة ابا حفص لمدح المنصور ابن ابي يعقوب ، وذلك حين انتصر في موقعة (الاراك) سنة 591 هـ ضد (الفونس الثامن) ملك (قشتالة) وكان الحماس المذهبي قد فتر نسبيا عما كان عليه قبل ، او لم يعد يأخذ من الدولة احدى اهتماماتها الاساسية ، تخلى نهائيا — وحتى عن طريق الايماء او الاشارة — عن معالجة وتناول القضايا العقدية والمذهبية ، او هذا على الاقل ما تثبته الابيات التالية التي اخترناها من قصيدته التي انشدها بالمناسبة اي موقعة (الاراك) تلك ، قال :

اطاعتك الذوابل والشفار
ولبى امرك الفلك المدار
بيشرى مثل ما ابتهجت رياض
وسعد مثل ما وضح النهار
وفتح مثلما انفتحت كمام
وشقت عن صدورها صدار
وامال كما ملت ظلال
وافعال كما مدت بحار
واعلام بنصرك خافقات
لها في كل جو مستطار
ليهني ارض اندلس بدور
من السراء ليس لها سرار
ومنها في وصف هلع الروم وهزيمتهم :
وكم راموا الفرار من الرزايا
ولكن اين من اجل فرار
تدار عليهم حمر المنايا
بكأس فيه عقر لا عقار
اذا ما الليث اصبح في محل
فما لطريدة فيه قرار

اما شعره الحكمي فتبدو عليه البساطة مما يجعله اقل بكثير من شعر المتنبي او ابي العتاهية مثلا ، في موضوع الزهديات فهو صحوات عابرة ، ونفثات تمس القلب ، وقد تهز العاطفة ، ولكن لا تخاطب العقل بما يحمله على امعان النظر واطالة التفكير .

وله في هذا الموضوع — فيما وقفنا عليه — قطعتان ، صاغ فيهما حكمته ووصاياه من حيث قيمة الدنيا واعراضها ، ووزن ذلك بميزان التقوى ، ومن حيث قيمة العلم واستعمال الفكر او من حيث فلسفته تجاه قضية الانسان والحياة ، قال ابو حفص للرؤيا البصيرية ، لا البصرية ، وللادراك القلبي لا الحسي :

بقلبك يا غافلا فانظر
وعينيك غمضهما تبصر
اذا ارسل الطرف هام الفؤاد وبعض المرائي عمى المبصر
وآفة قلب الفتى عينيه
فان ترع قلبك لا تنظر

ويقول في الموازنة بين اعراض الدنيا والتقوى ، وبين العلم الباطني الحقيقي ، وذلك الظاهرة المريء السطحي :

العلم يكسو الحلل الفاخرة
والعلم يحمي الاعظم الناخرة
كم ذنب اصبح راسا به
ومذنب ابحره زاخرة
ما شرف النسبة الا التقى
اين تهيم الانفس الفاخرة ؟
من يطلب العز بغير التقى
ترجع اليه نفسه داخرة
اعرض عن الدنيا تكن سيدا
بل ملكا فيها وفي الآخرة

ونلاحظ انه في هذه الابيات الاخيرة قد التزم ما لا يلزم ، حين اتى بكل القوافي على وزن (فاعولة) والاحرف الثلاثة الاخيرة كلها من شكل واحد .

ونختم هذه المختارات من آثار ابي حفص بفقرات من خطابه التاريخي الذي سجل فيه موقف دولة الموحدين من الفلسفة والفلاسفة ، مع محاولة اثارة الرأي العام الشعبي ضدهم ، عن طريق التنديد بهم دينيا ، وقد حقق ابو حفص في محاولته اداء فنيا رائعا ، وابان عن مدى كفاءته العلمية ومقدرته على الاستدلال بالقرءان حين يحسن هذا الاستدلال ويستصوب ، قال :

(... أياكم والقدماء وما أحدثوا ، اتوا من الافتراء بكل اعجوبة ، وقلوبهم عن الاسرار محجوبة ، الانبياء ونورهم ، لا الاغبياء وغرورهم ، عنهم يتلقى ويدرك السول ، ــ عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ــ ان الدين عند الله الاسلام ، والعلم كتاب الله وسنة محمد عليه السلام ، ما ضر من وقف عندهما ، ما جهل بعدهما ، خير نبي في خير امة ، ــ ليزكيهم ويعلمهم الحكمة ــ دلهم من قرب عليه ، واختصر لهم الطريق اليه ، فما ضر تلك النفوس الكريمة ، والقلوب السليمة والالباب العظيمة ، ما زوى عنها من العلوم القديمة ، نقاهم من الاوضار والادناس ، وقال : ــ كنتم خير امة أخرجت للناس ــ كتابهم اعظم كتاب انزل ، ونبيهم أكرم نبي ارسل ، السيد الامام ، لبنة التمام ، خير البرية على الاطلاق ، بعثه ليتمم مكارم الاخلاق ، انزل الكتاب اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ــ هو الشفاء والرحمة ، وفيه العلم كله والحكمة ، معجز في وصفه عزيز في رصفه ، ــ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ــ .. الخ .

والحق ان دراسة آثار ابي حفص ممتعة وشيقة ، وبالاخص اشعاره الغزلية الرقيقة ، التي تدغدغ النفس ، وتغازل العاطفة ، وتحرك في القلب الحنين الى متع الحياة ، وايام الشباب ، فما احرانا ــ لو سمح المقام ــ بان نقف امامها لحظات نستلهمها صدق الاداء الفني ، وحرارة الشوق والهيام .

ولـه الابيـات الآتيـة :

احبابنا الالى سلفوا
بانوا ، وما منهم شوق لنا خلف
كرهت سكن البلاد بعدهم اسفا
وقد يكسر ــ بعد الجوهر ــ الصدف

ومن اظرف ما يحكون عن بداهته الشعرية ما حكاه القاضي ابو الخطاب بن خليل عن ابي عمر بن خيران المعروف بـ (قطرب) من ان القاضي ابا يوسف حجاج خرج ذات يوم من مراكش الى اغمات ، ومعه ابو حفص ابن عمر شاعرنا في حال شبابه ووسامته ، فاستقبلتهم الشمس آخر النهار بلفحها المؤثر في الوجوه ، فقال له ابو يوسف : اجز يا عمر :

فقـال ابو حفـص :

وسمتك الشمس يا عمر
سمة يبقى لها اثر
عرفت قدر الذي صنعت
فانثنت صفراء تعتذر

وأبو حفص ــ فيما يحكون عنه ــ شديد الاعتزاز بنفسه ، ولكن حلمه ينهاه عن ظلم الآخرين ما دام هو يرفض ان يظلم ، وفي هذا المعنى يقول ــ ردا على الشاعر ابي العباس الكورائي وقد حاول النيل منه ــ :

نهاني حلمي ، فلا اظلم
وعز مكاني ، فلا اظلم

ولا بد من حاسد ، قلبه
بنور مآثرنا مظلم

رحمت حسودي ، على انه
يقاسي العذاب ، وما يرحم

بغانا الحسود ولسنا كما
يقول ، ولكن لما يعلم

يقول ــ وقد اهديت اليه وصيفة ام ولده ــ :

يا مهدي الرشاء الذي الحاظه
تركت فؤادي نصب تلك الاسهم

ريحانه ، كل المنى في شمها
لولا المهيمن ، واجتناب المحرم

ما عن قلى صرف الفؤاد وانما
صيد الغزالة لم يبح للمحرم

ان الغزالة قد علمنا قبلها
سر المهاة وليتنا لم نعلم

يا ويح (عنترة) الذي شفه ما شفني
فشدا ، ولم يتكلم

يا شاة ، ما قنص لمن حلت له
حرمت علي وليتها لم تحرم

ومن كلماته الغزلية الفريدة قوله :

من لم يبت ــ والبين يصدع قلبه ــ
لم يدر كيف تفتت الاكباد

فاس : عبد الكريم التواتي

بيبليوغرافيا إسبانية حول شمال افريقيا

(1850 - 1980)

للأستاذ محمد قشتيليو

إنه كتاب لمؤلفه أضولفو خيل المستشار الثقافي بسفارة إسبانية بالرباط، كتاب ضخم يحتوي على 869 صفحة من الحجم الكبير رغم أن الكتاب باللغة الإسبانية، ترجم المؤلف إلى العربية مقدمة الكتاب وكذا تقديمة سفير إسبانيا السابق بالرباط الفونصو دي لاسيرنا.

لقد جمع المؤلف في هذا الكتاب كل ما يمكن جمعه من معلومات تدل الباحث على مراجع عن العلاقات الإسبانية - المغربية خلال قرن فأزيد من الزمن، أي من سنة 1850 م إلى سنة 1980 م مشيرا إلى المصادر التي يمكن للباحث أن ينهل منها ويستقي معلومات حول هذه الحقبة من تاريخ المغرب واسبانيا على الخصوص، وشمال افريقيا على العموم، سواء كانت هذه المراجع مخطوطات أو كتب أو مجلات أو صحف صدرت في تلك المدة من الزمن. إنه والحق يقال، عمل جبار ومضني في الوقت نفسه، وتطلب مجهودا كبيرا واستغرق زمنا طويلا وأناة وصبرا. يقول المؤلف في المقدمة من جملة ما يقول : «منذ زمن بعيد والإحساس قائم بالحاجة إلى جمع بيبليوغرافيا حول شمال افريقيا في كتاب يكون جامعا شاملا أكثر ما يمكن. إن هذا العمل لم ينجز إلى حد الآن لأسباب ربما ترجع إلى صعوبته».

ثم يقول : «إن مشروع مقاربة من بيبليوغرافيا إسبانية حول شمال افريقيا 1850 م - 1980 م يتضمن كل المساحات الجغرافية والسياسية التي تمتد من المغرب إلى مصر رغم أن المجلدات الأولى (هكذا) ربما يقصد المؤلف الجزء الأول كرست للمغرب بالدرجة الأولى، ولمنطقة أخرى تجاوره مباشرة لأن أكبر جزء من البيبليوغرافيا الاسبانية خصوصا منذ 1850 إلى 1950 تقريبا كادت تركز اهتمامها بطريقة خاصة في الجزء الشمالي الغربي من القارة الجارة والشقيقة».

أما التصميم العام للكتاب، يقول المؤلف، كل مجلد يتضمن جملة من البيبليوغرافيا بالمعنى الصحيح للكلمة، مصنفة أبجديا حسب المؤلفين أو الكلمة الأولى من العنوان في حالة غياب اسم المؤلف، ثم نجد بجانب هذا فهرسا للعناوين يشير كل عنوان فيه إلى الرقم الذي يرمز للبطاقة المرتبة حسب المؤلفين، وبعد ذلك نجد فهرسا تقريبيا للمواد يوجه القارئ إلى بعض أوجه محتويات البطاقات فقط.

وقد تجول المؤلف في عدة مكتبات وخزانات للحصول على المعلومات في اسبانيا والمغرب سواء منها الرسمية أو ذات الصفة الخاصة، ثم ينوه المؤلف بكل من

ساعده ومد له يد المعونة، وعلى رأس الجميع سفير اسبانيا، ثم يعتذر عما يمكن أن يصادف القارئ من أخطاء.

أما سفير اسبانيا فيشيد في تقدمته بهذا العمل الذي هو بحق، يعد ثمرة من ثمرات التقارب بين المغرب واسبانيا، يقول السفير : «خلال قراءتي الطويلة حول المغرب - في غالب الأحيان باللغات الأجنبية - كنت أستغرب دائما من قلة الإشارة إلى المراجع الاسبانية حول هذا الموضوع من طرف مؤلف تلك الكتب، فهذه البيبليوغرافيا كانت تظهر وكأنها غير موجودة، فلم يكن علي بالسهل قبول أن دولة - يقصد اسبانيا - بقيت مرتبطة مع المغرب بتاريخ مشترك مدة قرون عديدة ولم تنتج كتبا كثيرة حول هذا البلد وخصوصا في الحقبة الحديثة حيث كان المغرب محورا لجزء لا يستهان به من حياة اسبانيا، فهل معنى هذا أن المغرب قد مسح من الذاكرة الإسبانية ؟! ثم يضيف السفير أيضا : وأسوأ شيء في كل هذا، وهو ناتج عن أسباب أخرى، نجد أن الإسبان أنفسهم يجهلون في غالبيتهم أبسط المعطيات عن الواقع المغربي مثلا وعن التاريخ المشترك والقريب بين المغرب واسبانيا، لهذا نجد في الكتاب الذي بين أيدينا الشيء الذي أدهشنا كثيرا، آلاف بطاقات الكتب والرسائل والمنشورات والمقالات التي كتبها الإسبانيون حول المغرب بين 1850، أي عشر سنوات قبل أن يبتدئ أول توغل استعماري اسباني حديث في المغرب و 1980.

وهذا هو أقرب تاريخ حدده المؤلف ليمنح مجموعته البيبليوغرافية أقصى حداثة ممكنة، فكل تلك المؤلفات تكون الدليل الواضح على اهتمام الإسبانيين بهذه الأرض المجاورة التي كانت محورا دارت عليه السياسة الإسبانية الداخلية والخارجية مدة ما يزيد عن قرن.

في خضم هذه المجموعة الهائلة من البطاقات البيبليوغرافية سيجد القارئ كنزا حقيقيا وعرقا معدنيا عظيما من الاعلام يكاد يكون غير منشور. ثم يضيف السفير : إنه المغرب الموجود هناك، أمامنا منذ بداية الزمن وإلى الأبد بمثابة الطليعة الجغرافية والتاريخية لافريقيا والبلاد العربية والأمة الإسلامية، فالمغرب لعب وسيلعب دورا خطيرا في تاريخ اسبانيا، إنه يواجهنا ونرى هذا جليا في آثار التاريخ البائد التي لازالت قائمة بين الضفتين بأخطار وإمكانيات، إنه لمسموح لنا بكل شيء سوى شيء واحد ألا وهو تجاهله، إن الصفحات الآتية لدليل على محاولة تفهم من طرف عدة أجيال من الإسبانيين لهذا فعلينا أن نكرمها بتفهمنا نحن كذلك لهذا الجار العظيم الذي يوجد بفضل الصدفة التاريخية داخل أحشاء الماضي الإسباني نفسها، إنه رفيق حياتنا العنيد، وعدونا الشرس أحيانا، وصديقنا الأخوي أحيانا أخرى، والذي لا نتفاهم معه في كثير من الأحيان».

هذه هي كلمة سفير اسبانيا في تقديمه لهذا الكتاب، اختصرنا بعضا منها وأوردنا أهمها نظرا لصدورها من شخص مسؤول عن سياسة بلده في بلدنا، فهو بتقديمه لهذا الكتاب، يعترف بأن مؤلفه قدم خدمة جلية للشعبين الإسباني والمغربي، ونظرا، كما يقول، لارتباطات المؤلف العائلية والشخصية العميقة بالمغرب من جهة، ثم قرائحه واستعداداته من جهة أخرى جعلته يتمكن بطريقة خاصة من إخراج الفكرة إلى حيز الوجود.

وقد اهدى المؤلف كتابه إلى روح والده روضولفو خيل بن أمية الرجل الذي كان يعطف على المغرب ويدافع عنه في أعظم صحف العاصمة الإسبانية أيام الحماية وكانت تربطني وإياه صداقة متينة سنوات إقامتي بمدريد عندما كنت مشرفا على البعثة الدراسية المرافقة لنجل صاحب السمو الخليفة السلطاني بالشمال.

إن هذا الكتاب والحق يقال، سد فراغا كبيرا وأعطى للباحثين في التاريخ الحديث للمغرب واسبانيا فرصا ثمينة للوصول إلى مبتغاهم وسهل عليهم السبل لتحقيق أهدافهم في البحث والتنقيب، إنه كتاب قيم وجدير بكل عناية وخليق بكل تقدير واعتبار. فتهنئتنا للمؤلف الصديق ابن الصديق ومتمنياتنا له بالتوفيق في الجزء المقبل إن شاء الله.

الرباط - محمد قشتيليو

الكتاب المدرسي

بين السلبيات والإيجابيات

للأستاذ مصطفى بغداد

ينبغي في البداية ان نؤكد على قيمة الكتاب في كونه مصدر تثقيف وتوجيه وارشاد وتوعية ؛ ولدينا من الامثلة على ذلك ما لا يعد ولا يحصى . فالكتب المتعددة التي غيرت مجرى المجتمعات والشعوب والامم قد طبعت التاريخ بطابعها الخاص ورسمت في حقبه وازمنته علاماتها واهدافها المتوخاة . ومن هنا كان القرءان الكريم كتابا كان منطلقه الاساسي القراءة، واستطاع بشموليته وابعاده ان يرسخ القيم والمثل العليا ، كما كانت الكثير من الكتب في تصورها المحكم والدقيق ذات ابعاد ثقافية وسياسية واجتماعية وتربوية ، ولذلك لا ينكر احد الاعجاب والملازمة والمصافاة لتي اولاها الانسان للكتاب ، وقد صدق المتنبي عند ما اعتبره خير جليس :

أعز مكان في الدنى ظهر سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

وقد أثنى عليه الجاحظ خيرا ، ذلك انه نعم الدخر والدخيرة . وبفضل الكتاب استطاع الكثير من الوراقين والاميين والمتعلمين ان يصلوا الى مراتب عليا في مجالات مختلفة ؛ والامثلة هنا كذلك متعددة ومختلفة .

انطلاقا من هذه المقدمة يكون الكتاب المدرسي حاملا رسالة مبادؤها التعليم والتربية والتثقيف والتوجيه وتهذيب الوجدان ؛ وشحذ الهمم والقدرات. وما الى ذلك من الامور التي انيطت بالكتاب المدرسي، وتناط به في مختلف المراحل وعلى جميع المستويات. ويبدو ان مهمة الكتاب المدرسي الآن قد غدت أكثر الحاحا وطرحا . خصوصا في زمان كثرت فيه مشاكل الاستيلاب والتأثيرات المختلفة ، وعصفت بكل المتعلمين ريح لمادة مبعدة اياهم عن شفافية الروح وصدقها وتطلعاتها وعبثت بهم ايدي الاثم والانحرافات والشذوذ والهيمنة الاستعمارية بغزوها الثقافي والفكري ، كما ان الكتاب المدرسي يدخل الآن في صراعات المنافسة ، اذ لا يخفى ما حملته الثورة التكنولوجية والاعلامية من مظاهر وعلامات وصور اثرت في مختلف الاوساط ومن بينهم بالطبع المتعاملين مع الكتاب المدرسي ، وحتى اذ لم تستطع التأثير بصفة تامة فقد الهتهم وشغلتهم عنه . ومن هنا يكون الكتاب المدرسي مطالبا بتحديد شكله ولونه ؛ بطرح مادته بقالب او قوالب جديدة تناسب زمن الرؤية وتجعله بالتالي يفرض وجوده ومكانته وسط هذه التيارات المختلفة .

اكيد ان المربين والمرشدين التربويين والمدرسين قد طالبوا بكتاب مدرسي يتجاوب مع ما تقتضيه حاجيات العصر وملابساته . ومن هنا لا بد من طرح التساؤلات التالية للاحاطة بالموضوع . ما هي الوضعية الحالية للكتاب المدرسي ؟ ما هي وجهات نظر النظريات التربوية في هذا الباب ؟ كيف ناقش المهتمون ظروف ومشاكل الكتاب المدرسي ؟ وكيف حددوا آفاقه وطموحاته ؟

وتجدر الاشارة الى ان التربية التقليدية اعتمدت في أساسها على كسب المعارف والمعلومات وذلك بالحفظ والاستظهار ، وان المعلم في نظر التربية التقليدية هو الذي يعي في صدره علوما مختلفة ، ومن هنا كان الكتاب المدرسي اطارها ووسيلتها واداتها . غير ان التربية الحديثة ترى في ذلك نقصا وانحسارا وتقلصا في العملية التربية ، ويمكن هنا ان نشير الى قولة رابلي : عليكم بقراءة في جيل في المروج الخضراء ووسط الغابات ، كما يمكن الاستفادة في هذا المعنى من قولة روسو : ان فلسفتنا هي اعيننا وايدينا وارجلنا . ويمكن كذلك الرجوع الى مختلف الطرق التربوية ، طريقة ذكرولي او طريقة مراكز الاهتمام كما يطلق عليها ، وطريقة المشروع ، وغيرها من الطرق التي تومن اساسا بقدرات المتعلم وبسعي العملية التربوية على بلورتها واذكائها ، ومن هنا كانت التربية عموما تعمل في سبيل تفتح هذه القابليات ونموها ، ومن هؤلاء فرويد الذي اسمى مدرسته بالروض اشارة الى ايمانه بالترويض . واضافة الى ذلك تومن النظريات الجديدة بشتى الوسائل في العملية التربوية ، وتعتبر الكتاب المدرسي جزءا منها ، ومن هنا كانت التكنولوجيا التربوية تهدف الى اثبات هذه الوسائل التي انبثقت عن ثورة التواصل والتي يمكن استعمالها لاغراض تعليمية بالاضافة الى المعلم والكتاب المدرسي واللوح الاسود ، وهناك من المربين من ينفي كل ذلك ويعتبر العنصر الاساسي في التربية هو المعلم ، لا الكتاب ولا المناهج ولا النظم والقوانين ، ذلك أن لب التربية هو اتصال عقل بعقل وشخصية بشخصية . وازاء ذلك يبقى الكتاب المدرسي بعيدا عن تلك الثقة التي توليها اياه التربية التقليدية .

وقد طرحت ندوات تربوية متعددة مشكلة الكتاب المدرسي ، ويكفي ان نشير الى ندوة الجمعية الوطنية لمدرسي اللغة العربية بالمدرسة العليا للاساتذة بتاريخ 16 – 17 – 18 من مارس 1977 . وقد استهدفت العروض جميعها والمناقشات غرضا اساسيا وهو تطوير البرامج والمناهج وتطوير الكتاب المدرسي على ضوء التطور الثقافي في مجالي علوم اللغة والعلوم الانسانية بوجه عام ، كما أكد الباحثون على ضرورة اعادة النظر في هذه الكتب ، لان الوقت المخصص لها قد استنفد ، زيادة على انها وقعت في اخطاء منهجية نتيجة السرعة في الانجاز وعدم التنسيق الكافي بين المؤلفين كما يؤكد على ذلك مصطفى بومنيدل في مجلة الرسالة التربوية – ابريل 1977 .

ويرى الاستاذ عبد الله بناني في نفس الندوة ومن خلال عرضه : الجوانب التربوية للكتاب المدرسي، أن القيمة التربوية للكتاب المدرسي تبقى متوقفة على الاستاذ والتلميذ في طريقة استغلال الكتب وتحليلها ومناقشتها ، وان الاستاذ اذا تعامل مع الكتاب تعاملا ذكيا وطعم مادته بالمناقشة الهادفة وارشد تلامذته الى طريقة الاستفادة فهو سيغني لا محالة الجوانب التربوية ، وبغض النظر عن مساوىء هذه الكتب فان قيمتها متجلية في طريقة استخدامها والتعامل معها ، ومهما يقال عنها فانها ستبقى وسيلة هامة في العملية التعليمية ، وان الكتب الجديدة – في رايه – قد تطورت من كتاب سيىء الطباعة جاف الى كتاب بديع وجيد ، ولذلك يقترح تغيير هذه الكتب كل سنتين للخروج من ازمة الكتاب المدرسي .

وقد ناقش الاستاذ عبد الرحيم حمدات تدريس اللغة العربية في الشعب العلمية ملاحظا نفور التلاميذ من مادة اللغة العربية نتيجة صعوبة نصوصها وبعدها عن ظروف وبيئة المتعلمين ، وقد اكد على ضرورة تحديد برنامج دقيق في التاليف مستفيدا من النصوص الثقافية والادبية .

وقد ارتأيت ان أعود الى هذه الملاحظات نظرا لانها تطرح مشاكل الكتاب المدرسي بالفعل ، ورغم انها آراء قد افرزتها السنة التربوية المشار اليها سابقا فهي آراء لا زالت تطرح في كل ندوة تربوية وتعليمية ، فجل الكتب المدرسية لا زالت جافة ومنفرة بشكلها ومضمونها ورغم انها ترجع الى سنوات فهي لا زالت تستعمل وتوجه في المقررات الدراسية، ولدينا الدليل القاطع هو كتاب النصوص الفنية الذي ظهر سنة 71 للشعب العلمية والذي يعتبر اهانة في جبين اللغة ، وقد ابدى الاساتذة والمتعلمون استياءهم وعبروا عن رفضهم لهذا الكتاب الذي لا يلبي طموح الراغب في تحصيل المعارف والمعلومات وفي تذوق النصوص واستيعابها .

ويبدو ان هذه الملاحظات تجعلنا نقف عند مجموعة من الآراء التي ستغني بالطبع موضوع الكتاب المدرسي ، يرى الاستاذ محمد السعيدي في دراسة

الكتاب المدرسي وطريقة الاستفادة منه - الرسالة التربوية ، يناير 1982 - يرى ان دنيا التربية والتعليم قد عرفت مدارس شتى تتقارب او تتباعد في الوسائل والاهداف ، ولكنها تتفق جميعا على أن حواس الطفل اقرب الطرق الى عقله ، وأنها يجب ان تكون المنطلق لاية معرفة نظرية يزود بها ، وان سفر الحياة القيم الضخم أنفس كتاب يوضع بين يديه ، وان خير تعلم ما جاء نتيجة للتجربة الشخصية وللممارسة والاحتكاك ، وحتى اللغة لا يجوز أن تعلم عن طريق استظهار القواعد ، وحفظ النصوص ، بل يمتصها الطفل من البيئة وبواسطة التخاطب والتعامل كلما كان ذلك ممكنا ... ويلاحظ الاستاذ السعيدي ان الرغبة في أجتياز الامتحانات بنجاح هي المحرك الرئيسي لكل من الاستاذ والتلميذ وهي امتحانات لا تهتم بنمو الملكات وتفتح المواهب والقابليات ، بقدر ما تعنى بالاتزان والاستيعاب والحفظ والتحصيل ، واقوى التلاميذ ذاكرة اوفرهم حظا في النجاح ، وفي وضع كهذا يكون الكتاب عموما والكتاب المدرسي على الخصوص المزود الرئيسي للمرشحين ، ثم ان هناك مواد لا تستغني عن الكتاب - احب خصوم الكتب ام كرهوا - كالمطالعة والتاريخ والنصوص الادبية والتربية الاسلامية .

واذا كان ما يقوله الاستاذ السعيدي صحيحا فان ضرورة الوقوف عند نوعية هذه الكتب التي اشار اليها امر حتمي ، فهل كتب المطالعة تستجيب لتلك الرغبة في التفتح وشحذ العزائم واستمالة العقول والقلوب الى المثابرة والاستمرار في المطالعة والقراءة ؟ وهل كتب التاريخ بما تزخر به من سرد وحشو ومغالاة وما الى ذلك قادرة ان تقرب هذه المادة من الاذهان وتجعل المهتمين بها يحبونها ويتملون بمزاياها وفضائلها ؟ وهل كتب النصوص قادرة على ترتيب نصوص جيدة ومتنوعة دون ملل ولا فوضى لتجعل المتعاملين معها يتذوقونها ويستمتعون بدررها الغالية وصورها الجميلة وقضاياها الفكرية والبلاغية ؟ وهل تستطيع الآن كتب التربية الاسلامية ان تجلو هذه السحب المحملة بالفكر العلماني وطغيان المادة والاستيلاب وان تجعل النشء قادرا على التمييز وتبث فيه في ذات الوقت روح الابتكار والخلق والابداع والقدرة على تحمل المسؤولية وتقديرها ؟ .

الواقع ان جل هذه الكتب لم تنج من اخطاء في المنهج والترتيب وتحديد الهدف والرؤيا . وحكمنا عليها الآن لن يكون بعيدا عن الاعتبار الاساسي لاطراد العلوم والمعارف الانسانية والمتغيرات اليومية كما يقول تقرير ادجار فور الذي اعده لليونسكو ، بدليل ان هذه الكتب قد طال امدها ، وبدليل ان قضاياها وان كانت صالحة ، فهي تفتقر الى الاسس التربوية والنفسية للمتعلمين ومراعاة ظروفهم الاجتماعية والبيئية والحاضر الذي يعيشونه بكل ابعاده وملابساته ، وبدليل ان جل هذه الكتب لا تراعي الضبط اللغوي والنحوي ، فالاخطاء متعددة ، والحوار بين هذه الكتب والمستفيد منها يكاد يكون منعدما لما فيها من التعقيد والغموض احيانا والركاكة والابتذال احايين اخرى .

ولعل الاستاذ السعيدي كان صادقا عند ما تحدث عن مواصفات الكتاب المدرسي الاجنبي الذي يقول عنه انه استفاد من الانتقادات التي وجهت اليه والسلبيات ألتي احصيت عليه ، وكيف نفسه مع ما ينادي به كبار رجال التربية ، فلم يعد مجرد مستودع لطائفة من المعلومات الجاهزة المتراكمة ، كما لم يعد يختلف عن الكتب العامة في الحجم فقط ، ورفض أن يكون مجرد تنحيص او اختصار لما في الموسوعات والمطولات ، وتطورت لغته ، فجانبت الغموض والتعقيد ، واتسم اسلوبه بالعذوبة والسلاسة والاشراق ، واضحى عاملا مساعدا على استقامة تعبير التلميذ والرفع من مستوى انشائه ، ولم يكتف بالحقائق يشرحها شرحا شفويا يبقيها في نطاق التجريد والعموم ، وانما عزز ذلك بالصور الملونة الزاهية والخرائط الموضحة الكاشفة والرسوم البيانية المعبرة .

هذا هو الكتاب المدرسي عند الاجانب ، وشتان بين هذا وذاك ، فكل الندوات واللقاءات التربوية والتعليمية وكل الدراسات والابحاث تثبت بشكل جلي وواضح ما تتعرض له اللغة العربية من التحريف والتشويه وما يلحقها من التقصير والقصور بالرغم من ان حافظ ابراهيم يقول على لسانها :

انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

بالرغم من ان هذه اللغة ذات جذور حضارية وتاريخية عميقة بوأتها المكانة المرموقة عبر الحقب التاريخية واستطاعت ان تكون وعاء للفكر الانساني

تحفظه من الزوال والتلف والضياع ، بالرغم من ذلك كله فانهـــا في كتـــب الاجتماعيـــات والفلسفـــة والرياضيات وحتى في كتب اللغه نفسها تبدو ركيكة وجافه ومعقده تسعى فقط الى اثبات قواعد ونتائج دون ان تكون هذه اللغة متسمه وملائمة ومعبرة عـــن قضايا وخبايا هذه القواعد نفسها من خلال نصــوص ومختارات موحيه ومشبعة بقضايا انسانية .

وتبعا لذلك تلهث هذه الكتب وراء تحقيق هـــذه البغية دون مراعاة لقضايا تربويه مهمه والتي تتمثل اساسا في صرف المتعلم عن القاعده الاساسيه وذلك بوقوفه وتساؤلاته عن الاخطاء الواردة في ثنايا هـــذه الكتب ، ذلك ان اللغه اداة مهمه ووسيلـــه لا غنـــى عنهـــا .

وبالنسبة لكتب النصوص الادبية فان الامـــر يدعو الى التاكيد على ان جلها يتسم برداءة اختيـــار نصوصها وعدم انسجامها وتكافؤها ، والتكرار الذي يعمها خصوصا كتب المطالعة والنصوص الادبيـــة ، السنة الرابعـــة والخـــامسة والسادسة ، وكـــذا الاكتضاض وتراحم العصور الادبية وتتابعها كما هـــو الشان بالنسبه لكتاب النصوص الادبيـــة السنـــة الخـــامسة .

اما كتب التربية الاسلاميـــة فقـــد سبـــق لندوة الايام الدراسية للتربية الاسلامية ـ دجنبـــر 1979 ـ ان برزت كل مشاكل المادة نفسها ومـــن ضمنها كتاب التربية الاسلامية . يقول الاستاذ محمد السعيدي : لقد عانت التربية الاسلامية ما لم تعانيه مادة اخرى من البخس والغبن والتحامل ، منهاجـــا ومنهجية وتقديرا ، فلم تكن تتعدى حصصهـــا خمس عشرة حصة في السنة الدراسية كلها وهي حصـــة لا تسمن ولا تغني من جوع ، واما المنهاج فخليط من الموضوعات التاريخية والحضارية والفقهية ، ويلاحظ الاستاذ السعيدي ان الموضوعات الفقهية ابعد مـــا تكون عن ان تلقى الصدى المطلوب في نفس الدارسين لانها لا تطرح القضايا التي يعيشونها ولا تثير المشاكل التي يودون راي الاسلام فيها ، وكانت المنهجيـــة تقريرية مملة يحل فيها اسلوب الارشاد والوعظ محل الحوار والاقتناع . مجلة الرسالة التربوية يناير 82 .

يضاف الى ما قاله الاستاذ السعيدي ان هذه المادة تسند الى اساتذة غير متخصصين فيها ممـــا ينتج عنه الملل التام لدى التلاميذ ويسبب لديهم نفورا واشمئزازا ، ذلك ان تعامل الاستاذ هنا مـــع المادة يكون تعاملا سرديا وتقريريا معتمدا بالدرجة الاولـــى على الكتاب المدرسي الذي لا يخلو من هينات واخطاء منهجية من خلال تداخل مواده وموضوعاته ، وسرد مباشر للايات والاحاديث دون ربطها بالواقع والحياة اليومية ، ومما يزيد في الطين بله ان المادة لا تعتبر مادة اساسية في الاختبارات والامتحانات مما يجعلها مادة لتزجية الوقت ، وهذا قد اكـــدت عليـــه ندوة التربيه الاسلاميه وتؤكد عليه المجالس التعليميـــة ، الشيء الذي يجب اخذه بعين الاعتبار لتصبح هـــذه المادة في مستوى ما هو مطلوب منها في اداء رسالتها الانسانيه والدينيه والاجتماعية ولتغرس في النشء حب الخير والمكرمات والاخلاق الفاضله ، وتربـــي في النفوس العز والكرامة والسمو خصوصا والاجيال تمر بمراحل جد صعبة وشاقة ، ومن هنا يكون الكتاب المدرسي مطالبا هو الآخر وبالحاح مسايرة ومواكبة هذه القضايا بالحجة والدليل والحوار البناء المفيد . ولا شك هنا في ان مجهودات بذلت في هذا المجال ولكنها مجهودات لا زالت تحتاج الى مزيد من الحوار والتحاور ، لان الامر يتعلق بمادة تواجه وتجابه يوميا تيارات وافكار ماديه غربيه واعادة النظر من جديد في كتب هذه المادة وغيرها امر حتمي وضـــروري اذا اردنا ان نحقق الاهداف المتوخاة من العملية التربوية والتعليميـــة .

ولعل الخطورة التي تحيـــط بمادة التربيـــة الاسلامية وكتبها هي نفس الخطورة التي تحيط بمواد اخرى وكتبها مع تفاوت في نوعية هـــذه الخطـــورة نفسها ، وقد سبق لي ان اثرت هذا الموضـــوع في برنامج : في رحاب الجامعة الذي كنت اعده للاذاعة ، وذلك خلال ندوات مع اساتذة مختصين ، حول كل مادة ، وتبين من خلال التدخلات ان كتـــب مـــواد الانجليزية والاسبانية والالمانية وحتـــى الفرنسيـــة وبعض كتب الاجتماعيات لا تخلو من اخطاء ليس في المنهجية والموضوعات واللغة فقط ولكنها كتب تركز اساسا على موضوعات لا تمت بصلة للواقع المغربـــي والعربي والاسلامي وانها تسبح في عوالم اخرى مما يحدث عند المتعلم استيلابا واضحا .

وقد اشار المشاركون في هذه الندوات الى ان هناك كتبا ظهرت مؤخرا وقد حاولت ان تاخـــذ بعين الاعتبار الملاحظات السابقة ، غير ان امام المكلفين

باعدادها وتهييئها فرصا اخرى لتلافي ما تبقى منهـا ولتهييء كتب اخرى ذات صلة وثيقة ببيئة المتعلمين وواقعهم مراعية في نفس الوقت النظريات التربوية والنفسية الحديثة وتطور اللغة والفكر والثقافات .

وكتعقيب على ما جاء في هذه النـدوات فان المسؤولين يولون حقيقة اهتماما كاملا لقضية الكتاب المدرسي نظرا لما يعرفونه عنه من تأثير بالغ الاهمية في العمليتين التربوية والتعليمية ، ولذلك يوكلـون امره للجان مختصة من المفتشين العامين ومن رجال التربية والتعليم ، وقد اعطت هذه المجهودات بعض نتائجها لولا ان العمل غالبا ما يتم ببطء واضح وغالبا ما يكون التأخير هنا في غير صالح الكتـاب المدرسي الذي لا يظهر في وقته معا يجعله معرضا لانتقـادات من جهة ، وان الركب يفوته من جهة اخرى .

واعتقد من جهة اخرى ان الاتصالات التي تمت في بداية السنة الدراسية 83 ـ 84 بين لجان مـن تونس والمغرب على مستوى المفتشيـن العاميـن ومديري التعليم الثانوي لتبـادل وجهـات النظـر والخبرات في مجال الكتـب المدرسيـة تأليفهـا وبرامجها ومناهجها ، اعتقد انها فكرة رائدة ما دامت تحث على التعريف بالكتاب التونسي مـن جهـة ، والكتاب المغربي من جهة اخرى ، وما دامت تضـع الثقافة التونسية والمغربية في محتوياتها ، وهـي فكرة ستكون اكثر نفعا وفائدة لو شملـت مجالات التعاون في هذا الاطار بلدان عربية اخرى خصوصـا والثقافة العربية تفترق لتتوحد في هدف واحـد ، والتربية العربية كذلك تسعى في شموليتها الى نقل الارث الحضاري والثقافي والى تبديد غيوم المؤثرات الخارجية ومحو الامية واثبـات الـذات العربيـة ومقوماتها واصالتها وتطلعاتها .

وما دمنا نتحدث عن المجهودات لا بد ان نشير الى العناية التي اولتها وزارة التربية الوطنية للكتاب المغربي الذي ظل نسيا منسيا ، وذلك بادراجها كتبا مغربية ضمن المقررات الدراسيـة ، فبعـد « في الطفولة » لعبد المجيد بنجلون ، و « دفنا الماضي » لعبد الكريم غلاب ، و « مجموعة السقف » المجموعة القصصية لابراهيم بوعلو ، تدرج كتـب اخـرى : « كجيل الظمأ » لمحمد عزيز الحبابي ، و « الهـواء الجديد » لمحمد زنيبر ، و « الطيبون » لربيع مبارك وغيرها ، وهي بادرة طيبة ستكتمل فائدتها عند مـا تدرج دواوين شعرية مغربية ، وكذلك مجموعـات قصصية جيدة ، ومسرحيـات مغربيـة متفوقـة ودراسات نقدية هادفة ، ذلك ان المستفيدين مـن الكتاب المدرسي سيعرفون ايضا مختلف الاتجاهات الادبية ، وسيقفون على اشكالها ومضامينها .

بعد هذا كله يحق لنا ان نتساءل عن الطـرق والكيفية التي تمكن الجميع ـ مدرسين ومتعلمين ـ من الاستفادة منه ؟ وبالتالي ما هو موقـع الكتـاب المدرسي من هذه المظاهر الحياتية الجديدة ؟ ومـا هي سلبيات الكتاب المدرسي من اوجهه التربيـة والتعليمية ؟ وما هي ايجابياته ايضا ؟ وكيف نستطيع من خلاله تحقيق الاهداف والطموحات ؟ .

الواقع ان الطرق والكيفية تكمن في كل درس بحيث يكون الكتاب المرجـع الاول والاساسي على الاقل في ضبط النص ، نص كل درس ، ومن هنـا تكون الطريقة المتبعة هي التي ينهجها كل استـاذ ويراها مفيدة ومبلغة ومودية الى المرامي المقصودة، والنص في الكتـاب المدرسي يتحـول الى درس بمراحله المتتابعة واسئلته الذكية واشاراته العميقة الدلالة واحالاته التي تدفع بالمتعلمين الى الاطـلاع والتوسع والاتصال بمرجع أوسع واشمل .

ومن هنا يكون النقص الحاصل في بعض الكتب المدرسية أنها جد محدودة في ايحاءاتها وتطلعاتهـا وانها لا تجود الا بما هو معـروف لا يلبـي رغبـة المتعلمين ولا يشبع نهمهم العلمي وشغفهم بالثقافـة والفكر . ويمكن ان نعطي كنموذج لذلـك دراسات المؤلفات ، فمن المعروف ان المتعلم هنا لا غنى لـه عن الكتاب الاصلي او المؤلف الاصلـي ، ولكـن الدراسة التي يتناولها والتي هي بين يديه من خلال كتاب دراسة المؤلفات الذي هو عبارة عن دراسات لثلاثة مؤلفات ، غالبا ما تتسم بالاختصار والتركيـز المفرطين واللذين لا يتفقان مع ما يوجه حول هـذه المؤلفات من دراسات نقدية ومتابعات ادبية ، وهو ما يمكن تأكيده كذلك بالنسبة لمواد اخرى من حيـث افق كتبها المحدود ومداها القصير .

وبالنسبة للواقع ، واقع الكتاب المـدرسي ، فقد سبقت الاشارة الى المنافسة التي تستهدفه من وسائل الاعلام المختلفة كالاذاعة والتلفزيون والسينما والمجلات والجرائد وما الى ذلك ، ولكن جل المربين

اثبتوا ان الكتاب المدرسي يبقى قادرا على تجاوز هذه المظاهر اذا كان يتدرع بشكل جيد وممتاز ومادة غنية خصبة واسلوب جيد رفيع .

يبدو ان المهتمين بالمجالات التربوية والتعليمية قد وضعوا الكتاب المدرسي في مكانه الخاص وحدودا بذلك سلبياته وايجابياته . ومن ثم فسلبيات الكتاب المدرسي تتجلى بصفة خاصة في نشره وتعويده المتعلمين التواكل والاتكال على الغير ، بحيث يصبح المتعلم رهين بمعلمه وزملائه في الفصل وغيره مرتبطا بهم في فهمهم لنصوص هذا الكتاب دون ان يكون لهذا المتعلم طموحات في البحث والتقصي والاطلاع على مصنفات ومؤلفات اخرى ، وهي ظاهرة ربما تسربت بشكل واضح حتى الى المدرسين الذين لم يعد لديهم ذلك الافق الرحب وتلك النظرة الشمولية للمادة المدروسة ، والحكم هنا بالطبع ليس عاما ، ومن السلبيات ان الدورة الاولى كلها تقضي في البحث عن هذا الكتاب المدرسي الذي غالبا ما يكون مفقودا ، ومن جهة اخرى فان المكتبة المدرسية غالبا ما تكون فقيرة ومتواضعة في كتبها ، وبالتالي فان الزام التلاميذ باحضار الكتب المدرسية يكون لدى المتعلم فكرة خاطئة عن الكتاب المدرسي ، الشيء الذي يؤدي به الى الغياب التلقائي عوض ان يطرده استاذه، مع العلم ان قضية احضار الكتاب ضرورية ولكنها ليست كل شيء ، والامر الضروري والاساسي هنا ماذا نريد من الكتاب المدرسي ؟ ما هي العلاقة التي نستشعرها ونحن نلقي درسا ؟ هل هي علاقة حميمة بين المتعلم وهذا الكتاب ؟

ان اكبر خطأ في نظري ترتكبه التربية الحديثة هو القراءة في حد ذاتها ، فالقراءة الجيدة تكاد تكون منعدمة ، اذن ما جدوى وجود كتاب مدرسي لدى المتعلم وهو لا يستطيع قراءة نص قراءة فصيحة ، وخالية من الاخطاء ، والامر هنا يتعلق ايضا بمدى اهمال وعدم مراقبة المتعلم ومتابعة خطواته في التهييء والتحضير واداء الواجبات والفروض اليومية ، مما يجعل هذا الكتاب في حد ذاته شيئا ثانويا ان لم نقل عاديا .

ومن ايجابيات الكتاب المدرسي أنه يصاحب المعلم والمتعلم في كل الاوقات يستأنس به كل منهما ويستجيب لرغباتهما ويدفعهما الى التدبر والتأمل غير مخف عطاياه وسجاياه ، يجود في كل لحظة بسخاء مطرد ، يجمع المتعلم باقرانه وزملائه ويكون مصدر حديثهم ومرجعهم وبداية محاوراتهم واحاديثهم يغني افكارهم ويصقل مواهبهم ويشحد هممهم وعزيمتهم .

ومن ايجابيات الكتاب المدرسي التي لا ينكرها احد انه يحفظ المستفيدين منه من التيه والضياع ، ذلك انه يربطهم بمقررهم الدراسي ، ويقيهم مغبة الضلال والزيغ عن جادة الصواب ، يغريهم بصوره الجميلة وطباعته الانيقة الجذابة ومعلوماته المفيدة ، وآفاقه الرحبة الواسعة ، واسلوبه الشيق الممتع ، وحواره المقنع ، واستشرافه قضاياهم ومشاكل عصرهم وبيئتهم ، يجمع ذلك كله بين دفتيه مفيدا وممتعا وقائدا لا يهيم ولا يستكين ولا يفتر .

عندما يكون الكتاب المدرسي كذلك ، وعند ما نحسن استعماله والاستفادة منه ، وعندما نعمل على اثرائه واغنائه بطرق تربوية مجدية ، وعند ما نربي فى المتعلمين مزاياه وايجابياته وفضائله ، عندئذ سنبلغ الاهداف والغايات وسنحقق مرامي العملية التربوية التعليمية والتي تسعى اساسا الى تكوين جيل واع مقدر لمسؤولياته ، متطلع الى المستقبل الباسم المشرق .



من أجل تبادل الخبرات وتوثيق التعاون :

إجتماع المجلسين العلميين بالناظور والعيون

في نطاق اللقاء الذي نظمته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بين المجلس العلمي للناضور وزميله في اقاليمنا الصحراوية المسترجعة ، عقد السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري جلسة عمل في مدينة الناضور مع الخطباء والائمة والوعاظ والمرشدين بحضور المجلسين العلميين لاقليمي الناضور والساقية الحمراء ، والسيد الكاتب العام للعمالة ورجال السلطة واطر الاقليم . والقى السيد الوزير خطابا توجيهيا عالج فيه بعض الجوانب الخاصة بالدعوة الاسلامية مسلطا الضوء على أساليب الدعوة وطرق الرفع من مستواها .

ولاهمية القضايا التي عالجها السيد الوزير وتعميما للفائدة ننشر خلاصة هذه الكلمة فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين .

حضرة السيد الكاتب العام لعمالة اقليم الناضور – حضرات السادة أعضاء المجلس العلمي – حضرات السادة العلماء الافاضل . السلام عليكم ورحمة الله .

في اطار التعليمات الملكية السامية التي زودني بها أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني حفظه الله ونصره لمواصلة العناية التامة والكاملة بشؤون المجالس العلمية في جميع الاقاليم ، وفي نطاق مسؤولية الوزارة بخصوص الشؤون الاسلامية بصفة عامة ، نقوم اليوم بهذه الزيارة لاقليم الناضور العزيز علينا ، لنتفقد اولا احواله من الناحية الدينية ونتعرف على ما يمكن ان يكون هناك من مشاكل تتعلق بهذا الميدان ، ومن جهة اخرى لنقوم بنشاط اسلامي في هذا الاقليم سوف يكون بحول الله وقوته وحسن عونه وتوفيقه انطلاقة لنشاط ديني دائم ومستمر وهادف وبناء ومبارك في هذا الاقليم السعيد .



وبعون الله وحسن توفيقه نظمنا زيارة للمجلس العلمي الاقليمي لعيون الساقية الحمراء الى المجلس العلمي لاقليم الناضور ، وها هو المجلس العلمي لاقاليمنا المسترجعة قد حل بين ظهرانيكم كرمز حي للرباط الروحي المتين القائم بين جنوب المغرب وشماله ، ولا شك ان وجود علماء الصحراء المغربية المسترجعة في هذا الاقليم قد عطر الجو ونور المدينة التي كانت دائما وعلى مدى التاريخ الطويل مرحبة بالعلماء محبة لهم ومتعلقة بهم ومقتدية بسلوكهم وملتزمة بتوجيهاتهم ، ولهذا لم يكن منتظرا منها الا الترحاب والفرح والسرور باخواتهم اعضاء المجلس العلمي بالصحراء المغربية المسترجعة .

وبطبيعة الحال فان نحن اردنا ان نبني بناء سليما ومتينا لا بد ان يتم الحوار وان يكون هذا الحوار صريحا بين جميع الجهات المهتمة بكل قطاع من القطاعات ، لان الانسان لا يرى نفسه الا بالمرآة ، فالانسان الذي يحسب انه سيرى نفسه بنفسه دون ان يستمع الى ملاحظة الناس فسيكون مخطئا في رايه في هذا الباب ، والرؤيا الواضحة لا تتحقق الا بواسطة المرآة الصافية والمصقولة ، وكلما كانت النوايا حسنة وطيبة والقلوب متجهة للتعاون والتناصح المعبر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » تحققت الرغبات .

وهذه النصيحة هي المشاورة والشورى الاسلامية ، وهي المبدأ الذي تقوم عليه الديمقراطية الحسنية ، فعلينا دائما وابدا ان ندرك ان العرش العلوي المجيد في المغرب يمتاز عن سائر العروش وانظمة الحكم بميزة خاصة ، وهي ان قواعد عرشنا قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ، بالسياسة الحسنية مؤطرة بكتاب الله وسنة رسوله ، ومهيمن عليها كتاب الله وسنة رسوله ، وملتزمة الالتزام التام والدائم والمستمر بهذين المصدرين الخالدين ، لذلك كان من الطبيعي أن تكون الديمقراطية الحسنية غير



مصطبغة بمفهوم الشرق او الغرب ، وانما بمفهوم خاص هو المفهوم الاسلامي ، وان تكون المشاورة بين المسؤولين وبين كل قطاع دائرة في هذا المعنى .

في هذا الاطار وعند دراستنا لمشكل الخطابة في المساجد والوعظ والارشاد فيها كان واجبا علينا من باب التناصح الذي تحدثت عنه ان نكون صرحاء ، فصراحتنا تدفعنا الى ادراك المشاكل كما هي ومواجهتها كذلك بصراحة وموضوعية للوصول الى الحلول الصحيحة .

وان نحن تناولنا موضوع خطبة الجمعة نجد ان الخطباء يقومون بمجهود كبير جزاهم الله خيرا ، ولكن بعض الناس يشتكون ! وبدل ان نضع اصابعنا في آذاننا فلا نسمع شكواهم ، يقضي المنطق والعقل ان نصغي لهذه الشكوى ، فهم يشتكون من بعض الخطب، وهذا السؤال يمكن ان يؤدي بنا الى التطوير والاصلاح بدل سد الآذان ، فعلينا ان نستمع الى الشكوى بهدوء ونحاول اصلاح الاخطاء ، فالفرد الشعبي وهو مرآة الخطيب وجمهوره وزبونه والشخص الذي يتعامل معه ، فاذا لم يفهمه الخطيب ويعطيه حقه فسيبقى فاشلا في مهمته .

فاكثرية الشعب تشتكي من بعض الخطب التي لا تفهمها ، ولنكون صرحاء نعترف بان بعض الخطباء يلقي خطبة محررة في عهد من العهود مضى وانقضى، فينسخها الخطيب ويطلع الى المنبر ليقراها حيث لا يفهم الناس منها شيئا ، ولا شيىء فيها الا لغة طنانة، وعبارات فخمة ، وأسلوب مهلهل ، ونسال بعض الشعبيين كيف رايتم الخطيب ؟ فيجيب انه (عطى) ونكرر السؤال ماذا اعطى ؟ فيجيب : لا ادري .

واذا قدرنا ان خطبة الجمعة يسمعها في المغرب من عشرة الى اثني عشر مليونا كل جمعة ، وهذا رصيد مهم جدا ، فاذا استطعنا اصلاح خطبة الجمعة سنصلح 12 مليون مغربي كل اسبوع ، فبيدنا اذن وسيلة من الوسائل المهمة جدا لا تتوفر عليها لا صحيفة ولا مجلة ولا ربما حتى الاذاعة ، فالاذاعة يمكن

ان يستعملها الواحد وهو مشغول ، ولكن الخطيب ياتيه المواطن المغربي وهو مهيا للاستماع ، وحتى اللغو ممنوع عنده ، فقبل الخطبة يسمع الحديث النبوي الذي يقول : (من لغى فلا جمعة له) ، اذن هو مهيا نفسيا وروحيا للاستماع ، فاذا عرف الخطيب كيف يستغل هذا الجو الروحي فسيخدم دينه ووطنه .

ويشتكي الناس من طول الخطب وبعدها عن مشاكل المجتمع وعن الحياة المعاشة ، مع العلم بان المستمع يريد ان ياخذ درسا من تلك الخطبة ينعكس على حياته الخاصة والعامة المادية منها والروحية ، فاذا كانت الخطبة لا علاقة لها بهذه المشاكل تكون عديمة الفائدة .

اذن لا بد من الاصلاح في هذا الباب ، ونحن قد ادركنا هذا المشكل وحاولنا ان نسهم في اصلاح الخطب ، وقد قررنا اصدار مجموعة من الكتب ، وكل كتاب يتضمن عشرين خطبة مكتوبة بالخط الكبير ، ويسهل على الخطيب ان ياخذه معه الى المسجد كانه مجلة يمكن للخطيب ان يخطب منه على المنبر ، وقد اصدرنا الجزء الاول من هذه السلسلة وسيتوصل به جميع الخطباء في المدن والبوادي ، وهذه مساهمة لحل مشكل الخطب ، وهذا عمل جيد خصوصا اذا علمنا انها من تحرير علماء من المستوى الرفيع .

ونحن علميا نريد المحافظة على اللغة العربية ، ولكن لا باس ان يشرح الخطيب عبارة عربية صعبة بالدارجة لتعم الفائدة ، فلنفرض ان الخطيب اتى بعبارة عربية فصيحة واحس بأن المستمع لم يفهمها الفهم الصحيح ، فعليه ان يشرحها باللغة الدارجة ، اذ لا عيب في ذلك ولا باس ما دام المهم هو الوصول الى التبليغ ، وليس المهم هو ان يهز الناس رؤوسهم في المسجد ويخرجون دون فهم شيء ، فاذا هذه الكتب الخاصة بالخطب لها اهميتها ، وقد أعطيت تعليماتي لتوزع على جميع خطباء المغرب .

وفيما يتعلق بدروس الوعظ والارشاد لاحظنا ايضا ان كثيرا من الدروس لا يحضرها الا جمهور قليل جدا ، وبطبيعة الحال فان الواعظ الذي لم يحضر درسه الا خمسة او ستة افراد بدل ان يقول لا حول ولا قوة الا بالله لم يعد الناس يهتمون بالدين ولا بكذا وكذا ، عليه ان يحوقل من نفسه حيث لم ينجح في جلب الجمهور ، ويطرح سؤالا لماذا لم يحضر درسي الا هذا العدد الضئيل ؟ هل هناك شيء وراء هذا الاهمال ، هل طريقتي لا تعجب ، هل لا اتناول النقط التي تروقهم ، هل انني لم اعالج الحقائق بموضوعية ، الى غير ذلك من الاسئلة ، وهذا الواعظ او المرشد من المفروض فيه أن يتوفر على جمهور لاداء رسالته ويفيد بعلمه أكبر عدد من المواطنين ، فعليه ان يبحث عن الوسائل التي تجلب له اكبر عدد ممكن من المستمعين ، ويتجنب الاسباب التي حالت دون تحقيق أمله .

في بعض الاحيان نجد الواعظ او المرشد لا تتوفر لديه الكتب للمراجعة ، واي درس علمي لا بد للعالم من ان يعود للمصادر لتنمية معلوماته في الموضوع وتحقيق ما يجب تحقيقه ، ولعل فقره الكتب يعود الى عدم توفر الامكانيات المادية ، وما لديه من بركة علمية يدرس بها عشرة او عشرين درسا وتنتهي البضاعة فيعود الى تكرارها من جديد .

وبطبيعة الحال فنحن نطالبه بالعطاء ولا نمكنه من الوسائل ، وحتى تكون واقعيين قررنا ان يتوفر كل مجلس علمي على خزانة للكتب على أن تكون الخزانة رهن اشارة الوعاظ والمرشدين والخطباء لدراسة كتب التفسير والسيرة النبوية والاحاديث الشريفة ، ولا تظنوا ان في امكان احد ان يلقي درسا علميا دون الرجوع الى المصادر ، اذ لا مناص من العودة للكتب المختصة للتاكد من المعلومات ، فمثلا هذا كتاب الله ، واحترامي له واحترازي به يفرضان علي التاكد من المعلومات التي سأتناولها عند شرح هذه الآية ، وهذا ما يفرض علي الرجوع الى كتب التفسير ، واريد أن اتناول حديثا من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فينبغي ان أتاكد هل هذا الحديث من الاحاديث الصحاح او لا ، ولن يتأتى هذا الا بالعودة الى المصادر ، ومن الملاحظ ان بعض الوعاظ والخطباء يقولون احاديث غير صحيحة،

مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » ، فالرجوع الى الكتب شيء ضروري ، والسؤال عن العلم وجب، ومن قال لا ادري علمه الله ما لا يدري ، والانسان المسؤول ان لم يعرف آية او حديثا او لم يفهم مسالة اتجه الى من هو أعلم فساله بكل تواضع ، وفوق كل ذي علم عليم ، وانا افضل جواب السائل عن آية او حديث جهلتهما بلا ادري عن الجواب بالباطل او الكذب .

وحسما لهذا الاشكال سنزود المجالس العلمية بخزانة للكتب ، وسنطبع رسالة ابي زيد القيرواني ونوزعها على الخطباء والوعاظ والمرشدين لتكون لديهم مصدرا للفقه ، ففراغ اليد من الكتب المعتمدة في الفقه يدفع الانسان في بعض الاحيان ليقول ما يشاء فيحرم الحلال ويحل الحرام عن غير قصد ، اذ لا يتوفر على مرجع اساسي في الفقه يعتمد عليه .

وفراغ اليد من الكتب يدفع الناس الى الاختلاف في المسائل الدينية ، فتتضارب الاقوال وتحدث البلبلة ، ويجد خصوم الاسلام الثغرت للتسرب الى عقول الجماهير الشعبية ، ومن الغريب ان مصادر الفقه المالكي موجودة ويجب ان تطبع وتوضع بين ايدي الناس ، وبهذا سنضع حدا للخلاف الذي بدانا نشعر باخطاره .

ويتساءل البعض لماذا نلح على المذهب المالكي. ونؤكد لهم ان المذهب المالكي كان دائما وابدا اساس وحدتنا الوطنية ، فامتنا منذ اربعة عشر قرنا وهي مجمعة على المذهب المالكي وموحدة حول هذا المذهب ، وفضيلة المغرب والمغاربة انه لم يظهر لديهم الخلاف بين المذاهب كما ظهر في الشرق . والسر في ذلك اننا عشنا دائما وطوال تاريخنا أمة واحدة مالكية في الفقه اشعرية في الاعتقاد ، مما حمانا من الفرقة ومتن وحدتنا الوطنية .

واليوم يحاول أعداء هذه الوحدة ان يبثوا الخلاف بيننا ، وهكذا أصبحنا نرى بعض الناس يصلون صلاة ليست كصلاتنا ، ويمنعون اشياء عهدناها والفيناها وعشناها وعاش عليها اجدادنا قرونا ، وكل ذلك لبث الخلاف واحداث البلبلة قصد تصدع الوحدة الوطنية . اذ من هذا التصدع يحاول الاعداء التسرب الينا .

فينبغي لنا ان نسد هذا الباب في وجوههم ، فنركز على وحدتنا الدينية حول المذهب المالكي والعقيدة الاشعرية ، فهما الضمانة لبقاء أمتنا مجتمعة موحدة ، ومن يبغي الاجتهاد وجاءنا بشيء خارج على ما هو مقرر في مذهبنا ، لنا معه موقف واحد ، نساله هل هو مجتهد او مقلد ؟ فان اجاب بانه مجتهد، فسنعرف ان عندنا الامام مالك من جديد ، وان قال مقلد اجبناه بانه لا يسعه الا تقليد المذهب المالكي والالتزام به ، وبهذا نسد الباب على كل من يريد التسرب الى امتنا عن هذا الطريق ويحاول تشتيت شملها وتفرقة صفوفها بالابتعاد بها عن اشياء وجدنا عليها اجدادنا وآباءنا الذين كان فيهم علماء اجلاء وجهوا الامة الوجهة الصالحة .

ونلاحظ ان كل الاشياء التي عاش عليها سلفنا الصالح لها اصل في الدين ، ونسمع اليوم من يقول بعدم قرءة القرءان الكريم جماعة لانه بدعة ، وكان البدع انتهت من الدنيا ولم تبق منها الا هذه ، وفي نظرنا ان القراءة الجماعية تساعد على تجديد الحفظ لكتاب الله ، وعن طريقها يتذكر من نسي القرءان ، وبواسطتها يتبرك القارىء والمستمع ، ومنها يقع نوع من الخشوع ، فالقراءة الجماعية تؤدي فوائد عظيمة ، بالاضافة الى انه لا توجد آية ولا حديث تمنع قراءة كتاب الله جماعة .

فلم يريد هؤلاء اثارة هذا الموضوع ؟ انهم يريدون افساد الدين بهذه الاشياء التي تدل على ان وراء الاكمة ما وراءها ، ونحن لا ينبغي ان تنطلي علينا الحيلة ، وينبغي ان نتمسك بكل الامور التي تمسك بها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، فقد كانت حياته وسلوكه مطبوعة بالطابع الاصيل الذي هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

واعتقد اننا ولله الحمد سنصل الى هذه النتائج، لان امتنا ولله الشكر لا زال الخير فيها مجسما ، وما

زالت تتوفر على رجال مومنين صالحين غيورين على دينهم ، وما زال الايمان والاسلام والاحسان فينا الى ان تقـوم الساعـة .

وبطبيعة الحال فان الناس على دين ملوكهم ، وقد رأينا ملوكنا على هذه الحال فصرنا على منهجهم وطريقهـم .

وان الناس يلاحظون كثرة المساجد وان العدد من الخواص يقومون ببناء المساجد يوميا في جميع اطراف المملكة ، وهذه ظاهرة صحية ينبغي ان يتقبلها المؤمنون بالحمد والشكر لله تعالى وان يعتبروها كذلك ثمرة من ثمرات البعث الاسلامي الذي نادى به امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني نصره الله ، لان جمهور الناس لو لم يجدوا ذلك الظل الوارف الذي بسطه امير المؤمنين على شؤون الدين وتلك الرعاية الكبيرة والعطف الابوي الذي شمل به هذا الميدان لما تشجعوا على بناء المساجد .

وشعبنا له رصيد مهم من الايمان وله ملـك مؤمن نراه منكبا على بناء المساجد في جميع انحـاء المملكة ، وهذه الظاهرة نحسد عليها ، وعلينا ان نحمد الله عليها ونكثر من الحمد ونواصل العمل في الخط ونسير في النهج ، واذا ما تمسكنـا بهذا الخـط فسيوالي الله تعالى نعمه علينا ويوالي افضاله ورعايته وعنايته لهذا الشعب الكريم الذي ما عـوده الله الا الخير والذي حفظـه سبحانه وتعالـى في عرشه وخيراته ووحدته الوطنية ، وها نحن نـراه رغـم الصعوبات والمشاكل يقطع اشواطا بعد اشواط فـي هذه المسيرة الربانية الخالدة .

وفي ختام هذه الكلمة المتواضعـة أرى مـن واجبي ان اشكر عمالة اقليم الناضور على ما لقينـاه منها من ترحيب وعناية ، ونشكرها بالذات على مـا بذلته من جهودها في ميدان العناية بأمور هذا الدين في هذا الاقليم والاستعداد الكبير الذي لمسته في شخص السيد الكاتب العام واطر العمالة للقيام بكل عمل من شانه خدمة الدين الحنيف الذي هو اسـاس حياتنـا ومستقبلنـا .



واشكر كذلك المجلس العلمي باقليم الناضور على ما لقيناه ايضا من عناية وما شمـل به المجلس العلمي للاقاليم الصحراوية المسترجعـة من روح اخوية يرتاح لها كل مسلم وكل مواطـن ، ونشكـر السادة الحاضرين على الوقت الثمين الذي خصصوه لهذا اللقاء الذي ــ ان شاء الله ــ سيكـون بدايـة لقاءات الخير ولقاءات في خدمة الاسلام وكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونسـال الله تعالى ان يحفظ هذا الوطـن في ملكه وعرشه ، ويديم حياة مولانا اميـر المؤمنيـن ويحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم ، ويقـر عينـه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه الامير المولى رشيد وسائر افراد الاسرة الملكيـة الكريمـة . والسلام عليكم ورحمة الله .

اجتماع رؤساء المجالس العلمية الإقليمية

برئاسة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية



ترأس السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري اجتماعا للسادة رؤساء المجالس العلمية الاقليمية .

وقد خصص هذا الاجتماع لدراسة الخطاب الملكي السامي الذي القاه أمير المؤمنين حفظه الله عند استقباله رجال السلطة المنسقين بين المجالس العلمية والعمالات .

وقال السيد الوزير في كلمة توجيهية بالمناسبة اننا بربط هذا الخطاب الملكي السامي بالخطاب الذي القاه جلالته عند رئاسته للدورة الثانية للمجلس العلمي الاعلى نستنتج أن تعيين هؤلاء القواد هو دعم جديد للمجالس العلمية التي ما فتىء جلالته يواصل اهتمامه بها ورعايته لها .

واكد السيد الوزير ان دور هؤلاء السادة القواد هو التنسيق بين الفرقان والسلطان بمعنى التنسيق بين المجالس العلمية وممثل صاحب الجلالة في الاقليم ، بحيث يكون القائد رابطة وصل بين السيد رئيس المجلس العلمي وبين السيد العامل لا سيما وان رخصة البناء للمساجد أصبحت بيد

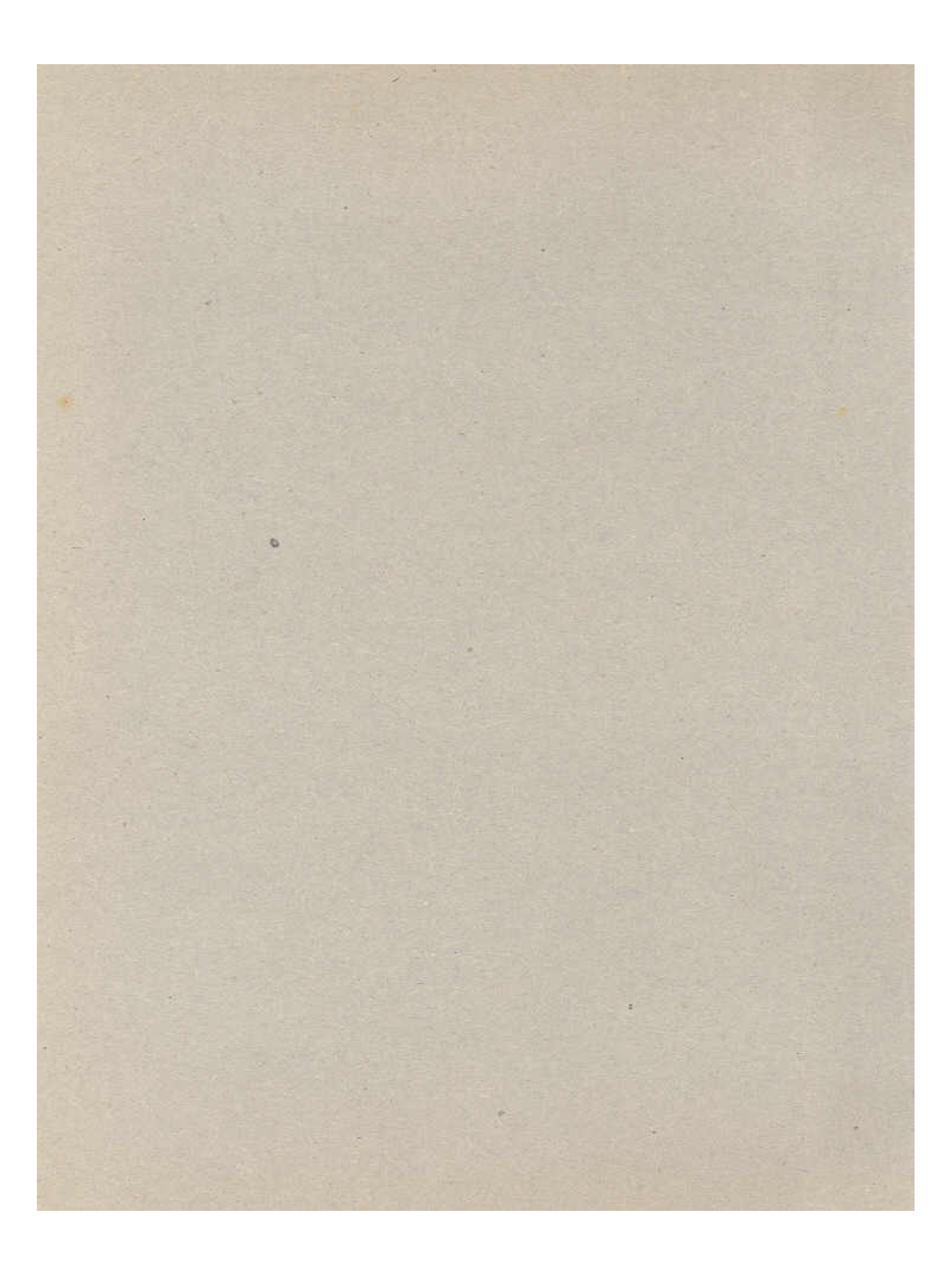


السيد العامل ، ما خارج اطار رخصة بناء المساجد فسيكون دوره هو دور الاستشارة واعطاء الراي للطرفين معا حسب المعلومات التي لديه ولا يكون له اي تدخل مباشر لا في شؤون المجلس العلمي ولا في المساجد ، لان أمير المؤمنين يقول : « دوركم دور الاستشارة واعطاء الراي » ، ويقول : « عليكم ان تؤطروا المساجد بخطبائها ومديريها ومن يعمل فيها .. لا مباشرة ولكن للتعرف على ان فلانا او جماعة فلان فعلت كذا او كذا » .

وابرز السيد الوزير بهذا الخصوص ان سيدنا حفظه الله يركز على فصل السلط وعدم تداخلها ، ومعنى كلام سيدنا المنصور بالله واضح وهو ان هؤلاء سوف يؤطرون المسجد بمراقبتهم وسهرهم الذي يمكنهم من التعرف على اصحاب البدع ان ظهر شيء منها . وفي هذه الحالة فقط يمكن ان يتدخلوا، ولكن تدخلهم حتم في هذه الحالة ـ يقول السيد الوزير ـ متوقف على راي المجلس العلمي وعلى امر السيد عامل صاحب الجلالة في الاقليم .

ومن جهة اخرى اعلن السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية عن صدور الجزء الاول من الدراسة الميدانية لمناطق نفوذ المجالس العلمية وتتضمن جانبا تشريعيا يتمثل في الظهائر وخطب جلالة الملك التي تعتبر نصوصا تشريعية وجانبا احصائيا يشتمل على احصاء كامل بالمساجد التابعة للاوقاف وغير التابعة لها ومعلومات عن القيمين الدينيين والجماعات الحضرية والقروية الداخلة في نطاق نفوذ المجلس العلمي وعدد سكانها والمسافات الفاصلة بينها وارقام هاتف رؤسائها وجميع الجمعيات الدينية والثقافية في الاقليم والتجمعات العامة والقاعات الصالحة للمحاضرات والزوايا والاضرحة ومراكز التجمع البشري والكتاتيب القرآنية والمدارس الدينية وكل المعلومات التي يحتاج اليها رئيس المجلس العلمي .

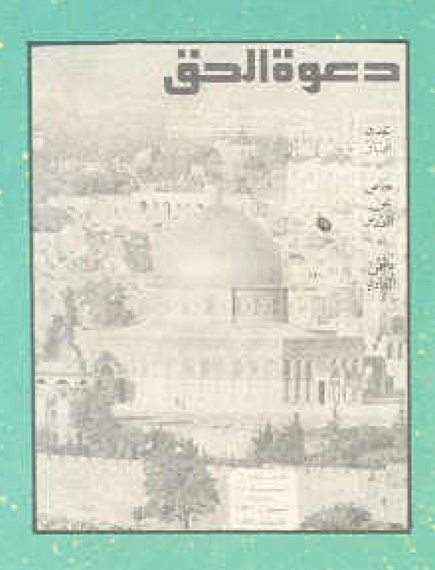
حضر هذا الاجتماع السيد محمد المرابط الكاتب العام للوزارة والسيد محمد الحجوي الثعالبي كاتب المجلس العلمي الاعلى والمساعدون الاقربون للسيد الوزير .

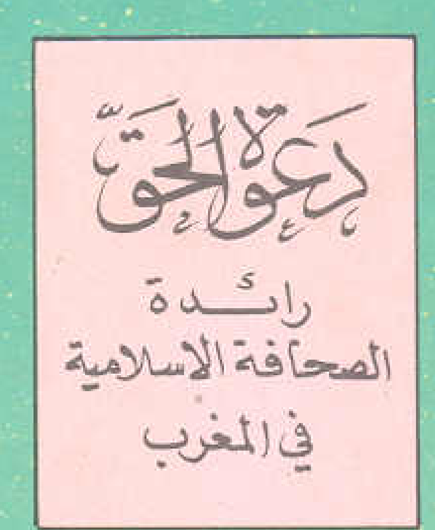




















صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957